ن عذاري المراكشي

# البيان المغرب في أخبار المغرب

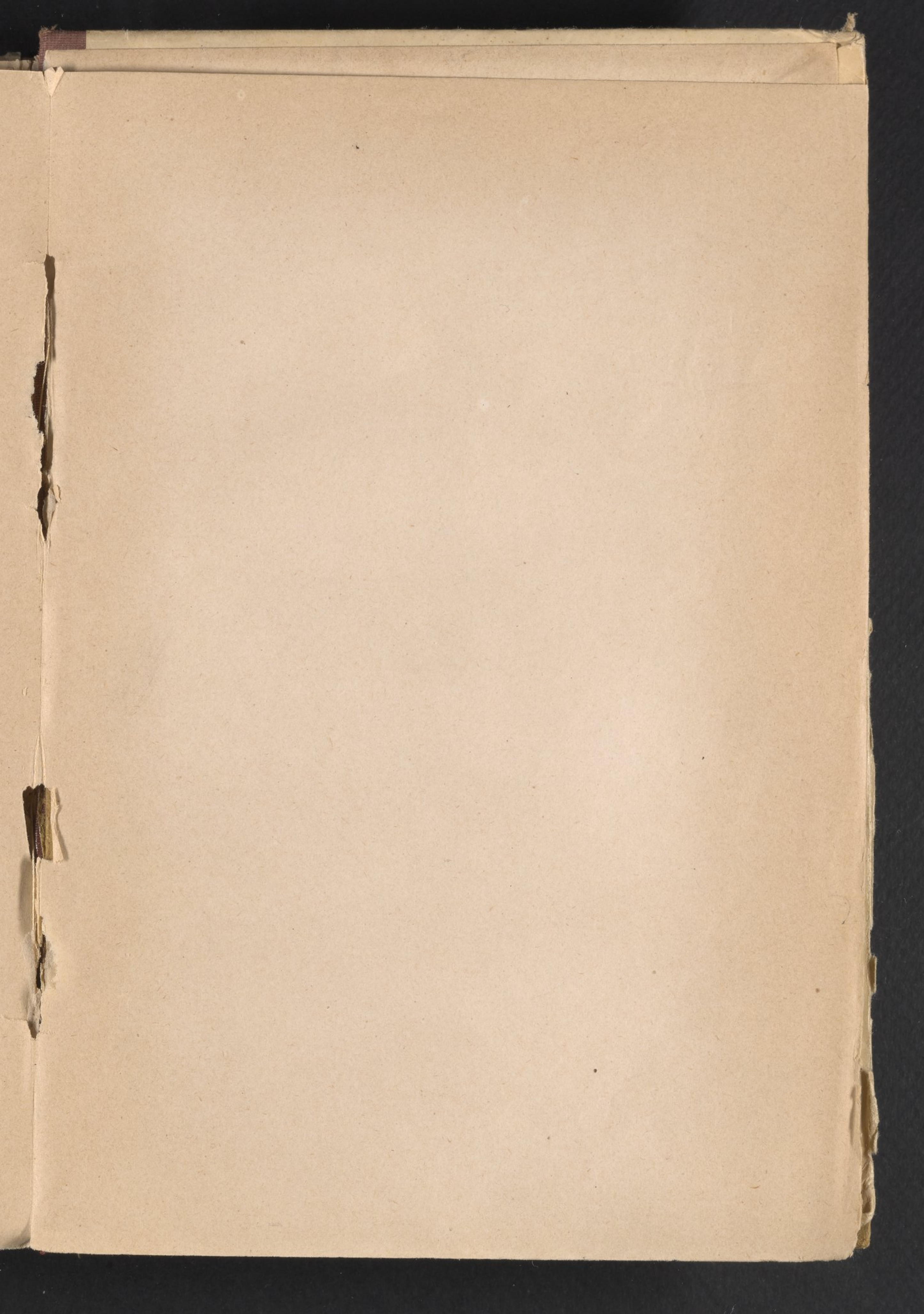
٢

## أخبار الأندلس

مكتبة صادر
بيروت







ابن عذاري المراكشي

# البيان المغرب في أخبار المغرب

٢

## أخبار الأندلس

مكتبة صادر
بيروت

مطبعة المناهل : ٤٨ — ١٩٥٠

# البيان المغرب

في

أخبار المغرب

هو تاريخ ابن عذاري المراكشي ، اعتنى بتصحيحه ونشره عن مخطوطات قديمة المستشرق رينحرت دُزي .

وضعه مؤلفه في جزئين، الأول : في أخبار المغرب، اختلطت به قطع من « نظم الجمان » لابن القطان . طبع في ليدن سنة ١٨٤٨ .

والثاني : في أخبار الأندلس ، اختلطت به قطع من تاريخ عريب ، وطبع في ليدن سنة ١٨٤٩ .

وقد كتب له المستشرق دزي مقدمة بالفرنسية بحث فيها في التواريخ التي وضعت عن المغرب والأندلس بحث الناقد الواسع الاطلاع وبين ما فيها من محاباة لأصحاب السلطان الذين كتبت في أيامهم ، ومن تشويه لبعض الحقائق . غير انه لم يعثر على شيء يدل على اسم ابن عذاري ، وحياته ، الا انه عاش في القرن الثالث عشر .

ويعدّ هذا التاريخ أشمل تاريخ لحوادث المغرب والأندلس السياسية والاجتماعية والادارية ، وللحروب التي دارت بين العرب والفرنجة او بين العرب بعضهم مع بعض .

وقد وقف المؤلف في أخبار المغرب عند سنة ٦٠٢ هـ ، وفي أخبار الاندلس عند سنة ٣٨٧ هـ بعد ذكره للامراء والولاة الذين تولوا افريقية للخلفاء بني أمية بعد سرده لآخر غزوات المنصور بن عامر مؤسس الدولة العامرية في الأندلس .

# ذكر صفة الاندلس وأوليتها

اما صفة الاندلس ، فانها جزيرة مركنة ذات ثلاثة اركان ، قريبة من شكل المثلث : الركن الواحد منها عند صنم قادس ، والركن الثاني في بلاد جِلّيقية ، وهو مقابل لجزيرة قرطاجنة حيث الصنم المشبه بصنم قادس ، والركن الثالث بناحية الشرق بين مدينة اربونة ومدينة برذيل حيث هو قَرُبَ البحرُ المحيط الغربي من البحر المتوسط الشامي ، وكاد البحران هناك يجتمعان في ذلك الموضع فتصير الاندلس في جزيرة لولا يسيرُ ما بقي منها ، وهو مسيرة يوم كامل . وفيه مدخل يقال له الأبواب ، وفيه تتّصل الاندلس بالارض الكبيرة .

فالاندلس كلها محدقة بالبحر : البحر المحيط الغربي والبحر المتوسط القبلي ، ويصعد منه قليل الى ناحية الشرق . فحدّ الاندلس ، في الشرق والغرب وبعض الجوف[1] ، البحر المحيط ؛ وحدّها في بعض القبلة والشرق البحر المتوسط لانه يتوسط الارض كلها . وقيل ... آخر الاقليم السبعة .

وقيل ان اول من نزلها بعد الطوفان قوم يُعرفون بالاندلش

---

[1] الجوف : في اصطلاح اهل المغرب جهة الشمال .

بشين معجمة فسميت بهم الاندلس بالسين غير معجمة . وقيل انهم كانوا مجوساً فأراد الله قلعهم عنها فحبس المطر عنهم حتى غاضت مياههم وعيونهم وأنهارهم ، وخرجوا منها وافترقوا في البلاد . وأقامت خالية مائة سنة من حدّ افرنجة الى البحر . ثم دخلها بعد ذلك قوم من الأفارقة اجلاهم صاحب افريقية من الجوع ، فلما نزلوا الاندلس وجدوا أنهارها قد جرت فملكوها نحو مائة وخمسين سنة . وعدد ملوكهم احد عشر ملكاً ، ودارُ ملكهم مدينة طالقة .

ثم غلبت عليهم الاشبانية حتى أَخرجوهم عن الملك وصار الملك اليهم ، وبهم سميت اشبيلية ، فبنوها وسكنوها ، وخربت طالقة . وهجم عجم رومة فكانوا ملوكاً حتى دخل البشترلقات على الرُمانيين ، وقد بعث الله المسيح (ع.م) فبعث الحواريين الى البلدان كلها ، وظهر دين النصرانية وغلب .

ثم كان دخول البشترلقات من رومة وكانوا يملكون افرنجة ويبعثون عمالهم اليها ودار ملكهم ماردة فكانت عدة ملوكهم ٢٧ ملكاً منهم .

ثم ظهر باشبيلية اشبان وكان رجلاً ضعيفاً حراثاً ، فوقف به الخضر (ع.م) وهو يحرث وقال له : اذا غلبتَ على إيليا[1] فارفقْ

---

١ ايليا : اورشليم او بيت المقدس .

بأولاد الانبياء. فقال له : كيف يكون هذا وانا ضعيف من غير بيت ملك؟ فقال له : يُقَدِّر ذلك مَنْ قَدَّرَ في عصاك ما قَدَّرَ. فلما نظر الى عصاه اذا بها قد أورقت، ففزع وغاب عنه الخضر. ووقع ذلك بنفس اشبان فلم يزل يصطنع الرجال حتى علا اسمه وذكره. وتغلَّب على الاندلس فخرج في السفن الى ايليا فغنمها وهدمها وقتل فيها مائة الف من اليهود وباع منهم مائة الف، وانتقل رخامها الى الاندلس. وكان ملكه نحو عشرين سنة. وبعد سنتين من ملكه غزا ايليا.

ويُقال ان اشبان اسمه اصبهان لانه ولد بأصبهان فسمي بها، والله اعلم. فعدَّة ملوكهم ٥٥ ملكاً.

ثم دخل القوط الاندلس وقطع الله ملك رومة منها، وعدَّة ملوك القوطيين ١٦ ملكاً آخرهم لذريق الذي دخل عليه المسلمون وجعلوا دار ملكهم طليطلة. ووجدتُ في بعض كتب العجم ان آخر ملوك الاندلس كان يسمى وخشندش، ولم يكن في النصرانية أحكم منه ولا احسن اصابةً لسُنَّتهم. وعلى سنته ... النصرانية احكامها وهي الاربعة الاناجيل التي يحلفون بها وينتهون الى ما فيها. وكان ذ ...

وقالوا ان لذريق الذي دخلت عليه العرب والبربر وثب على وخشندش هذا وقتله وغلب على ملك الاندلس ودانت له

طليطلة وغيرها . وفي كتب العجم ان رذريق هذا لم يكن من
بيت المملكة وانما كان زعيماً وكان من عمـــال الملك بقرطبة
وقتل وخشندش بعدما خلع . . عليه فغير الحكم وافسد سنن الملك
وفتح البيت الذي كان فيه التابوت ، وكان ذلك البيت . . . مات
الملك منهم يكتب اسمه وكم وَلي ووضع فيه تاجه ، فأنكرت
النصرانية ذلك عليه و . . . له بيتاً مثله ذهباً وفضة ولا يفتحه ،
فلم يقبل ذلك منهم وعزم على فتحه وفتح التابوت ا . . . ففتحه
ووجد في البيت تيجان الملوك وصور العرب متنكبة قسيها وفي
رؤوسها عمائم . . . مكتوب : اذا فُتِح هذا البيت وأُخْرجت
هذه الصور دخل الاندلس قوم في صورهم فع . . . عليها .

فلما دخلت العرب والبربر مع طارق والتقوا بالجزيرة اسلمته
النصرانية وانهزموا . . . حتى قتل . وكان دخول طارق الى سنة
(?) من ولاية رذريق فقتله طارق بقرطاجنة من . . . البحر . . .

فلما انتهى طارق الى طليطلة وجد فيها مائدة سليمان ، ووجد
فيها صور العرب والبربر على خيولهم ؛ وهي الصور التي وضعت
على القصر بقرطبة . وقيل ايضاً انها طلسمات كانت العرب قد
نصبتها على مساجد الاندلس فنقلها عبدالرحمن بن معاوية الى القصر
بقرطبة . وهذا القدر كافٍ هنا من صفة الاندلس وذكر ملوكها
الاولين .

# ذكر دخول المسلمين الى الاندلس

## وانتزاعها من ايدي الكفار

فأما دخول المسلمين اليها فذُكِر فيه اربعة اقوال : احدها ، ان الاندلس دخلها عبدالله بن نافع بن عبد القيس وعبدالله ابن الحصين الفِهريّان من جهة البحر في زمن عثمان (رضه). قال الطبري : اتوها من برّها وبحرها ففتحها الله تعالى على المسلمين هي وافرنجة ، وازداد في سلطان المسلمين مثل افريقية . ولم يزل امر الاندلس بافريقية حتى كان زمن هشام بن عبد الملك فمنع البربر أَرضهم ، وبقي من في الاندلس على حالهم ؛ هذا نصُّهم ، وان ذلك كان سنة ٢٧ من الهجرة الكريمة .

وثانيها ، ان موسى بن نُصير افتتحها عام ٩١ ؛ هذا قول الطبري ايضاً ، فيظهر منه انه جاز بنفسه وتولّى هذه الغزوة والفتح .

وثالثها ؛ ان طريفاً دخلها وفتحها في عام ٩١ .

ورابعها ، ان طارقاً اول من دخلها سنة ٩١ ، ودخل موسى بعده سنة ٩٢ . فهذا الخلاف واقع في هؤلاء الاربعة مواضع . قيل ان اول من دخلها الفهريّانِ ، ثم ابن نصير ، ثم طريف، ثم طارق. فظهر من هذا ان الفهريين اتوا فيها في

زمن عثمان (رضه) وغنما من جهة البحر، وطريفاً دخلها سنة ٩١ مغيراً ومخرباً ، ونُسِب فعلُه الى موسى بن نصير نسبةَ فعلِ المأمور الى الآمر ، فصدق عليه اضافته لموسى ، فيكون قول الطبري صادقاً، وصدق عليه ايضاً قول الرازي بأخرى وأولى؛ وطارق دخلها دخول المستفتح لها المكافح سنة ٩٢ .

وقال عريب ان العلج يليان صاحب الجزيرة الخضراء داخل موسى بن نصير صاحب افريقية عام ٩١ على يد طارق بن زياد عامل موسى على طنجة وما والاها؛ فراسل يليان موسى يزيّن عنده دخول الاندلس ويقرب له امرها . وقيل بل سار اليه بنفسه في البحر حتى اجتمع به في ذلك . فاستشار موسى الوليدَ بن عبدالملك ، إما مراسلة، وإما نهض بنفسه اليه ، على خلاف في ذلك . فأشار الوليد بأن يختبرها بالسرايا ولا يغرر بالمسلمين ؛ فبعث موسى بن نصير عند ذلك رجلاً من البربر يسمى طريفاً ويكنى بأبي زرعة في مائة فارس واربعمائة راجل؛ فجاز في اربعة مراكب حتى نزل في ساحل البحر بالاندلس فيما يحاذي طنجة ، وهو المعروف اليوم بجزيرة طريف،سميت باسمه لنزوله هنالك . فأغار منها على ما يليها الى جهة الجزيرة الخضراء ، واصاب سبياً ومالاً كثيراً ورجع سالماً . وكانت اجازته في شهر رمضان سنة ٩١ .

وقد اتفق الجميع فيما يظهر على ان متولّي كبرِ فتح الاندلس وجلّه ومعظمه طارق بن زياد . وقد اختلف في نسبه ، فالأكثرون على انه بربري من نفزة، وانه مولى لموسى بن نصير من سبي البربر . وقال آخرون انه فارسي .

قال صالح بن ابي صالح : هو طارق بن زياد بن عبدالله ابن رفهو بن ورفجوم بن ينزغاسن بن ولهاص بن يطوفت بن نفزان . وكأنهم ايضاً اتفقوا على ان طارقاً كان عاملاً لموسى ، قبل محاولة الاندلس، على المغرب الاقصى وترك عنده رهائن برابر المغرب في سنة ٨٦ من الهجرة ؛ وقيل ايضاً ان طارقاً جاز الى الاندلس برهائن البربر سنة ٩٢ .

قال ابن القطان : فالاكثرون يقولون كان مستقره بطنجة ؛ ومنهم من يقول سجلماسة، وان سلا وما وراءها من فاس وطنجة وسبتة كانت للنصارى، وكانت طنجة ليليان منهم فكان طارق اذاً نائباً عن موسى بن نصير . واختلفوا ايضاً هنا هل انما سار الى الاندلس عن امر موسى او سار اليها لامر دهمه لم يمكنه الا انفاذه . والقول الاول هو المشهور المتّفق عليه .

قال الرازي عن الواقدي : ان الوليد بن عبدالملك استعمل موسى بن نصير على افريقية واستعمل موسى بن نصير طارق بن زياد على طنجة، وكان يليان مجاوراً له بالجزيرة الخضراء التي تلي

طنجة ، فداخله طارق حتى صار معه الى الرضا ، ووعده يليان بادخاله الاندلس هو وجنوده . وكان اجتمع لطارق اثنا عشر الفاً من البربر فاجمع طارق على غزو الاندلس بعد ان اخذ اذن ابن نصير مولاه في ذلك ؛ فكان يليان يحتمل اصحاب طارق في مراكب التجار التي تختلف الى الاندلس ولا يشعر اهل الاندلس بذلك ويظنّون ان المراكب تختلف بالتجار ، فحمل الناس فوجاً بعد فوج الى الاندلس . فلما لم يبق الا فوج واحد ركب طارق ومن معه حتى اجاز البحر الى اصحابه وتخلّف يليان بالجزيرة الخضراء لتكون اطيب لنفسه ونفوس اصحابه ، فنزل طارق جبلًا من جبال الاندلس يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة ٩٢ كما تقدم ذكرُ ذلك ، فسمي ذلك باسمه الى اليوم .

وذكر عيسى بن محمد من ولد ابي المهاجر ، في كتابه ، في السبب في دخول طارق الاندلس : وهو ان طارقاً كان والياً لموسى على طنجة وكان يوماً جالساً اذ نظر الى مراكب قد طلعت في البحر ، فلما ارْسَتْ خرجوا اليها فنزعوا ارجلها وانزلوا اهلها ، فقالوا : اليكم جئنا عامدين ، وعظيمهم معهم ، يقال له يليان . فقال طارق : ما جاء بك ؟ فقال له : ان أبي مات فوثب على ملكنا ومملكتنا بطْريق يقال له لذريق فاهانني

واذلّني، وبلغني امركم فجئت اليكم ادعوكم الى الاندلس واكون دليلاً لكم. فاجابه طارق الى ذلك واستنفر البربر، وذلك اثنا عشر الفاً، فحملهم يليان في المراكب فوجاً بعد فوج كما تقدّم ذكره.

وذكر غير هؤلاء ان السبب في ذلك ان طنجة وسبتة والخضراء وتلك الناحية كانت في مملكة صاحب الاندلس على نحو ما كانت السواحل كلها بالعدوة وما قرب منها للروم، ويسكنونها اذ كان البربر يرغبون عن سكنى المدن والقرى، وانما بُغْيَتُهم سكنى الجبال والصحارى اذ كانوا اصحاب ابل وسوائم. وكان النصارى في صلحهم، وكانت السُّنَّة في الاندلس، في ملوك النصارى، ان يستخدموا بني بطارقتهم وكبار رجالهم: فالرجال منهم يخدمون خارجاً والنساء جوارٍ يخدمن داخلاً؛ وهكذا سُنَّتُهم الى اليوم في الرجال خاصة يخدمون صبياناً يتأدّبون بادبهم ويتعلمون سنتهم، فاذا ادركوا او كبروا الحقوهم برجالهم واهليهم. وكان ملك الاندلس من القوطيين يسمى رذريق قد مدّ يده الى ابنة يليان، وكانت عنده، فاغتصبها نفسها، فارسلت الى ابيها ودسّت اليه. فلما بلغه ذلك احفظه وكتمه وارتصد به الايام ونصب له الغوائل حتى كان من دخول العرب المغرب ما كان. وارسل رذريق الى يليان في بزاة وطيور

وغيرها فارسل اليه لأوردن" عليك طيراً لم تسمع قط بمثلها، وهو ينوي الغدر به. فحينئذ دعا طارقاً الى ما كان من جواز البحر.

واختلفت الروايات في قتال طارق اهل الاندلس : فقيل ان رذريق زحف الى طارق بجميع اهل القوة من اهل مملكته بنفسه ، وهو على سرير ملكه على بغلين يحملانه وعليه تاجه وجميع الحلية التي تلبسها الملوك ، حتى انتهوا الى الجبل الذي فيه طارق ، فخرج اليهم طارق بجميع اصحابه رجالة ليس فيهم راكب الا القليل ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى ظنّوا انه الفنا. ثم صرف الله وجوه اعدائه فانهزموا ، وأُدرك رذريق فقتل في وادي الطين ، ومضى حتى دخل قرطبة وفتح الله الاندلس على المسلمين، هكذا ذكر عيسى في كتابه .

وذكر الواقدي انهم اقتتلوا من حين طلعت الشمس الى ان غربت فلم تكن قط بالمغرب مقتلة اعظم منها ، بقيت عظامهم في المعركة دهراً طويلاً لم تذهب . وذكر الواقدي أيضاً عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال : سمعتُ رجلاً من اهل الاندلس يحدث سعيد بن المُسَيِّب ويذكر له قصتهم ، فقال : لم يرفع المسلمون السيف عنهم ثلاثة ايام حتى اوطأوهم علبة[1] . ثم ارتحل المسلمون الى قرطبة ، وهي مدينة الاندلس التي كان بها رذريق وبينها وبين الساحل مسيرة خمسة ايام . وكان

---

[1] العلبة : الشدة والصلابة .

سلطان رذريق الى اربونـة ثغر الاندلس ، وهي اذ ذاك اقصى مملكة الاندلس مما يلي افرنجة ؛ ومن اربونة الى قرطبة الف ميل . وكان الذي أصابه طـارق ومن معه من السبي في اول فتح لهم عشرة آلاف رأس ، وكان سُهمانهم ، من الذهب والفضة لكل واحد من الرجال ، مائتي دينار وخمسين ديناراً .

وذكر الرازي أنه لمـا بلغ رذريق خـبر طارق ومن معه ومكانهم الذي هم فيـه بعث اليـه رذريق الجيوش جيشاً بعـد جيش ، وكان قد قوّد عليه رذريق ابن اخت له يسمى بنج ، وكان اكبر رجاله ، فكانوا عند كل لقـاءٍ يهزمون ويقتلون ، وقُتِل بنج ، وهزم عسكره . فقوي المسلمون وركب الرجالة الخيل وانتشروا بناحيتهم التي جازوا بها ، ثم زحف رذريق اليهم بجميع عساكره ورجاله وأهل مملكته وهو على سرير ملكه كما تقدم . فلمـا انتهى الى الموضع الذي فيـه طارق خرج اليه فاقتتلوا عـلى وادي لكّة من كورة شذونة يومهم ذلـك ، وهو يوم الاحد لليلتين بقيتـا من رمضـان من حين بزغت الشمس الى ان توارت بالحجاب . ثم اصبحوا يوم الاثنـين على الحرب حتى الى المساء ، وتمادت ايامهم كذلك الى يوم الاحد الثاني فتمّت ثمانية ايام ، وقتل الله لذريق ومن معه وفتح للمسلمين الاندلس ولم يعرف لرذريق موضع ولا وُجِدت له جثّة ، وانما

وجد له خفّ مفضّض فقالوا : انه غرق ، وقالوا : انه قتل ، والله اعلم .

ثم تحرّك طارق الى مضيق الجزيرة ، ثم نهض الى مدينة اسجة فوجد فيها فلّ العسكر فقاتلوه قتالاً شديداً حتى كثر القتل والجراح في المسلمين ، ثم نصرهم الله وقطع دعوة العجمة ، وقذف الله الرعب في قلوب المشركين اذ تقحّم عليهم البلاد ، فهرب أكثرهم الى مدينة طليطلة وتركوا مدائن الأندلس وراءهم قليلة الأهل .

وقدم يليان على طارق من الخضراء مستقرّه . فقال له : قد فتحت الأندلس فخذ من أصحابي أدلاّء ففرّقْ معهم جيوشك ، وسِرْ معهم الى مدينة طليطلة . ففرّق جيوشه من أسجة .

# ذكر ما افتتح طارق بن زياد

من البلاد سنة ٩٢ من الهجرة

اول فتوحاته جبل الفتح المسمى بجبل طارق، وذلك لما جاز المسلمون ونزلوا في المرسى، وهم عرب وبربر حاولوا الطلوع في الجبل، وهو حجارة حُرش[١]، فوطّأوا للدواب بالبراذع وطلعوا عليها، فلما حصلوا في الجبل بنوا سوراً على انفسهم يسمى سور العرب. وقيل انهم فتحوا من حينهم حصن قرطاجنة، وكان في سفح هذا الجبل من نظرِ الجزيرة الخضراء. فلما بلغ ذلك ملوك الاندلس نفروا الى رذريق، وكان جباراً طاغية، فاستنفر النصرانية، فقيل انه بعث الى المسلمين الجيش بعثاً بعد بعث، فكانوا عند كل لقاءٍ يهزمون ويقتلون، فقوي المسلمون وركب رجالهم وانتشروا في البلاد. وبعد هذا زاحفهم رذريق بنفسه؛ وقال الاكثرون: بل زاحفهم لاول مرة بنفسه. ثم اختلفوا أيضاً كم ايام المزاحفة التي اعقبها الفتح وانهزم آخرها رذريق؛ فقيل: يوم كامل؛ وقيل: يومان؛ وقيل: ثلاثة؛ وقيل: ثمانية. واختلفوا هل ظفر برأس رذريق ام لا، فقيل: ظفر به، وقيل: غريقاً مات.

---

١ حرش: خشنة، واحدها احرش وحرشاء.

## فتح قرطبة

بعث طارق مغيثاً مولى عبدالملك بن مروان ، من أسجة الى قرطبة ، في سبع مائة فارس ، وهي من مدنهم العظام ، ولم يكن معه راجل ، إذ كان الرجال قد ركبوا . فلما بلغ مغيث شقندة وقرية طرسيل ، وهي على ثلاثة أميال من قرطبة ، بعث الأدلاّء كي يلقوا من عنده خبرٌ ، فألفوا راعي غنم ، فأتوا به الى مغيث ، وهو في القبضة ؛ فسأله عن قرطبة ، فقال له : انتقل عنها عظماء أهلها ولم يبقَ فيها إلا بطْريق في أربع مائة فارس من حماتهم مع ضعفاء أهلها . ثم سأله عن حصانة سورها ، فاخبره انه حصين ، إلا ان فيه ثغرة فوق باب الصورة ، وهو باب القنطرة ، ووصف لهم الثغرة . فلما جنّ الليل تحرّك مغيث بمن معه وعبروا النهر ، وقابلوا السور وراموا التعلّق به ، فتعذّر عليهم ، فرجعوا الى الراعي وأتوا به معهم ، فدلّهم على الثغرة ، فراموا التعلّق بها ، فصعب عليهم حتى صعد رجل من المسلمين في ذروتها ، ونزع مغيث عمامته فناوله طرفها وارتقوا بها حتى كثروا بالسور . ثم جاء مغيث الى باب القنطرة ، وهي يومئذٍ مهدومة ، وأمر أصحابه بالحوم على احراس السور ، فكسروا الأقفال ودخل مغيث بمن معه .

فلما بلغ الملك الذي بها دخولهم ، خرج في كماة أصحابه، وهم نحو الأربعمائة ، فدخلوا كنيسة بغربي المدينة فتحصّنوا فيها . فحاصرهم مغيث ، وكتب الى طارق بالفتح ، وتمادى على حصار العلوج في الكنيسة المذكورة ثلاثة اشهر . فبينا هو ذات يوم جالس إذ قيل له : خرج العلج ، يعني الملك ، هارباً وحده ، وهو ينوي التحصُّن في جبل قرطبة ليلحق به أصحابه ، فاتّبعه مغيث وحده دون أحد من اصحابه ، فلما برز له وأبصره هارباً وتحته فرس أصفر ، وهو يتبعه ، خرج من طريقه فأتى خندقاً ، فوثب به الفرس وسقط في الخندق واندقّت عنقه . فأقبل مغيث والعلج جالس على ترسه مستأسراً فأسره ، ولم يؤسر من ملوك الأندلس غيره ، لأن منهم مَنْ عقد لنفسه أماناً ، ومنهم من هرب الى أقاصي البلاد مثل جليقية وغيرها . ورجع مغيث الى بقية العلوج فاستنزلهم أسراً ، وضربت أعناقهم صبراً ، وسمّيت كنيسة الأسرى ، وأبقى العلج صاحب قرطبة ليقدم به على أمير المؤمنين .

فتح مالقة

بعث اليها طارق من اسجة جيشاً ، وقوّد عليه قائداً ودليلاً من رجال يليان ، فاستفتحها وجميع اعمال ريّة ، ولجأ علوجها الى جبال رية الشامخة المنيعة .

فتح غرناطة قاعدة البيرة

بعث اليها طارق الجيش من اسجة فحاصرها حتى افتتحها .

فتح مرسية

ثم تقدم هذا الجيش بعد فتح غرناطة الى تدمير، وهي مرسية، وانما سُميت تدمير باسم العلج صاحبها ؛ وكان اسمها اوريولة وهي كانت مدينتها القديمة ، فقاتل العلج تدمير المسلمين قتالاً شديداً ، وكان في قوة ، ثم انهزم في فحص[1] لا يسترهم شيء . فوضع المسلمون فيهم السلاح حتى افنوهم ولجأ من بقي منهم الى مدينة اوريولة .

وكان تدمير بصيراً بابواب الحرب ، فلما رأى قتلة من معه من اصحابه امر النساء فنشرن شعورهن واعطاهن القصب ووقفن على سور المدينة ، ووقف معهن بقية الرجال . ثم قصد بنفسه الى جيش المسلمين كهيئة الرسول، واستأمن فأمن وعقد له الصلح ولاهل بلده ،فافتتحت مدينة تدمير صلحاً . فلما انعقد الصلح وتم ابرز لهم نفسه وقال : انا تدمير صاحب المدينة. ثم ادخلهم البلد فلم يروا فيه أحداً عنده مَدْفَعٌ[2] . فندم المسلمون ومضوا على ما اعطوه من الأمان، وكتبوا بالفتح الى

---

[1] الفحص : كل موضع يسكن ، ومواضع معروفة في المغرب كفحص مرسية وسواها . [2] مدفع : اي مدافعة .

طارق. وأقام بتدمير رجال من اهل العسكر وصاروا مع اهلها ، وتقدم معظم الجيش الى طليطلة ، فلحق بطارق وهو عليها .

### فتح طليطلة

والفى طارق طليطلة خالية ليس فيها إلا اليهود في قومٍ قلّة ، وفرّ علجها مع اصحابه ولحق بمدينة خلف الجبل ، بعد ان ضم اليهود وخلى معهم بعض رجاله واصحابه بطليطلة ، وفرّ بنفسه مع اصحابه. وتبعهم طارق فسلك الى وادي الحجارة ثم استقبل الجبل فقطعه من فجّ يسمى به الى اليوم ، فبلغ مدينة خلف الجبل تسمى مدينة المائدة ، ثم فتح مدينة المائدة ، فوجد فيها مائدة سليمان بن داود عليهما السلام ، وكانت من زبرجدة خضراء ، حافاتها وأرجلها منها ؛ وأصاب بها مالاً وحلياً كثيراً ، ثم انصرف الى طليطلة. هكذا أثرَ[1] الناس هذا كله على ان طارقاً صنعه. وقال آخرون: بل أقام طارق حيث كانت الوقعة وجاز اليه موسى ؛ وقيل : بل وجده بقرطبة .

وفي سنة ٩٣ من الهجرة دخل موسى بن نصير الأندلس في رمضان بعد دخول طارق بسنة . ومضى غازياً فيها ، مفتتحاً لحصونها هذه السنة وسنة ٩٤ وبعض سنة ٩٥ ؛ فافتتح جميع حصونها ، وهزم جميع من لقيه من امرائها ، فلم يلق كيداً

---

١ أثر : نقل الحديث .

من أحدٍ ولا انهزمت له راية حتى انتهى الى مدينـة من مدن افرنجة يقال لهـا لوطون ، وقـد ملك ما سواها ودونهـا الى اقصى برشلونة . فلما انتهى الى مدينة لوطون ، ضاق المسلمون وخافوا ان يخطىء بهم ، فكلموه في ذلك ، فقفل بهم راجعاً .

قال مؤلف كتاب بهجـة النفس : ورأيت في بعض كتب العجم ، ان المسلمين انتهوا الى مدينة لوطون قاعدة الافرنج ، ولم يبقَ لأهل الاسلام شيء لم يتغلب عليه مما وراء ذلـك إلاّ جبال قرقوشة وجبال بنبلونة وصخرة جليقية . فامـا الصخرة فلم يبقَ فيها مـع ملك جليقية إلا ثلاث مائة رجـل تَلِفوا بالموت والجوع والحصار . فلمـا لم يبقَ منهم إلا ثلاث مائـة رجل ، ورأى ذلك المرتبون على حصارهم ، استقلوهم فتركوهم فلم يزالوا يزدادون حتى كانوا سبب اخراج المسلمين من جليقية، وهي قشتيلة . وأما قرقوشـة فذكر عبدالملك بن حبيب انهـا افتتحت في زمن هشام بن عبد الملك صلحـاً ، وكان الافتتاح لما ذكرتُه في بقية سنة ٩٢ وبعض سنة ٩٣ من الهجرة .

وكان السبب في جواز موسى بن نصير الى الاندلس انه أُغري بطارق عبده وذكر له ما افاء الله عليه ، فكتب له موسى باقبح السب وامره ألاّ يتجـاوز قرطبة حتى يقدم عليه .

قال ابن القطان : قيل انما حمله على الجواز للاندلس تعدّي

طارق ما امره به ألاّ يتعدّى قرطبة على قول، أو موضعَ هزيمة لذريق على قول ؛ وقيل ايضاً : انما حمله على ذلك الحسد لطارق على ما اصاب من الفتوح والغنائم ؛ وقيل أيضاً : انما جاز باستدعاء طارق اياه فكان جوازه في رمضان كما تقدم .

قال الرازي : وحدث الواقدي عن موسى بن علي بن رياح عن ابيه قال : خرج موسى بن نصير في عشرة آلاف من افريقية مغضباً على طارق وتقدم يريد الاندلس ، فدخلها ونزل الجزيرة . فقيل له : اسلك طريق طارق . فقال : لا ، والله ، اسلك طريقه . فقال له الادلاء من الاعلاج : نحن ندلك على طريق هي أشرف من طريقه ، وعلى مدائن هي اعظم خطراً من مدائنه لم تفتح ، يفتحها الله على يديك ان شاء الله . فامتلأ موسى سروراً فساروا به الى مدينة شذونة ، فافتتحها عنوة ، وهي أول فتوحاته .

فتح قرمونة

ونهض موسى مع ادلائه من شذونة الى قرمونة . ولم يكن بالاندلس احصن منها ولا ابعد من ان تنال بحصار او قتال . فسأل موسى عن امرها ، فقيل له: لا تؤخذ إلا باللطف والحيل. فقدّم اليها علوجاً كانوا من اصحاب يليان وغيرهم ، فأتوهم في

هيئة المنهزمين ومعهم السلاح ، فأدخلوهم المدينة . فلما علم موسى بدخولهم بعث الخيل اليهم ليلاً ، ففتحوا لهم باب المدينة، وهو الباب المعروف بباب قرطبة، فوثبوا على الاحراس فقتلوهم ودخل المسلمون المدينة عنوة .

فتح اشبيلية

لما فتح موسى قرمونة تقدم الى اشبيلية ، وهي من اعظم قواعد الاندلس شأناً واتقنها بنياناً واكثرها آثاراً ، وكانت دار ملك روم رومة قبل غلبة القوطيين على الاندلس؛ فلما غلب القوطيون عليها استوطنوا طليطلة واقرّوا بها ملكهم ، وبقي بمدينة اشبيلية علماء أهل رومة وكتّابهم ورؤساؤهم . فاحتلّ بها موسى بن نصير وحاصرها اشهراً ففتحها الله عليه وهرب منها علوجها الى مدينة باجة .

فتح ماردة

وتقدم موسى الى مدينة ماردة وكانت دار ملك في سالف الايام ، وكانت فيها آثار عجيبة وقنطرة وقصور و كنائس تفتن الناظرين ، وهي احدى القواعد الاربع بالاندلس التي ابتناها اكتبان قيصر: وهي قرطبة واشبيلية وماردة وطليطلة . فخرج

اهلها الى حربه نحو الميل منها ، فحاربهم حتى صرفهم الى المدينة .
فلما انجلت الحرب وكف عن القتال ، طاف موسى بالمدينة فرأى نقباً كان لمقاطع الصخر، فكمن فيه الرجال ليلاً، فلما اصبح زحف اليهم فخرجوا كخروجهم في اليوم قبله ، فخرج عليهم الكمين وركبهم المسلمون فقتلوا ابدع قتل ولجأ منهم من نجا الى المدينة، فحاصرهم اشهراً حتى عمل دبّابة[1] فدبّ المسلمون تحتها الى برج من ابراجها، فنقبوا صخرة فلما نزعوها افضوا الى صخرة صمّاء نَبَتَ المعاول عنها ويئسوا منها. فبينا هم يضربون عليها اذ استثار العلوج عليهم فاستشهد المسلمون تحت الدبابة، فسمي ذلك البرج برج الشهداء، وبه يعرف الى اليوم، فحميت عند ذلك نفوس العلوج وثابت اليهم انفسهم. ثم خرجت اليهم رسل وتعرّضت للصلح ، فساروا الى موسى فرأوا رجلاً ابيض الرأس واللحية فكلموه بما لم يوافقهم عليه ولم يرضه، فرجعوا عنه ولم يعقدوا شيئاً .

ثم عاودوه يوماً آخر فألفوه قد حمّر رأسه ولحيته بالحنا ، فعجبوا منه وراعهم ما رأوه ولم يتم لهم أمرٌ .

ثم عاودوا اليه في اليوم الثالث وذلك يوم عيد الفطر ، فألفوه قد سوّد رأسه ولحيته ، فرجعوا الى المدينة ، وقالوا لمن فيها : ويحكم ! انما تقاتلون أنبياءَ يتشببون بعد المشيب ،

---

[1] الدبابة : آلة تتخذ للحروب، فتدفع في اصل الحصن ، فينقبه رجال في جوفها.

قد عاد ملكهم حدثاً بعد أن كان شيخاً . فقالوا : اذهبوا إليه واعطوه ما سألكم . فوصلوا إليه وصالحوه وانعقد أمرهم على ان جميع أموال القتلى يوم الكمين ، وأموال الغائبين بجليقية ، وأموال الكنائس، ذلك كله للمسلمين . ثم فتحوا له الباب من يومهم ذلك ، وهو مستهل شوال من سنة ٩٤ من الهجرة .

### فتح اشبيلية ثانية

وذلك لما اشتغل موسى بن نصير بحصار ماردة ، ثار عجم اشبيلية وارتدّوا وقاموا على من كان فيها من المسلمين وتجالب فلّهم اليهم من مدينة لبلة وباجة ، فقتلوا من المسلمين نحو ثمانين رجلاً . وبلغ الخبر بذلك الى موسى بن نصير ، فلما استتمّ فتح ماردة بعث ابنه عبد العزيز بجيش الى اشبيلية فافتتحها وقتل أهلها .

### فتح لبلة

لما استتمّ فتح اشبيلية تقدّم عبد العزيز بن موسى بجيشه الى لبلة فافتتحها وانصرف الى اشبيلية فدخلها أيضاً .

# ذكر اجتماع الامير ابي عبد الرحمن

## موسى بن نصير مع مولاه طارق بن زياد على طليطلة

اتفق الأكثرون ان التقاءهما كان على طليطلة . وذكر الطبري: انه كان على قرطبة. وذكر الرازي: ان طارقاً خرج من طليطلة لمّا بلغه مسيره اليه، فلقيه بمقربة من طلبيرة . وكان موسى لما فرغ من أمر ماردة نهض يريد طليطلة ، فخرج اليه طارق معظماً له ومبادراً لطاعته ، فوبخه موسى وغضب عليه ، وقيل انه وضع السوط على رأسه ، وقيل انه ضربه أسواطاً كثيرة ، وحلق رأسه ، ثم سار به الى طليطلة ، وقال له : أحضر لي ما أصَبت وبالمائدة . فأتاه بها ، وقد اقتلع رجلاً من أرجلها . فقال له : أين الرجل ؟ فقال له : هكذا وجدتها ؛ فأمر موسى فعمل لها رجلاً من ذهب وأدخلها في سفط .

واختلفت الروايات عن موسى لمَ فعل ذلك مع طارق : فمنهم من قال : انما فعله بغياً ونفاسةً عليه ، واستدلّوا على ذلك بادّعائه خصال طارق ، واخذ المائدة عند الخليفة؛ ومنهم من عذره وقال: انما فعل ذلك به لتقدّمه دون رأيه ، وهو مولاه ، وعلى توغله بالمسلمين ، وتغريره بهم .

واتصل بهذا في كتاب الرازي : ان الوليد بعث الى موسى

رسولاً ، فأخذه بعنان دابته وأخرجه من الأندلس ومعه طارق ومغيث ، وخلّف ابنه على الأندلس وأبقى معه وزيراً حبيب بن أبي عبدة بن عقبة بن نافع .

ولما التقى موسى بطارق وجرى له معه ما جرى تقدّم من طليطلة الى سرقسطة فافتتحها وافتتح ما حولها من الحصون والمعاقل .

وذكروا ان موسى خرج من طليطلة غازياً يفتح المدائن حتى دانت له الأندلس . وجاءه وجوه أهل جليقية يطلبون الصلح ، فصالحهم وفتح بلاد البشكنش وأوغل في بلادهم حتى أتى قوماً كالبهائم . وغزا بلاد الافرنج ، ثم مال حتى انتهى الى سرقسطة ، فأصاب فيها ما لا يعرف قدره . وبين سرقسطة وقرطبة مسيرة نحو شهر . وافتتح هنالك حصوناً كثيرة . وكان موسى تجده الأساقفة في كتبهم ولم يهزم له جمع قط .

وقال يوسف بن هشام : انتهى موسى الى صنم فوجد في صدره مكتوباً : يا بني اسمعيل الى هنا منتهاكم ، وان سألتم الى ماذا ترجعون ، أخبرناكم : ترجعون الى اختلاف ذات بينكم حتى يضرب بعضكم رقاب بعض .

قال الليث : ولقد جاء رجل الى موسى بن نصير فقال له : ابعث معي اذلك على كنز . فبعث معه رجالاً فوقف بهم على موضع فقال : اكشفوا عن هذا ، فكشفوا ، فاذا ...

لما ورد موسى الشام بما معه من الغنائم ليقدمها للخليفة الوليد بن عبد الملك ، كان الوليد مريضاً فكتب اليه سليمان اخو الوليد يأمره بالتربص رجاء ان يموت الوليد فيقدم عليه موسى بتلك الغنائم في اول خلافته ، فأبى موسى وجدّ في السير حتى دخل دمشق والوليد حيّ، فقدم له الغنائم والتحف . وما لبث ان مات وافضت الخلافة الى سليمان اخيه فبعث في موسى فعنفه بلسانه وقال: والله لافلنّ غربك ولافرقن جمعك ولاصغرن من قدرك ! فقال موسى : اما قولك تفل من غربي وتخفض من قدري فان ذلك بيد الله والى الله لا إليك ، وبه استعين عليك. فامر به سليمان فوُقّف في يوم صائف شديد الحرّ. وكان موسى رجلاً عظيماً بادناً ذا نسمة[1]، فوقف حتى سقط مغشياً عليه.

ثم نظر الى عمر بن عبد العزيز فقال له : يا أبا حفص ما اراني الا وقد خرجتُ عن يميني. فقال عمر: يا امير المؤمنين. فقال سليمان: مَن يضمه اليه؟ فقام يزيد بن المهلب فقال: انا يا أمير المؤمنين أضمه اليّ. قال: فضمه اليك ولا تضيق عليه. فانصرف يزيد وقدم اليه دابةً فركبها موسى وأقام عنده أياماً حتى حسن ما بين موسى وسليمان، وافتدي منه موسى بمال كثير، قيل ألف ألف دينار وقيل غير ذلك .

ثم ان يزيد بن المهلب سهر ليلة عند موسى فقال له : يا أبا

---

١ النسمة : الربو .

عبد الرحمن في كم تعتد من مواليك واهل بيتكم ؟ فقال له موسى: في كثير. فقال يزيد : يكونون الفاً . فقال له موسى : والفاً والفاً الى منقطع النفس . فقال له يزيد : وانت على ما وصفتَ والقيتَ بيدكَ الى التهلكة ، أفلا أقَمْتَ في قرار عزك وموضع سلطانك وامتنعت بما قدمت به ، فان أُعْطيتَ الرضى والا كنت على عزك وسلطانك . فقال له : والله لو اردت ذلك لما نالوا من أطرافي طرفاً ، ولكني آثرت الله ورسوله ، ولم نرَ الخروج عن الطاعة والجماعة .

وذكر ان سليمان قال لموسى: ما الذي كنت تفزع اليه عند حروبك ومباشرة عدوّك ؟ قال: الدعاء والصبر عند اللقاء . قال: فأي الخيل رأيتها في تلك البلاد أسبق ؟ قال: الشقر. قال : فأي الأمم كانوا أشدّ قتالاً ؟ قال: هم أكثر من أن أصفهم . قال : أخبرني عن الروم . قال : أسد في حصونهم ، عقبان على خيولهم ، ونساء في مراكبهم، ان رأوا فرصة انتهزوها، وان رأوا غلبة فأوعال تذهب في الجبال ، لا يرون الهزيمة عاراً . قال: فأخبرني عن البربر. قال: هم أشبه العجم بالعرب لقاءً ونجدة وصبراً وفروسية ، غير انهم أغدر الناس لا وفاء لهم ولا عهد . قال: فاخبرني عن الأندلس . قال: ملوك مترفون وفرسان لا يجبنون . قال : فاخبرني عن الافرنج. قال : هناك العدد والعدة

والجلد والشدّة والبأس والنجدة . قال : فاخبرني كيف كانت الحرب بينك وبينهم أكانت لك أو عليك ؟ فقال : أما هـذا فوالله ما هُزِمَتْ لي راية قط ، ولا بُـدِّد جمعي ولا نكب المسلمون معي منذ اقتحمت الأربعين الى ان بلغت الثمانين . فضحك سليمان ، وعجب من قوله .

ثم دعا بطست من ذهب فجعل يردد بصره فيه ، فقـال له موسى : انك لتعجب من غير عجب ، والله ما أحسب ان فيه عشرة آلاف دينار ، والله لقد بعثتُ الى أخيك الوليد بتنور من زبرجد أخضر ، كان يصبّ فيـه اللبن ، فيخضر ، وترى فيه الشعرة البيضاء ، ولقد قُوِّم بمائة ألف مثقال ، وانه لَمِنْ أدنى ما بعثتُ بـه اليه ؛ ولقد أصبْتُ كذا ، وأصبت كذا ، وجعل يعدد ما أصاب من الدر والياقوت والزبرجد حتى بهت سليمان من قوله .

وخرج سليمان يوماً يتصيد ومعه موسى بن نصير ، فمرَّ في مُنْيَة[1] لها ذود غنم ، يكون فيها نحو الف شاة ، فالتفت الى موسى وقال له : هل لك مثل هذه؟ فضحك موسى وقال : والله لقد رأيتُ لادنى مواليَّ اضعاف هذه . فقـال سليمان : لادنى مواليك ؟ فقال : نعم والله نعم والله ، وردّدها مراراً ، ومـا هذه فيما افاء الله عليَّ! لقد كانت الالف شاة تباع بعشرة دراهم

---

[1] منية : اسم لمواضع كثيرة .

كل مائة بدرهم ، ولقد كان النـــاس يمرّون بالبقر والغنم فلا يلتفتون اليها، ولقد رأيت الذود من الابل يباع بدينار ، ولقد رأيت العلج الباره[1] وامرأته وأولاده يباعون بخمسين درهماً .

قال : ثم حج سليمان وخرج موسى معه وكان موسى من اعلم الناس بالنجوم، فلما احتلّ بالمدينـة قال لبعض اخوانـه: ليموتن بعد غد رجل قد ملأ ذكره المشرق والمغرب؛ فمات هو في اليوم الثاني، وصلى عليه مسلمة بن عبد الملك . وكان مولد موسى سنة ١٩ في خلافة عمر بن الخطاب ( رضه ) . قيل انـه من لخم وقيل من بكر بن وائل .

وقال ابن بشكوال في كتاب الصلـة له : انه موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن زيـد . وقال غيره : كان نصير ولاّه معاوية بن ابي سفيان عـلى خيله ، فـلم يقاتل معه علياً . فقال له : مـا يمنعك من الخروج معي على عليّ ويدي عليـك ولم تُكافِني عليها ؟ فقال : لم يمكنّي ان اشكرك بكفرِ من هو أولى بشكري . فقال : ومن هو ؟ فقال : الله عزّ وجل .

قال : فاطرق معاوية مليّاً، ثم قال : أستغفرُ اللهَ؛ ورضي عنه.

وقال الليث بن سعد : لما قدم موسى بن نصير افريقيـة حين الفتح اخرج ابناً له يسمى عبد الله الى بعض نواحيها فاتاه بمائة الف رأس من السبي، اكثرهن وجوه كالبـدور. ثم وجّه

---

[1] الباره : اي الابيض الجسم .

ابناً له يسمى مروان الى ناحية اخرى ، فاتاه كذلك . ثم خرج هو بنفسه فأتى بنحو ذلك . قال الليث : فبلـغ الخمسة وستين الفاً . قال: فلم يسمع بمثل سبايا موسى في الاسلام .

وفي سنـة ٩٠ كان خروج موسى من الاندلس الى الشام واستخلف ابنه عبد العزيز عليها .

## ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير

واستخلف موسى على الاندلس ابنه عبد العزيز وترك معه حبيب بن ابي عبدة بن عقبة بن نافع وزيراً له ومعيناً ، واقام معهما بالاندلس من اراد سكناها ، فلما وصل موسى الى اشبيلية أقرّ فيها ولده فارتضاها قاعدة ملكه وتزوّج بعد خروج ابيه أمّ عاصم امرأة لذريق واسمها ايلة وسكن معها باشبيلية ، فلما دخل بها قالت له : ان الملوك اذا لم يتوجوا فلا ملك لهم ، فلو عملت لك مما بقي عندي من الجوهر والذهب تاجاً . فقال لها : ليس ذلك في ديننا. فقالت له: ومن اين يعرف اهل دينك ما انت فيه في خلوتك؟ فلم تزل به حتى فعل . فبينما هو ذات يوم جالس معها، والتاج على رأسه، اذ دخلت عليه امرأة كان قد تزوّجها زياد بن نابغة التميمي من بنات ملوكهم، فعايَنَته والتاج على رأسه فقالت لزياد: ألا أعمل لك تاجاً ؟ فقال لها: ليس في ديننا استحلال لباسه . فقالت له: ودِينِ المسيحِ انه على رأس ملككم وامامِكم. فاعلم بذلك زيادٌ حبيبَ بن ابي عبدة ، ثم تحدّث بذلك حتى علمه خيار الجند فلم يكن له همّ إلا كشفُ ذلك حتى رأوه عياناً فقالوا: قد تنصّر ؛ ثم هجموا عليه فقتلوه.

وقال الواقدي : ان التي نكح، بعد خروج ابيه ، هي ابنة

لذريق فجاءته من الدنيا بما لا يوصف ، فلما دخلت عليه قالت له : ما لي لا ارى اهل مملكتك يعظمونك ولا يسجدون لك كما كان اهل مملكة ابي يفعلون له ؟ فأمر بباب فنُقِب في ناحية قصره وجعله قصيراً ، فكان يأذن للناس منه ، فيدخل الداخل مُنَكِّساً رأسه قبالته لقصر الباب ، وقد جعل لها مجلساً تنظر منه الى الناس اذا دخلوا عليه من حيث لا يرونها ، فلما رأتهم على ذلك ظنَّت انهم يسجدون ، فقالت لعبد العزيز : الآن قوي مُلككَ . وبلغ الناسَ ما اراد بذلك الباب فثار به حبيب بن ابي عبدة الفهري وزياد بن عذرة البلوي وزياد بن نابغة التميمي ومن معهم من الناس فقتلوه . وقيل ايضاً : انما قتلوه لانه خلع طاعة سليمان بن عبد الملك إذ بلغه قتل اخيه وما صنع بابيه .

قال الرازي : لما قفل موسى بن نصير استخلف ابنه عبد العزيز على الاندلس فضبط سلطانها وسدَّ ثغورها وافتتح مدائن كثيرة ، وكان من خير الولاة إلا أن مدَّته لم تطل لوثوب الجند عليه وقتلهم له لاشياء نقموها عليه ، وكان قتله صدر رجب من سنة ٩٧ بمدينة اشبيلية بمسجد رفينة ، ولما دخل المحراب قرأ فاتحة الكتاب ثم قرأ سورة الواقعة ، فعلاه من خلفه زياد بن عذرة البلوي بالسيف فقتله وهو يقول : قد حقَّت عليك يا ابن الفاعلة . فكانت ولايته سنة واحدة وعشرة اشهر .

وذكر أن سليمان بعث إلى الجند يأمرهم بقتله عند سخطه على أبيه ، وانهم لما قتلوه حزّوا رأسه وقدم به على سليمان حبيب بن ابي عبدة الفهري . فقيل : انه عرض الرأس على والده وهو في محبسه فتجلّد لحرّ المصيبة ، وقال : هنيئاً له الشهادة ، قتلتم والله صواماً قواماً . قال الرازي : فكانوا يعدّون فعل سليمان هذا بموسى وابنه من كبار زلاّته التي لم تزل تنقم عليه .ومكث أهل الأندلس شهوراً لا يجمعهم وال حتى اجتمعوا على أيوب بن حبيب اللخمي ابن اخت موسى بن نصير .

## ذكر ولاية ايوب بن حبيب

ثم اجتمع أهل الاندلس على تقديم أيوب هذا يؤمّهم لصلاتهم ، وكان رجلاً صالحاً ، وأقاموا مدّة دون أمير ، ونقلوا دار السلطان الى قرطبة ، فتقدّم أيوب بن حبيب واحتلّ بقصر قرطبة . وكان مغيث قد اختطّه لنفسه ، فذُكر ان موسى بن نصير حين اقلعه رسول الوليد ، رجع في قفوله على طريق طارق ليختبر الأندلس ، فنزل قرطبة ، وقال لمغيث : ان هذا القصر لا يصلح لك ، وانما يصلح للعامل الذي يكون بقرطبة . فتنحّى عنه يومئذٍ ، ونزله بعد ذلك أيوب بن حبيب ، فكانت ولايته ستة أشهر .

## ولاية الحر بن عبد الرحمن الثقفي

لما ولّى سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد مولى ابنة الحكم بن العاصي افريقية ، كانت الاندلس وطنجة الى صاحب افريقية ، فوجّه محمد بن يزيد الحر بن عبد الرحمن هذا عاملاً على الاندلس في أربعمائة رجل من وجوه افريقية ، فبقي الحر والياً عليها ثلاث سنين فنقل الحر هذا الامارة من اشبيلية الى قرطبة . وكان قدوم الحر الاندلس سنة ٩٩ من الهجرة .

# ولاية السمح بن مالك الخولاني

ثم ولى امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز (رضه) السمح بن مالك على الاندلس وأمره ان يحمل الناس على طريق الحق ولا يعدل بهم عن منهج الرفق وان يخمس[1] ما غلب عليه من ارضها وعقارها ويكتب اليه بصفة الاندلس وانهارها . وكان رأيه نقل المسلمين منها واخراجهم عنها لانقطاعهم عن المسلمين واتصالهم باعداء الله الكفار؛ فقيل له: ان الناس قد كثروا بها وانتشروا في اقطارها، فأضرب عن ذلك. فقدم السمح الاندلس وامتثل ما أمره به عمر (رضه) من القيام بالحق واتباع العدل والصدق، فانفرد السمح بولايتها ، وعزلها عمر عن ولاية افريقية اعتناءً بأهلها وتهمّماً بشأنها .وكان المسلمون اذ فتحوا قرطبة وجدوا بها آثار قنطرة فوق نهرها على حنايا وثاق الاركان من تأسيس الامم الداثرة، قد هدمها مدود النهر على مرّ الازمان، فتقدم الى فضيلة النظر فيها عمر بن عبد العزيز (رضه) عندما اتصل به خبرها؛ فأمر السمح بابتنائها ، فصنعت على اتمّ واعظم ما بني عليه جسر من حجارة سور المدينة .

وفي سنة ١٠١ ورد كتاب امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز

---

١ يخمس ، يأخذ خمس الاموال .

على السمح بن مالك بالاندلس يأمره ببناء القنطرة بصخر السور وبناء السور باللبن ، ويأمره باخراج خمس قرطبة ؛ فخرج من الخمس البطحا المعروفة بالربض، فأمر الخليفة عمر ان يتّخذ بها مقبرة للمسلمين، فتمّ ذلك . وقُتل السمح رحمه الله بطرسونة ؛ وذلك أنه غزا الروم في سنة ١٠٢ فاستشهد رحمه الله يوم عرفة، فكانت ولايته سنتين وأربعة أشهر ، وقيل ثمانية اشهر ، وقيل ثلاث سنين .

## ولاية عبد الرحمن

### ابن عبدالله الغافقي الأندلس

ثم قدّم أهل الأندلس على أنفسهم عبد الرحمن بن عبدالله الغافقي هذا ، فدخلها في شهر ذي الحجة سنة ١٠٣ .

# ولاية عنبسة بن سحيم الكلبي

ثم ولّى يزيد بن أبي مسلم عامل افريقية على الأندلس عنبسة بن سحيم هذا ، فدخلها في شهر صفر . فلما قتل يزيد ابن أبي مسلم كان على افريقية محمد بن يزيد مولى الانصار ، على ما ذكره الطبري بتقديم أهل افريقية ، واقرار يزيد بن عبد الملك اياه .

وفي سنة ١٠٣ كان العامل على افريقية من قبل يزيد بن عبد الملك بشر بن صفوان أخو حنظلة ، فأقرّ عنبسة على الاندلس، فكانت ولاية عنبسة كلها أربع سنين وثمانية أشهر ، وقيل غير ذلك .

وفي سنة ١٠٥ خرج عنبسة غازياً للروم بالاندلس ، وأهلها يومئذٍ خيار فضلاء أهل نية في الجهاد وحسبة في الثواب ، فألحّ عليها في القتال والحصار حتى صالحه أهلها. وتوفي عنبسة في شعبان سنة ١٠٧ ، فكانت ولايته كما ذكرنا .

## ولاية يحيى بن سلمة الكلبي

وذلك انه لما توفي عنبسة قدَّم أهل الاندلس على انفسهم رجلًا من العرب يقال له عذرة، الى ان ورد بعد شهرَيْن يحيى ابن سلمة الكلبي والياً من عند أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك في آخر سنة ١٠٩؛ فكانت ولايته سنتين وستة اشهر. ومات بشر بن صفوان بافريقية، فولى هشام بن عبدالملك مكانه عبيدة بن أبي الاعور السلمي.

## ولاية حذيفة بن الاحوص

ثم ولي الاندلس حذيفة بن الاحوص الاشجعي وقيل القيسي؛ ولاه عليها عبيدة بن عبد الرحمن السُّلَمي عامل افريقية من قِبَل هشام بن عبد الملك في سنة ١١٠، فكانت ولايته ستة اشهر.

## ولاية عثمان بن أبي نسعة

ثم ولّى عبيدة بن عبد الرحمن بن أبي الاعور السلمي على الاندلس عثمان بن أبي نسعة الخَثْعَمي ، فقدمها في شعبان سنة ١١٠، وكانت ولايته خمسة اشهر وقيل ستة اشهر ، ثم عزل وانصرف الى القيروان فمات بها .

## ولاية الهيثم بن عبيد الكناني

ثم ولي الاندلس الهيثم بن عبيد الكناني في صدر سنة ١١١، وكانت ولايته عشرة اشهر وقيل غير ذلك . وهو الذي غزا منوسة واقام والياً عشرة اشهر، كما ذكرنا، وقيل سنة وشهرين، ثم توفي .

## ولاية محمد بن عبدالله الاشجعي

ثم قدّم اهل الاندلس على انفسهم محمد بن عبدالله الاشجعي فكانت ولايته شهرين، وقيل غير ذلك.

## ولاية عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي

ثم ولّي الاندلس عبد الرحمن هذا ثانية ، وكان جلوسه لها في صفر سنة ١١٢ ، فأقام والياً سنتَين وسبعة أشهر ، وقيل وثمانية أشهر ؛ واستشهد في أرض العدوّ في رمضان سنة ١١٤ .

## ذكر ولاية عبد الملك بن قطن

ثم ولّي عبد الملك بن قطن بن نفيل بن عبد الله الفهري ، فدخلها في شهر رمضان المذكور الذي توفي فيه عبد الرحمن الغافقي ، فألفاه قد استشهد . وقيل دخلها في شوال من سنة ١٢٤ ، وكانت ولايته سنتَين ، وقيل غير ذلك .

# ولاية عقبة بن الحجاج السلولي

ثم ولّي عقبة بن الحجاج السلولي في شوال، وهي سنة ١٣١ ، وقالوا في ولايته : كان عبيد الله بن الحبحاب عامل مصر وافريقية فقدم عليه عقبة بن الحجاج ، وكان مولاه ، فأكرمه وبرّه ، ورفع شأنه وقدره ، وأنزله في مكانه ، وخيّره في ولاية ما شاء من سلطانه . وكان الحجاج أبو عقبة قد اعتق الحبحاب أبا عبيد الله ؛ فولّى هشام بن عبد الملك عبيد الله بن الحبحاب مصر وافريقية والاندلس ، فكان له من العريش الى طنجة ، الى السوس الاقصى ، الى الاندلس ، وما بين ذلك .

وكان أحد بنيه بمصر ، والثاني بالسوس وطنجة ، والثالث بالاندلس . وكان عبيد الله بافريقية ، فلمّا شرف عبيد الله وعلَت منزلته ، وانتشر ذكره ، وفد عليه مولاه عقبة ، فأجلسه معه على فراشه ، وأدناه من نفسه ، وقرّبه حتى عظمت منزلته في الناس . فكان يقصده الطالبون وذوو الحاجات يتوسلون به الى عبيدالله، فغصّ به بنو عبيدالله وقالوا لوالدهم : اصرفه عنّا لِئَلا يكسر شرفنا، فما زاده ذلك عنده الا تعظيماً وتكريماً ، وخيّره في ولاية ما شاء من سلطانه فاختار الاندلس فولاه عليها، وكان يجاهد المشركين في كل عام ويفتتح المدائن،

وهو الذي فتح مدينة اربونة وافتتح جليقية وبنبلونة واسكنها المسلمين .

وعَمَّت فتوحاته جليقية كلها غير الصخرة فانه لجأ اليها ملك جليقية وكان بها في ثلاثمائة راجل ؛ فما زال المسلمون يضيقون عليهم حتى صاروا ثلاثين رجلًا وحتى فنيت ازودتهم ولم يتقوتوا الا بعسل يجدونه في خروق الصخرة . واعيا المسلمين امرهم فتركوهم وأقام عقبة بالاندلس باحسن سيرة واجملها واعظم طريقة واعدلها الى ان غزا ارض افرنجة فلقيَتْه جيوش الاعداء فقُتل هو ومن معه ببلاط الشهداء .

وذكر عنه انه كان صاحب بأس ونجدة ونكاية للعدو وشدّة، وكان اذا اسر الاسير لم يقتله حتى يعرض عليه دين الاسلام ويقبح له عبادة الاصنام، فيذكر انه أسلم على يديه بهذا الفصل[1] ألف رجل ، وكانت ولايته خمسة اعوام وشهرين .

وقيل ان اهل الاندلس ثاروا على عقبة بن الحجاج وخلعوه.

قال ابن القطان : وقيل ان عقبة بن الحجاج لما حانت وفاته استخلف عبد الملك بن قطن .

قال : واقام عقبة على الاندلس والياً الى سنة ١٢١ .

---

١ الفصل : اي القول الفصْل .

## ولاية عبد الملك بن قطن الفهري ثانية

وفي سنة ١٢٢ ولي عبد الملك بن قطن ثانية حتى كان من امر البربر وبلج بن بشر ابن اخي كلثوم وعياض عامل افريقية ما اذكره.

قال ابن القطان: وذلك ان هشام بن عبد الملك كان قد ندب كلثوماً لقتال البربر، وولاّه افريقية، وبعث معه ثلاثين ألف فارس: عشرة آلاف من صلب بني أمية، وعشرين ألفاً من العرب، وعهد إليه في سدّ افريقية وضبطها، اذ كانوا يجدون في الروايات ان ملكهم يزول، وان ملك بني العباس لا يجاوز الزاب، فتوهّمته بنو أمية زاب مصر، وانما كان زاب افريقية؛ فأمر بالجدّ في أمر افريقية ليلجأوا اليها اذا ذهب ملكهم؛ وعهد، إن حدث بكلثوم حدثٌ، أن يكون ابن أخيه بلج مكانه. فدارت بينه وبين البربر حروب عظيمة هزموا في بعضها كلثوماً وقتلوه؛ وصار أمر العرب بافريقية الى بلج بالعهد المذكور، ولجأ فلّهم الى سبتة حتى ضاق عليهم الأمر ضيقاً عظيماً؛ فكاتب بلج وأصحابه عبد الملك بن قطن صاحب الاندلس، وسأله إدخاله وإدخال من معه من الجند، وذكروا له ما صاروا اليه من الجهد، وانهم قد أكلوا دوابّهم. فأبى عبد الملك إدخالهم، ولم يأمنهم، ومطلهم بالميرة والسفن.

واتّفق ان تطاولت البربر أيضاً بالأندلس وفاضحوا العرب ، وظهروا على الساكنين منهم بجليقية وغيرها ، فقاتلوهم وطردوهم . فلما ورد فلّ العرب على عبد الملك بن قطن ، ورأى عادية البربر ، اضطرّ ، لأجل ذلك ، الى ادخال بلج وأصحابه ، فكاتبهم وشرط عليهم مقام سنة بالاندلس ثم يخرجون عنها ، فرضوا بذلك ، فأخذ منهم رهائن أنزلهم بجزيرة ام حكيم ، وهي على الخضراء ، ثم أدخل بلجاً واصحابه عراة لا يواريهم الا دوابّهم وقد بلغ بهم الجهد غاية ، وكانوا نحو عشرة آلاف من عرب الشام . فلما دخلوا كساهم عرب الأندلس على قدر اقدارهم ، فربّ رجل يكسو مائة رجل ، وآخر عشرة ، وآخر واحداً الى ما بين ذلك .

فلما حلّوا بالخضراء اجتمع بهم عبد الملك بن قطن ، وكان بشذونة جمعٌ من البربر عليهم رجل زناتي ، فبدأ عبد الملك بمقاتلتهم في وادي الفتح من شذونة فلم يكن للعرب فيهم الا نهضة حتى أبادوهم واصابوا امتعتهم ودوابهم ، فاكتسى اصحاب بلج وانتعشوا واصابوا المغانم ثم نهضوا مع عبد الملك الى قرطبة ثم ساروا بأجمعهم الى جهة طليطلة وقد اجتمع هنالك معظم البربر فكانت هزيمتهم العظمى هنالك بوادي سليط من حوز طليطلة بعد ان زحف عبد الملك وبلج اليهم بعرب الاندلس حاشا عرب سرقسطة وثغورها ، وزحف البربر بأجمعهم فهزمهم العرب وقتلوا منهم في الهزيمة آلافاً .

# ذكر ولاية بلج بن بشر القشيري الاندلس

قال مَنْ له عناية بالاخبار : دخل بلج الاندلس سنة ١٢٣ في ذي القعدة منها وملكها بعد ذلك . وذلك انه لما اباد ابن قطن البربر بالاندلس، بمن كان معه من العرب وباصحاب بلج، قال لبلج واصحابه : اخرجوا من الاندلس على ما شورطتم عليه. فقال بلج : احملنا الى ساحل البيرة او ساحل تدمير . فقال له عبد الملك : ليست لنا مراكب الا بالجزيرة . فقالوا له: انما تريد ان تردنا الى البربر ليقتلونا في بلادهم . فلما الح عليهم في الخروج نهضوا اليه فاخرجوه من قصر قرطبة الى داره بالمدينة. ودخل بلج القصر عشية يوم الاربعاء في صدر ذي القعدة من السنة . وكان بلج ، وقت جوازه عن سبتة ، قد اعطى رهائن لابن قطن ، جعلهم ابن قطن بجزيرة ام حكيم . فضاعوا مدة الفتنة بين بلج وابن قطن والجزيرة المذكورة دون ماء ، فمات رجل من غسان عطشاً وكان من الرهائن من اشراف دمشق .

# مقتل عبد الملك بن قطن الفهري

لمّا ملك بلج الاندلس ، واستولى عليها ، طلب منه الجند ان يعطيهم ابن قطن في الغساني المذكور ؛ فتوقّف بلج ، فألحّ الجند ، وثارت اليمن كلها على كلمة واحدة . وكان ابن قطن شيخاً هرماً ، قد بلغ التسعين ، وكان قد حضر يوم الحَرّة ومنها فرّ الى افريقية ، وكان يومئذٍ بداره بقرطبة ، فأخرجه الجند منها كأنه فرخ نعامة من الكبر ، وهم ينادونه : افلتّ من سيوفنا يوم الحِرّة فطلبتنا بثأرنا في أكل الدواب والجلود ، ثم أردت إخراجنا الى القتل . ثم قتلوه وصلبوه ، وصلبوا خنزيراً عن يمينه ، وكلباً عن شماله .

ثم ان أمّة وقطناً ، ابنَي عبد الملك بن قطن ، حشدا في جهة سرقسطة ، وكانا قد هربا من قرطبة وقت إخراج أبيهما منها ، وجاءا الى بلج طالبين بثأرهما ، وهما في نيّف على مائة ألف من العرب القدماء والحدثاء ، فخرج اليهما بلج ، وهو في أقلّ من خمس عددهما ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم انهزم ابنا عبد الملك ومن معهما هزيمة عظيمة ، وانصرف اصحاب بلج ظافرين ، وقد امتلأت أيديهم وأنفسهم غنماً

ونصراً وسروراً ، إلا ان بلجاً أميرهم وقيذ[1] من جراحة أصابته في المعركة ومات بعد أيام . وكانت مدة امارته ١٢ شهراً ، واختلف في ذلك .

قال أبو عمر السالمي : ان تلك المعركة انجلت عن أحد عشر الف قتيل ، وإن عبدالرحمن بن علقمة فوّق سهماً الى بلج ، فأصاب مقتله . قال هذا في كتاب درر القلائد ، وغرر الفوائد . وقال في كتاب بهجة النفس : ان عبدالرحمن بن علقمة المذكور قتله بالسيف ، وان ولايته ستة أشهر ، والأول أصحّ .

---

١ الوقيذ : الشديد المرض المشرف على الموت .

## ولاية ثعلبة بن سلامة العاملي الاندلس

وفي سنة ١٢٤ في شوال ولي الاندلس ثعلبة بن سلامة ؛ ولاه أهل الشام . وذلك أن هشام بن عبدالملك كان قد عهد ان يتولى أمر الجيش ، إذ جهزه من الشام ، كلثوم ، فان أُصيب فابن أخيه بلج ، فان أُصيب فثعلبة ؛ فاقعد أصحابه ثعلبة بن سلامة بما عهد به هشام اليه ، وبايعوه وثار من بقي من البربر بماردة في ايامه فغزاهم وقتل منهم خلقاً كثيراً وأسر منهم نحو الالف ، وانصرف الى قرطبة ، فسار بأحسن سيرة . وكانت ولايته عشرة اشهر ، هذا مساق ابن القطان .

ومن درر القلائد : كان يبيع ذراري أهل البلد ويحملهم اسراً ، ويرهقهم من امرهم عسراً ، فكان ثعلبة معهم على هذه الحال ، الى ان ورد ابو الخطار .

# ذكر ولاية أبي الخطار الحسام

## ابن ضرار الكلبي الاندلس

وفي سنة ١٢٥ ركب أبو الخطار البحر من ناحية تونس في المحرم ، وحلّ بقرطبة فالفى ثعلبة بن سلامة بالمصارة ومعه الاسرى والسبي من عرب قرطبة قد اشتبك في الحبائل الولد بالوالد ، فامر ابو الخطار باطلاقهم ، وحلّهم من وثاقهم ، وجمع الناس بعد افتراقهم ، وصرفهم الى معهود اتفاقهم ؛ فدانت له جماعتهم وفرق اهل الشام على الكوَر ، ونظر لسواهم ايضاً باحسن النظر ، فانزل اهل دمشق بالبيرة ، وأهل الاردن برية ، واهل فلسطين بشذونة ، وأهل حمص باشبيلية ، واهل قنسرين بجيان، واهل مصر بباجة ، وبعضهم بتدمير ، وكان انزالهم على أموال العجم ، من أرضٍ ونَعَمٍ . وداخل في ذلك الوقت الصُمَيل بن حاتم ، وسيأتي ذكره، وتعصّب المضَريون معه ، وأتوا الى قرطبة حيث أبو الخطار فخرج اليهم دون عدّة ، فهزمه القوم ، وقبضوا عليه ، وأثقلوا بالحديد رجليه ، ثم انه أفلت من كبله ، ومدّ ما انقبض من رجليه .

ومن كتاب بهجة النفس قال :

لما هزم ثعلبة البربر سبى ذراريهم، ولم يكن قبلُ بلجٌ ولا

غيره يتعرّض للذرّية بسباء ، فأقبل الى قرطبة بعدد من السبي كثير ، حتى نزل طرف المصارة ، من قرطبة ، ومعه الاسرى والسبي من عرب البلد والبربر ، وهو يبيع السبي في النداء ، ويعبث ويبطر ، فكان يبيع الشيوخ والأشراف ممن ينقص لا ممن يزيد ، وكان فيهم علي بن الحصين ، والحرث ابن أسد من أهل المدينة ، فابتدأ المنادي عليهما بعشرة دنانير ، فلم يزل ينادي من ينقص ، حتى باع أحدهما بعود ، والآخر بكلب . فبينا هو على هذه الحال من العبث والبغي ، وقد اوقف رجالهم وأبرزهم للقتل ، وذلك يوم جمعة ، اذ قدم أبو الخطار ، فألفاهم بهذه الحال ، فأمر بإطلاقهم ، فسمي عسكر العافية .

وكان أهل الأندلس طلبوا من صاحب افريقية ، حنظلة ابن صفوان ، عاملاً يجمع كلمتهم ، اذ كانت الكلمة مفترقة ، والقتل ذريع ، ولا يأمنون تغلّب العدو عليهم ، فأرسل اليهم أبا الخطار هذا ، واجتمع على أبي الخطار أهل الشام وعرب البلد ، ودانت له الاندلس . ثم انه أمّن ابنَي عبد الملك بن قطن ، وأنزل أهل الشام في الكوَر ، وتعصّب لليمانية ، واعتزل قيساً ، فكان ذلك سبب توثّب الصميل بن حاتم عليه مع مضر بعد ان وُلي سنتَين ، وقيل تسعة اشهر ، وقيل ثلاث سنين .

## ذكر الصميل بن حاتم وسبب الفتنة

قال في كتاب بهجة النفس : كان الصميل بن حاتم هذا جدّه شَمِر قاتل الحسين (رضه) وهو من اهل الكوفة ، فلما قتله تمكّن منه المختار بن أبي عبيد فقتله ، وهدم داره ، فارتحل مع ولده من الكوفة وصاروا بالجزيرة ثم صاروا في جند قنسرين فرأس الصميل بالاندلس وفاق بالنجدة والسخاء، فاغتمّ أبو الخطار به ، فدخل عليه يوماً وعنده الجند ، فاحبّ كَسْرَه فامر عليه فشُتِم ولُكِز ، فخرج عنه مغضباً ، واتى داره ، ثم بعث الى خيار قومه فشكا اليهم ما لقي ، فقالوا: نحن تَبَعٌ لك. فقال: والله ما أحبّ ان اعرضكم للقضاعية ولا لليمانية ، ولكني ساتلطف وادعو ألفة مرج راهط ، وادعو لخماً وجذاماً ، ونُقَدِّمُ رجلا يكون له الاسمُ ولنا الحظُّ. فكتبوا الى ثوابة بن سلامة الجذامي من أهل فلسطين ثم وفدوا عليه فاجابهم وأجابَتْه لخمٌ وجذام. فبلغ ذلك أبا الخطار فغزاهم فلقيه ثوابة فهزمه ثوابة واسره، وسار ثوابة حتى دخل قصر قرطبة وأبو الخطار معه في قيوده، ثم انه أفلت كما ذكرنا .

ثم ولي ثوابة سنتَيْن ، ولما ولي ثوابة سنة ١٢٨ ، استجاش أبو الخطار اليمانية ، ودعاهم للنصرة على المُضَرية ، فاجتمع له

اذ ذاك حفل وعسكر ضخم واقبل الى قرطبة ، فخرج ثوابة ابن سلامة الى لقائه ، فافترق الناس عن ابي الخطار ، ونفروا عن تلقائه . وتوفي اثر ذلك ثوابة في السنة المذكورة ، وكانت ولايتـه كما ذكرنا . فلمـا توفي ثوابة عـادت الحرب الى ما كانت عليه ، فأرادت اليمن ان تعيـد أبا الخطار ، فأبت ذلك مضر مع الصميل ، وتشاكس الفريقان ، وأقـامت الأندلس أربعة أشهر من غـير والٍ ، إلاّ انهم قدّموا عبـد الرحمن بن كثير اللخمي للنظر في الأحكام . وصـار أمر الشام وملوكه متغيّر الحال ، فقتل يزيد الوليد ، وصارت اليـه أحوال بني مروان .

# ولاية يوسف بن عبد الرحمن

## الفهري الاندلس

لما تفاقم الامر وكثر الاختلاف بين اهل الاندلس تراضوا واتفقوا على تولية يوسف بن عبد الرحمن الفهري وعلى ان يَدَعوا ليحيى بن حريث كورة رية فتُركت له طعمة .

وقد كانت قضاعة اجتمعت قبل ذلك وقدّموا على انفسهم عبد الرحمن بن نعيم الكلبي، فجمع مائتي راجل واربعين فارساً فبيّت القصر بقرطبة وقاتل الاحراس وهجم على السجن واخرج ابا الخطار وهرب به الى البلد ، فاقام في كلب وقبائل من حمص فاكتنفوه ومنعوه ، ولم يُحدث شيئاً حتى اجتمع الناس على يوسف . فلما استقام له الامر غدر بيحيى بن حريث وعزله عن كورة رية ، فغضب ابن حريث وكاتب ابا الخطار حيناً . فقال ابو الخطار : انا الامير المخلوع فانا أقوم بالامر . وقال ابن حريث : بل انا اقوم به ، لان قومي اكثر من قومك . فلما رأت جذام ما يدعو اليه ابن حريث قدّموه واجابوه ، فاصفقت يمن الاندلس وحِميْرها وكندتها على تقديمه والطوع له ، وانحازت مضر وربيعة الى يوسف بقرطبة حاضرة الملك ، وأقبلا حتى نزلا شقندة . وكان الصميل مع يوسف الفهري ، وهو الذي

سأله الناسُ ان ينظر لهم في والٍ يلي عليهم لشغل امير المؤمنين مروان بن محمد بالمشرق عنهم وبعده عنهم ، فاختار لهم يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبدة بن عقبة بن نافع الفهري ، وكان يومئذ بالبيرة ، فرضيه الناس كما ذكرنا . ووقع اختلاف بعد ذلك في امره بين مضر واليمن ، فانضوت اليمن الى ابي الخطار من جميع البلاد والأقطار ، وزحف بهم الى يوسف الفهري بقرطبة فكره يوسف الفتنة وخاف البغضاءَ والشحناءَ . فنزل الصميل بن حاتم بالمحلاّت وشكّ السلاح والآلات ؛ واقبل ابو الخطار بمن معه ونزل موضعه ، فالتقت بشقندة الفئتان ، وتصادمت الفرقتان ، فما تسمع الاّ صهيلاً وصليلاً ، ولا ترى الاّ قتيلاً ، حتى تكسرت الخَطّيّات ، وتفللت المشرفيات ، والتفت الساق بالساق ، وانضمّت الأعناق الى الأعناق ، فلم يعهد حرب مثلها في المسلمين ، بعد حرب الجمل وصفّين ، الى ان انهزمت اليمانية مع ابي الخطار بعد حين ، وهرب ابو الخطار ، وركب الفرار ، واستتر في رحى للصميل هنالك ، فظُفِر به وقُتِل اذ ذلك ، فرأس الصميل بن حاتم في الناس ، وشهر بالنجدة والباس ، وصرف يوسف الفهري اليه الأمور ، واوقف عليه الرئاسة والتدبير ، فكان ليوسف الاسم ، وللصميل الرسم .

ولما أُخِذ ابو الخطار وأرادوا قتله قال : ليس عليَّ فوتٌ ولكن دونكم ابن السوداء ، يريد ابن حريث ، فدلَّ عليه وقُتِلا جميعاً . وكان ابن حريث يقول : لو ان دماء اهل الشام سقوني لشربتُها ، لشربتها في قدح . فلما استخرج من تحت الرحاء ليقتل قال له ابو الخطار : يا ابن السوداء ، هل بقي في قدحك شيء لم تشربه ؟ ثم قُتِل وأُتيَ بالاسرى فقعد لهم الصميل وضرب أعناقهم جميعاً ، ثم أتبع الله الاندلس بعد ذلك بالوباء والموت في السنة الثانية حتى كاد الخلق ان ينقرض منها . وولي يوسف عن عامة الجند من مضر ويمن والشام فصفت له الاندلس بعد يوم شقندة وخلصت له القلوب والانفس ، وعاد الصميل بن حاتم قائده الاعلى ، وقدحه المعلى ، يقرب منه ما شاء ، ويدفع عنه ما شاء ، إلى ان تمكن بالدولة وتملك ارقاب تلك الجملة فشرِق به يوسف وقلق ، وخشي من جانبه ، فرأى ان يبعده من مكانه ، ويوليه بعض سلطانه ، فولاه سرقسطة وبلادها سنة ١٣٢ فكان فيها إلى ان قام عليه فيها الحُباب بن رَواحة من بني زُهرة بن كِلاب ، فحاصره مدة من سبعة اشهر وقعد يوسف عن اغاثته ، واعتذر بشدة الاندلس في ذلك الوقت ومجاعته ، رغبة في تلافه وهلاكه ، وحرصاً

على الراحة منه لاستحواذه واستملاكه ، الى ان اجتمع قومه بالبيرة وجيّان وصاروا الى نصرته وتفريج كربته .

وقيل ان الذي قام على يوسف بسرقسطة تميم بن معبد الزهري وعامر العبدي ، فغزا يوسف اليها في سنة ١٣٨ فكان عليها إلى ان دخل عبد الرحمن الداخل الى الاندلس .

وفي سنة ١٣٠ كانت وقعة شقندة ، واجتُمع على يوسف وكان يوم ولايته ابن ٧٥ سنة وملك تسع سنين . وكان قبل ولايته معتزلاً في بادية من اهل الديانة والاظهار للخير .

وفي سنة ١٣١ امحلت الاندلس وعمّ المحل وتمادى الى سنة ١٣٦ وتمادى ذلك سنة محل وسنة غيث واتّصل المحل الشديد سنة ١٣١ او ١٣٢ ثم سقي الناس سنة ١٣٣ وعادت الى بعض الصلاح .

وفي سنة ١٣٣ ثار أهل جليقية ، وترددت الغارات عليها . ثم استحكم الجوع والقحط في سنة ١٣٤ و ١٣٥ وبعض سنة ١٣٦، فخرج اكثر الناس الى طنجة وزويلة وريف البحر في العدوة، وكانت اجازتهم من وادي شذونة ، وهو المعروف بوادي برباط وبه سميت السنة .

## تسمية من ثار على يوسف

ابن عبد الرحمن الفهري بالاندلس

منهم عبد الرحمن بن علقمة اللخمي ، ثار عليه بأربونة فحاربه ولم يمكث في حربه الا يسيراً حتى امكن الله منه .

وثار عليه عروة بباجة فوجّه اليه يوسف مَنْ هزمه وقتل اصحابه .

وثار عليه تميم بن معبد سنة ١٣٦ . وفي سنة ١٣٧ اجتمع تميم بن معبد وعامر بن عمرو بن وهب بسرقسطة فتولى محاربتهما الصميل بن حاتم .

وفي سنة ١٣٨ خرج يوسف بنفسه الى تميم بن معبد وعامر ابن عمرو بسرقسطة فحاصرهما ثم ظفر بهما وقتلهما . وفي هذه السنة انقضت ايام يوسف بن عبد الرحمن الفهري .

## جامع اخبار بني امية بالمشرق

وذلك ان جميع خلفائهم ، من لدن معاوية الى آخرهم ، اربعة عشر رجلاً . وكانت مدة دولتهم ، منذ خلص الأمر الى معاوية الى ان قُتِل مروان بن محمد ، ٩١ سنة و٩ اشهر و٥ أيام، منها أيام ابن الزبير ٩ سنين و٢٢ يوماً . ثم تفرقت بنو امية في البلاد هرباً بأنفسهم ، وهرب عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الى الاندلس فبايعه اهلها وتجددت لهم بها دولة استمرت الى بعد الاربع والعشرين والاربعمائة، والناس يعتقدون ان دولتهم كانت انقطعت من حين قتل مروان الى ان جددها عبد الرحمن الداخل سنة ١٣٦ او نحوها . وقيل : انها كانت متصلة لم تنقطع من زمن عثمان (رضه) الى زمان المعتدّ بالله بقرطبة آخر خلفائهم سنة ٤٢٤

وهذا القول ينبي على ما قاله بعضهم ان عهد عبد الرحمن بن حبيب صاحب افريقية من قِبل بني امية وصل الى يوسف بن عبد الرحمن المتغلب على الاندلس الذي دخل عبد الرحمن بن معاوية وهو اميرها، فتأمّل هذا فانه إن صحّ فانه نكتة وفائدة عجيبة .

قال أبو محمد بن حزم : وانقطعت دولة بني مروان بالمشرق

بمروان بن محمد ، وكانت على علاتها دولة عربية ، لم يتخذ ملوكها قاعدة لأنفسهم ، انما كان سكناهم، كل أمير منهم ، في داره وضيعته التي كانت له قبل الخلافة ، ولا اكثروا احتجان الأموال ، ولا بناء القصور ، ولا طلبوا مخاطبة الناس لهم بالتمويل والعبودية ، ولا تقبيل أرض ، ولا يد ، ولا رجل ، انما كان غرضهم الطاعة الصحيحة من التولية ، والعزل في أقاصي البلاد ؛ فكانوا يعزلون العمال ، ويولون الأخر في السند والهند ، وفي خراسان ، وفي ارمينية، وفي اليمن ، وفي المغرب الأدنى ، والأقصى ، وبلاد السوس ، وبلاد الأندلس . وبعثوا لها الجيوش ، وولّوا عليها من رضوا من العمال ، وملكوا أكثر الدنيا ، فلم يملك احد من ملوك الدنيا ما ملكوه من الأرض ، الى ان تغلّب عليهم بنو العباس بالمشرق ، وانقطع ملكهم .

فسار عبد الرحمن بن معاوية الى الأندلس وملكها هو وبنوه ، وقامت بها دولة بني أميّة نحو الثلاثمائة سنة ، فلم يكُ في دول الدنيا أنبل منها ، ولا أكثر نصراً على اهل الشرك ، واجمعها لخلال الخير، وبهدمها انهدمت الاندلس الى الآن وذهب بهاءُ الدنيا بذهابها .

قال ابو محمد : وانتقل الامر الى بني العبّاس بالمشرق ،

فكانت دولتهم اعجمية سقطت فيها دواوين العرب وغلب عجم خراسان على الأمر ، وعاد الأمر ملكاً عَضوضاً كسروياً الا انهم لم يعلنوا بسبِّ احد من الصحابة ( رضهم ) بخلاف ما كان عليه بنو أمية من استعمال ذلك في جانب علي ( رضه ) . وكفاهم ذلك قبحاً وباطلاً حاشا عمر بن عبد العزيز ( رضه ) ويزيد بن الوليد فلم يستجيزا ذلك .

وافترقت في دولة بني العباس كلمة المسلمين فتغلّبت في البلاد طوائف من الخوارج وشيعة ومعتزلة من ولد ادريس وسليمان ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب ( رضهم ) . ومنهم من بني أمية تغلّبوا على الاندلس وكثير من غيرهم . وفي خلال هذه الامور من اختلاف الكلمة تغلّب الكفار على نصف الاندلس وعلى نحو نصف السند . فاما ما لم يملكه العباسيون فهو ما وراءَ الزاب من بلاد المغرب وتلمسان وانظارها ، فوليها محمد بن سليمان الحسني ، وفاس وانظارها ، كان فيها شيعة ، ثم آلَ ملكها الى ادريس . واما تامسنا ففيها اولاد صالح بن طريف على ضلالتهم . واما سجلماسة فنزلها رئيس الصفرية .

هذه هي البلاد المتّفق عليها ، واما المختلف فيها فافريقية ، قيل : انه كان فيها عبد الرحمن بن حبيب ثائراً ، وفي الاندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري .

# ذكر دخول عبد الرحمن بن معاوية بن هشام

## الى الاندلس وهروبه من الشام

قال الرواة : وفي سنة ١٣٦ ابتدأ عبد الرحمن بن معاوية بمداخلة مواليه من الأموية بالاندلس ، وفي هذه السنة تفرّق ولد معاوية وولد هشام . وكان من فيه بقية من ولد مروان واميّة ، فخرج عبد الرحمن بن معاوية متخفياً من موضع الى موضع وهمّه الاندلس ، لما كان في نفسه من امرها ، ومن الأثر المروي عنه فيها ، فوصل الى مصر ثم سار منها الى برقة ، فبقي فيها مستتراً مدّة ، ثم رحل عنها ، فأوغل في المغرب .

قال بدر مولاه : فأدركتُه في الطريق ، وَجَّهتْني اليه امُّ الاصبغ اختُه شقيقتُه بدينارَيْن وشيء من جوهر يستعين بها على النفقة والوصول . فوصل الى افريقية ، وصاحبها عبد الرحمن ابن حبيب ، ومعه يهودي قد خدم مسلمة بن عبد الملك ، وسمعه يحدثه بخبر القرشي الذي يكون من بني اميّة ، يتغلّب على الاندلس ، اسمه عبد الرحمن ذو ضَفْرَتين ، فنظر الى عبد الرحمن ، فوجده بضفرتين ، فقال لليهودي : ويحك ! هذا هو المذكور ، وانا قاتله . فقال له اليهودي : ان يك ذلك لم تقتله .

ثم صار ابن حبيب يقتل الواصلين اليه من بني أميّة ، ويأخذ أموالهم ، فهرب عبد الرحمن عن القيروان ، ونجا يريد الاندلس ويشغل نفسه بها ، لما كان عنده من الرواية في علم الحدثان من قِبَل مسلمة بن عبد الملك اخي جدّه وغيره . فسار حتى أتى بلاداً من قبائل العرب ، فناله عندهم تضييق ، وأخبار يطول ذكرها . ثم هرب من عندهم حتى أتى نفزة ، وهم أخواله ، فان امه كانت من سبيهم .

قال بدر : فجزتُ الى الاندلس ، واجتمعتُ بعبيد الله بن عثمان بساحل البيرة في آخر سنة ١٣٦ ، ثم انصرفت في سنة ١٣٧ بعدها ، واقمتُ عنده مدة ثم كررتُ منصرفاً الى الاندلس في موالي عبد الرحمن .

حدّث عبد الرحمن قال : دخلت الاندلس وانا اضبط حَليّة مسلمة بن عبد الملك ، فانه أتى جَدّي هشاماً يوماً ، فوجدني عنده صبياً ، فامر جدي بتنحيتي عنه ، فقال له مسلمة : دَعْه يا أمير المؤمنين فانه صاحب بني أُمية ومحيي دولتهم بعد زوالها ؛ فلم ازل اعرف لي مَزيّة من جدي بعد .

قال الرازي : وفي سنة ١٣٧ ثار الحَبْحاب بن رَواحة بجهة سرقسطة ، وتضافر معه على ذلك عامر بن عمرو العبْدريّ من بني عبد الدار بن قُصَيّ ، وكان قد هرب من قرطبة خوفاً

من يوسف ، وكان عامر هذا احد رجال مضر ، وقد فشا بالاندلس نجدة وشرفاً وعلماً وادباً ، وكان يلي المغازي بالصوائف من قِبَل يوسف . وكان سلطان الفهري يومئذ قد ضعف لاجل المحل المتوالي بالاندلس ، وكان الصميل قد لزم الثغر في تلك الاعوام لانه كان اشبع من غيره في الخصب ، فلما خاف عامر هذا على نفسه من الفهري والصميل خرج فارّاً بنفسه وقصد الحبحاب بن رواحة ، واستجاشا فاجابهما رجال من اليمانية ، وناس من البربر ، فحُصِر الصميل بسرقسطة حصاراً شديداً ، حتى يئس من الحياة ، وهمّ بالالقاء بيده ، وكتب الى يوسف يسأله الامداد ، فلم يجد في الناس منهضاً ، فلما ابطأ عليه مدد يوسف واشتدّ الحصار ، كتب الى قومه من جند قنسرين ودمشق يعظم عليهم الخطب ، ويناشدهم الرحم ، فقام له بذلك عبيد بن علي الكلابي ، واكثر كلاب وهوازن وغطفان والازدُ ، تُقَدّم رجلاً وتؤخّر اخرى في ذلك ، ولم يكن لهم رأس يجمعهم .

فلما نهض عبيد بن علي ومضي داعياً في الجندين الى نصر الصميل ، تحرّكت جماعة كلاب ومُحارِب إلاّ كعب بن عامر وعُقَيْل وقُشَيْر والجُرْش ، فانهم كانوا مُنافسينَ لبني كلاب ، لأن الرئاسة يومئذٍ بالأندلس كانت فيهم ، وكان بلج

قشيرياً ؛ فعمَّهم الصميل ، ولم يجتمع من هذه القبائل إلا نحو أربعمائة فارس ، فاستقلُّوا أنفسهم ، ثم صمَّموا ، وخفَّ معهم يومئذٍ قوم من بني أميّة في نحو ثلاثين فارساً ، وخرج معهم أبو عثمان عبيد الله بن عثمان مولاهم ، وخرج أيضاً معهم عبد الله بن خالد بن أبان بن أسلم مولى عثمان بن عفان (رضه). وكان عبد الله وعبيد الله يتوليان حَمْلَ لواء بني أميّة بالأندلس بعد ، ويتعاقبان في ذلك ، وكان لهما ولبني أميّة في هذا المجتمع يومئذ بلاء معروف ، مشهور ، وانما أرادا ان يقدما بذلك يداً عند الصميل ، لما كانا بنيا عليه من اطلاعه على امر عبد الرحمن بن معاوية ، وكانا واثقين بالصميل ، وانه إن لم يُجِبْهما كتَمَ عليهما .

وكذلك فعل ، فانه كتم عليهما كتماً عجيباً ، فكان هذا مما دعاهم الى امداد الصميل ، واستنقاذه لاعتداد اليد عليه ؛ فخرجوا ورأسوا على أنفسهم ابن شهاب استئلافاً له ، ومشى الجميع . فلما بلغوا وادي طليطلة بلغهم ان الحصار اشتدَّ وأضرَّ بالصميل ، وانه على الهلكة ، فقدَّموا رسولاً من قِبَلهم ، وقالوا له : ادخل في جملة المحاربين للسور ، فاذا قربتَ منه ارم بهذه الأحجار ، وفي كل واحد منها بيتان وهما :

ألا ابشرْ بالسلامة يا جدارُ
أتاك الغوثُ ، وانقطع الحصارُ

أتتك بناتُ أعوَجَ ملجمات،
عليهـا الأكرمون ، وهم نزارُ

ففعل الرسول ذلك ، فلما وقعت الحجارة أُتي بها الصميل أو ببعضها ، فقرئت عليه وكان أُمّيّاً ، فلما سمع ما فيها قال : ابشروا يا قوم ، فقـد جاءَكم الغوث وربّ الكعبة .

ومضى القوم يستحثون كلَّ مَنْ استجـاب لهم ومعهـم الامويون ، وفي جملتهم بدر رسول ابن معاوية ، وكان عبد الرحمن قـد بعث اليهم خاتمه ليكتبوا بـه عنه الى كل من رجوا نصره ، فكتبوا عنـه للصميل يذكرون له ايادي أُمية عنده ويعده ويمنّيه . فلما سمع العبدري والعذري بالمدد الواصل اليه ، ارتفعوا عنه، وانكشف وجـه الصميل ، فخرج وتلقّى القوم ووصلهم على اقدارهم وكساهم وقفل معهم بماله وحشمه . فلما زال الصميل عن سرقسطة دخلها الحبحاب وملكهـا ، ثم اطلعه الامويون على قصـة ابن معاوية ، وعرضوا عليـه بدراً رسوله فاحسن اليه وقـال لهم : ارى في امره . وأقـْبَلَ قافلاً حتى دخل قرطبة وانصرف الامويون الى منازلهم، وبدر معهم ، وقد كان الصميل اتفق مع الامويين على نصرة ابن معـاوية ، وان يزوجه من ابنته . ثم رجع في قوله ، وقال : تأمّلتُ الامر ، فوجدته صعب المرام ، فبارك الله لكما في رأيكما ،

ومولاكما ، فان احبّ غَيْرَ السلطان فله عندي ان يؤاسيه يوسف ويزوّجه ويحبوه ؛ انطلقا راشِدَيْن . فانقطع رجاؤهم يومئذ من ربيعة ومضر ، ورجعوا الى اليمن .

قال بدر : فلم نمرّ بيمنيّ الا دعوناه فوجدنا قوماً قد وغرت صدورهم ، يتمنّون سبيلًا لطلب ثأرهم ، ثم رجعنا الى جندنا فابتعْنا مركباً ووجّهْنا فيه احد عشر رجلًا مع بدر .

قال : ومضى يوسف حتى أتى طليطلة ، وامضى بعثين الى جليقية ، والبشكنش ، واراد القفول الى قرطبة ، فلم يبعد حتى ادركه الرسول بهزيمة الجيش وقتل عامته ، فبينا هو ينظر في ذلك ، إذ اتاه رجل من عند ولده من قرطبة يعلمه ان فتى من قريش من ولد هشام بن عبد الملك نزل بساحل المنكب ، فاجتمع اليه موالي القوم والاموية ، فانتشر الخبر في العسكر ، وشَمِتَ به الناس لما فعل بالقرشيين . فانفضّ الناس من العسكر ، وتنادوا بمشاعرهم ، وتقدّموا الى كورهم ، فأصبح يوسف وليس في عسكره غير قيس والصميل . فقال للصميل : ما الرأي ؟ قال : بادِرْه الساعة ، قبل ان يستفحل أمره . فساروا الى قرطبة ، فكلما رجوا ان يجتمع لهم بمن يخرجون لاستئصال شوكة ابن معاوية ، لم يتجه لهم عمل .

وفي سنة ١٣٨ دخل عبدالرحمن بن معاوية الأندلس ، في

غرة ربيع الاول ، وهو أبو الملوك ، وكان خروجه من المركب بموضع يعرف بالمنكب ، ثم نزل بقرية طرش من كورة البيرة . فأقبل اليه جماعة من الأمويين ، وقد أُعِدّ للأمير ما يصلحه من المركب ، والمنزل ، والملبس ، فغلظ أمر ابن معاوية ، واقبل الناس من كل مكان اليه ، فكتب يوسف الفهري الى جماعة الأمويين يحذّرهم ويخوّفهم . فقالوا له : انما أقبل ابن معاوية الينا ، والى جماعة مواليه ، يريد المال ليس فيما يظنّ الأمير أصلحه الله ، ولا فيما رُفع اليه ؛ واعتذروا له بما امكنهم .

وأقبل وجوه الناس الى ابن معاوية ، وقالوا له : خفْنا مكر الصميل ، ولم نأمن غائلته ، فعرفنا الفهري بكذا وكذا . وكان ابن معاوية يبيت في الجبال . ومضى يوسف بن بخت الى جند الاردن ، فأخذ بيعة جميعهم ، ومضى عبدالله بن خالد الى جند حمص ، ومضى تمام بن علقمة الى أهل فلسطين ، وأقبل الناس من كل مكان .

فلما ضاقت الأحوال بالفهري ، ولم يأته من الأجناد إلا اليسير ، أدار له الصميل الرأي ، وأمره بالمكر بابن معاوية ، والمخادعة له ، ورجا ذلك منه لحداثة سنه ؛ وقال له : هو قريب عهد بزوال نعمة ، فهو يغتنم ما تدعوه اليه ، ثم أنت

بعد ذلك متحكم فيه وفي الذين سعوا له . فأجمع رأيه على تأنيسه بأن يزوّجه ابنته ويسكنه في اي الجندين يحبّ ، دمشق او الاردن ، او يسكن بينهما ويصير اليه امر الكورتين ، وبعث اليه بكسوتين ومطيتين وخمس مائة دينار ، ووجه اليه كاتبه خالد بن يزيد ، وقال له : اعرف أمره ، وأي جند عنده ، وتأمّل اخباره واخبار من معه . فخرج في الليل مع أصحابه واصبحوا على ابن معاوية بالمال والكسوة والمطيتين . ووجه أيضاً الى بدر فرساً ومائة دينار وكسوة ، فقبل ابن معاوية الهدية وكره التزويج ، فتكلم خالد بكلام غليظ لابن معاوية إذ أبى التزويج ، فأمر به وضُمّ الى وثاق ورُدّ غيره الى يوسف ؛ ولم يرد عليه جواباً ، وكان يوسف قد كتب الى ابن معاوية كتاباً ، وهذه بعض فصول منه :

اما بعد ، فقد انتهى الينا نزولك بساحل المنكب وتأبُّش[1] منْ تأبَّشَ اليك ونزع نحوك من السرّاق وأهل الختر والغدر ونقض الايمان الموكدة التي كذّبوا الله فيها ، وكذّبونا ، وبه ، جلّ وعلا ، نستعين عليهم ، ولقد كانوا معنا في ذرى كنف ورفاهية عيش ، حتى غمصوا ذلك واستبدلوا بالأمن خوفاً وجنحوا الى النقض ، والله من ورائهم محيط ، فان كنت تريد المال وسعة الجناب فأنا اولى بك ممن لجأت اليه ، اكنفك وأصل

---

١ التأبش : التجمع .

رحمك وأنزلك معي ان اردت ، أو بحيث تريد . ثم لك عهد الله وذمته بي ألاّ أغدرك ، ولا أمكن منك ابن عمي صاحب افريقية ولا غيره — في كلام كثير .

قال ابن عيسى : فحدّثني تمام بن علقمة ان عبد الرحمن لما اتاه كتاب الفهري بما فيه وبتزويجه ابنته ، أشار عليه كل من أتاه من العرب والامويين ألاّ يقبل ذلك منه الا أن يعتزل له عن الملك ويبايعه والاّ حاكمه الى الله، وقالوا له : انما يمكر بك ولا يفي لك بشيء لان وزيره ومالك امره الصميل ، وهو غير مأمون . قال : فلما انكشف أمرنا عنده بما أظهرنا من الاباية ، وبتجسس كاتبه خالد بن يزيد ، رأينا ان نشهر أمرنا ، فخرجنا الى جدار ابن عمرو ، والأجند الأمرذن ، واجتمعنا اليه ، فأتيناه في ثلاثمائة فارس من جماعة الأمويين ، وممن أقبل اليه من وجوه العرب ، ثم كاتبنا أهل قنسرين وفلسطين. فلما أقبلت الينا رسلهم بما أردنا نهضنا اليهم ، وكنا قد وطّنا على الموت ، وعزمنا على أن نُقتَل دونه . وعقدنا له لواءً ، وأقمنا معه ستة أشهر نبرم له أموره ، ونكاتب له الناس ، وكنا خرجنا اليه في زيّ حسن عند خروجنا إليه بساحل البحر، ثم انتقل من البيرة الى كورة رية ، الى شذونة ، الى مورور، الى كورة اشبيلية ، والناس يتلقونه بالبشر والترحيب ، ويعطونه من الانقياد والطاعة أوفى نصيب .

قال تمام : فدخلنا رية في ست مئة فارس ، وخرجنا منها في ألفي فارس ، وخرجنا من اشبيلية الى قرطبة في ثلاثة آلاف فارس ، فلما اجتمعت لنا الجموع ، وبلغنا ما يريد الفهري من الخروج الينا ، كتّب الأمير عبدالرحمن الكتائب وعبأ الأجناد ، وخرج اليه ، ودعا برجل من الأنصار فعقد لواءه ، وارتحل في جنوده حتى احتلّ بقرية ، على نهر قرطبة ، يوم الاثنين لستّ خلونَ من ذي الحجة . وخرج الفهري الى المصارة ، وأقاما ثلاثة أيام متناظرين ، والنهر حاجز بينهما بحمله ، ثم أصبح النهر يوم الخميس وقد حسر ماؤه ، فعبّأ الأمير عبدالرحمن كتائبه ، وتهيّأ للحرب ، فقدّم على قبائل العرب أحداً من قواده ، وعلى البربر كذلك ، وهو ابراهيم بن شجرة ، وترجّل حماة بني أميّة فحفّوا بالأمير والأمير على فرسه متنكباً قوسه ، فجاوز واقترب من المصارة ، فتجاوز العسكران وتقارب المضطربان ، وأقاما بقية يومهما في سكون وهدوء والرسل تختلف من قِبَل يوسف يرجون عقد الصلح .

فلما أصبح يوم الجمعة التقى الجمعان واستحرّت الحرب والقتال ، فمشى العلاءُ بن جابر العقيلي الى الصميل فقال له : يا أبا جوشن ، اتّقِ اللهَ ، فوالله ما أشبه هذا اليوم الا بيوم المرج ، وان عاره لباقٍ علينا الى اليوم ، فان الامور يهتدى لها

بالاقران والامثال : أموي وفهري وقيس واليمن ، وهذا يوم عيد ، ويوم جمعة ، ويوم المرج أيضاً يوم جمعة ، والأمر والله علينا ، لا شك في ذلك ، فاتّقِ الله واغتنم بنا الأمر لنكون فيه اعزاء لا أتباعاً .

وكان العلاء هذا من وجوه قيس. ثم انهزم الفهري وأصحابه، واستقبل القصر فاعترض له عبد الاعلى بن عوسجة ، وحال بينه وبين دخوله وردّه عنه ، فولى منهزماً الى سفح جبل قرطبة ، واستولى الامير عبد الرحمن يومه ذلك على الملك ، وتمّت له بيعة العامة بقرطبة، وتمادى يوسف الفهري في الفرار الى البيرة.

# خلافة عبد الرحمن بن معاوية

ابن هشام بن عبد الملك

نسبه : عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أُمية .

كنيته : أبو المطَرِّف.

امه : بربرية من سبي المغرب ، تسمى راحا أو رداحا ، وفي عبد شمس بن عبد مناف ، يلتقي نسبه بنسب رسول الله (صلعم) .

مولده : بموضع يعرف بدير حسينة من دمشق سنة ١١٣. مات أبوه وتركه صغير السن .

توفي يوم الثلاثاء لست بقين من ربيع الآخر وقيل لعشر خلون من جمادى الاولى سنة ١٧٢ ودفن بقصر قرطبة ، وقد بلغ ٥٩ سنة وقيل ستين . فكانت مدة خلافته ٣٣ سنة و ٤ أشهر ونصفاً .

ودخل الاندلس وهو ابن ٢٥ سنة او نحوها .

بويع له بقرطبة يوم الاضحى من سنة ١٣٨ .

وزراؤه أربعة : عبيد الله بن عثمان ، وعبد الله بن خالد ، ويوسف بن بُخت ، وحسان بن مالك .

حجابه خمسة : تمام بن علقمة ، ويوسف بن بخت ، وعبد الكريم بن مهران ، وعبد الحميد بن مغيث ، ومنصور فتاه .

قضاته خمسة : يحيى بن يزيد التُجيبي ، ومعاوية بن صالح ، وعبد الرحمن بن طريف ، وعمر بن شراحيل ، والصعب بن عمران ؛ وكان له قاضٍ خامس في طوائفه يسمى جدار بن مسلمة بن عمرو المذحجي .

نقش خاتمه : عبد الرحمن بقضاء الله راضٍ .

صفته : طويل القد ، أصهب ، أعور ، خفيف العارضين ؛ بوجهه خال ، له ضفيرتان ، وكان يسمى صقر بني أمية .

ولده : الذكور ١١ والاناث ٩ .

وفي سنة ١٣٩ خرج الأمير عبد الرحمن طالباً للفهري والصميل ، فلما اتصل بالفهري قصْدُه اليه لاذ عنه وزال عن غرناطة ، فاقتفى الأمير عبد الرحمن أثره ، حتى اذا أوفى عليه عاد الى غرناطة متحصّناً بها ؛ ونزل الأمير عبد الرحمن عليه وحاصره . فلما تمادى به الحصار سأل الفهري الأمان ، وأن يعطي ابنيه رهناً ، فأعطاه الأمير الأمان وقبل منه ذلك ، وكذلك الصميل ، وانصرف في جملته الى قرطبة ، على ان يسكن الفهري منزله بالمدينة ، والصميل داره بالربض ؛

واستوسق الأمر للأمير عبد الرحمن ، وأمر بلعن المسوّدة[1] ، وقطع الدعاء لأبي جعفر المنصور .

ودخل يوسف الفهري في عسكر الأمير كأحد رجاله ، فأنزله على ماله ، وأطلق له عياله .

وفي هذه السنة ولد هشام بن عبد الرحمن الملقب بالرضى ، وذلك لأربع خلون من شوال .

وفي سنة ١٤٠ تودّع الأمير عبد الرحمن بقرطبة ، فلم تكن له فيها حركة ، ودخل رجال من المشرق ومن بني أميّة في هذه السنة ، فأنزلهم الأمير ، واكرمهم ، وأحسن جوائزهم .

وفي سنة ١٤١ هرب الفهري من قرطبة ناكثاً ناقضاً للايمان بعد توكيدها ، فاجتمع اليه الناس وبلغ جمعه عشرين الفاً من البربر وغيرهم ، فلما رأى كثرة ما اجتمع له تحرّك من ماردة يريد الامير عبد الرحمن ؛ فلما بلغ الامير خبره برز من القصر وتقدّم الى المدور ، وكان عبد الملك بن عمر المرواني عاملاً باشبيلية وابنه بكورة مورور ، فحشدا مَنْ كان قِبَلَهما من أهل الكورتين وتوافى الحشدان فبرز به . واتّصل بالفهري خروج الامير الى المدور ، وتوافى الحشود على عبد الملك فتوقّع الفهري التشتُّت بين العسكرين فصرف رامياته الى عبد الملك ، فالتقيا ووقعت بينهما حرب شديدة ، فانهزم يوسف ، وتفرّق أصحابه عنه ،

---

[1] المسودة : اي العباسيون .

وأُتبعوا بالقتل . واتّصل الفتح بعبد الرحمن وهو بالمدور منتظراً لتوافي الحشود ، فاغناه عاجل الفتح ، وفرّ الفهري بنفسه مختفياً .

وفي سنة ١٤٢ كان هلاك يوسف الفهري ومقتله بناحية طليطلة ؛ وكان قد نهض اليها وتردّد بناحيتها شهوراً ، فاغتاله بعض أصحابه وقتله واحتزّ رأسه وتقدّم به الى الامير عبد الرحمن ، فشكر الله على موته ، وامر بنصب رأسه على جسر قرطبة ، وأمر بقتل ابنه المرتهن ، ونصب رأسه مع رأس أبيه . وتوفي الصميل في الحبس ، وقيل انه خُنق . وقيل ان الذي قتل الفهري عبد الله بن عمرو الانصاري ، لقيه على اميال من طليطلة بقرية من قراها ، فلما عرفه قال لمن معه : هذا الفهري ، وفي قتله الراحة له ومنه ، فتقدّم اليه فقتله ، واحتزّ رأسه وتقدّم به الى الامير . فلما قرب من قرطبة ، وأعلم الامير بخبره ، أمر أن يتوقف به دون القنطرة ، وامر بقتل ابنه المرتهن ، وأخرج رأسه الى رأس أبيه ووضعا في قناتين وتقدم بهما الى باب القصر .

واختلف في أمر يوسف الفهري ، فقال بعضهم : انه لم ينكث بغياً ، وانما خوفاً ، فخرج هارباً ، فأخرج الأمير الخيل في طلبه فأدركتْه بفحص البلوط ، ثم أفلت ، وحشد ولدُه البربرَ بالمشرق كله ، وأقبل في جمع عظيم يريد قرطبة ، فخرج اليه

الأمير ، فالتقوا بمخاضة الفتح ، فكان القتال بينهم حتى كاد الأمير عبد الرحمن ان ينهزم ، وقيل انهزم نحو الميل ، فثبت ابنه سليمان في آخر الناس ، وتراجع الأمير حتى انهزم يوسف ومضى في طلبه الى قلعة رباح .

وقال بعضهم : ان يوسف لما هرب الى طليطلة قبض الأمير عبد الرحمن على أبي الاسود ابنه ، فسجنه . وقام على يوسف موالٍ له ، فقتلوه وأتوا به الى الأمير عبد الرحمن ، فقال لهم : عرفتم من هو ؟ قالوا : نعم ، هو يوسف الفهري . قال : انتم لم تحفظوا مولاكم ، فكيف تحفظوني وتنتظمون في طاعتي ! فأمر بضرب أعناقهم ، وأمر بأبي الأسود الى السجن.

وكان السجن يومئذٍ يخرج الناس منه الى النهر ، لما يكون من الحاجة مع الموكلين بهم ، فادّعى ولد الفهري العَمَى ، وفشا له ذلك ، فكان يقول : من يقود الأعمى ، يرحمه الله ؟ وكان يختلف اليه مولى ، اسمه مفرج ، يقضي حوائجه ، ويلقاه على النهر تحت القنطرة ؛ فلما اطمُئِنّ اليه ، ولم يُستَنْكَر خروجه ، وشاع عليه العمى ، قال لمفرج مولاه : ابتَعْ لي فرساً أنْجُ عليه . ففعل . وأعدّه له فهرب عليه ، ولحق بطليطلة ؛ فغزاه الأمير عبد الرحمن ، ولقيه مراراً ، فكان آخر هزيمته اياه بقسطلونة . ومضى الى ركانة ، ولم يزل بها حتى مات . فقام

القاسم بن يوسف أخو أبي الأسود فأعقبه على زوجته ، وتولّى ما كان أبو الاسود يتولاه ؛ فخرج اليه الأمير فأجابه على ان يردّ اليه أمواله ، ويتوثق منه بالعهود . ففعل الأمير ذلك وانصرف معه الى قرطبة .

وثار على الأمير عبد الرحمن ، عبد الغافر اليماني باشبيلية ، وتغلّب على ما جاور قرطبة ، فخرج اليه الامير ، فخالفه عبد الغافر ونهض يريد قرطبة رَجاء أن يجدها خالية ، والامام عبد الرحمن في الثغر يسدّ خلله ، ويحسم علله ، فقدم مسرعاً حين وافاه الخبر ، ولم يلوِ على ما تعذّر ، ومحلّة عبد الغافر على وادي قيس قد ملأت السهل والوعر ، فداخل الامام عبد الرحمن البربر ، وكانوا العدد الوافر الاكبر ، فنزع الاكثر منهم اليه ، وصاروا في حزبه ولَدَيْه ، ووقعت الهزيمة على عبد الغافر وأُخِذ من معه في الفرار والنفار ، فلم يرفع الامام عنهم سيفاً ، وقتل منهم ثلاثين الفاً . وكانت هزيمة هي مدّ الدهر مذكورة ، والحفرة التي جمعت رؤوسهم بذلك المكان مشهورة .

ومن كتاب بهجة النفس قال : لما كان في الليل تسرّع عبد الغافر الى ناحية لقنت ، واسرع الامير القتل في جملته ، ولم يذكر عدداً .

وثار على الامير عبد الرحمن حياة بن ملامس ، وتغلّب

على اشبيلية وأسجة وأكثر الغرب ، وحشد جموعاً ، فخرج اليه الامير وقاتله اياماً حتى همّ الامير بالهزيمة ، ثم ان حياة انهزم ومضى الى ناحية قريش وكاتَبَ راغباً في العفو .

وفي سنة ١٤٦ ثار العلاءُ بن مغيث الجذامي بباجة ، ودعا الى طاعة أبي جعفر المنصور ، فاتبعه الاجناد ، وتطلّعه العباد ، الى ان كادت دولة الامير ان تنصرم ، وخلافته ان تنخرم ، فخرج اليه من قرطبة ، وصار بقرمونة ، فتحصّن بها مع مواليه وثقات رجاله ، فنازله العلاء بن مغيث منازلة شديدة ، وحاصره بها أياماً عديدة ، فلما طال الحصار هنالك ، وتخلخل عسكر العلاء لذلك ، وعلم عبد الرحمن ما هُمْ عليه من الانزعاج ، وانهم قد همّوا بالالجام والاسراج ، امر بنار فأوقِدت ، ثم امر باغمدة سيوف أصحابه فأحْرِقت ، وقال لهم : اخرجوا معي لهذه الجموع ، خروج من لا يحدث نفسه بالرجوع ؛ وكانوا نحو سبعمائة من ذكور الرجال ، ومشاهير الأبطال ، فأخذوا معه سيوفهم بأيديهم ، وخرجوا مفحصين الى اعاديهم ، فدارت الحرب بينهم طويلاً ، الى ان صنع الله جميلاً ، وزلزل قوم العلاء واصحابه ، فولّوا منهزمين ، وصار أمرهم آيةً للعالمين ، وقُتل العلاء فيمن قتل من اولئك الاقوام ، وطيف برأسه في ذلك المقام .

وقيل : ان أبا جعفر المنصور كان أرسل العلاء بن مغيث

بولاية الاندلس ، فنشر الاعلام السود ، وقام بالدعوة العباسية بالاندلس ، فانحشر اليه الناس . ولمّا ظفر بـه الامام على ما تقدّم أخذ رأسه وفُرّغ ، وحُشي ملحاً وصَبِراً ، وجُعل معه لواء أبي جعفر المنصور ، وأُدخل في سفَط ، وبعثه مع رجال ، وأمرهم أن يضعوا السفط بمكة ، فوافقوا المنصور بها حاجّاً في تلك السنة ، فجُعل السفط عند باب سرادقه ، فلما نظر الى ما فيه قال : انّا لله ! عرّضْنا بهذا المسكين للقتل ، الحمد لله الذي جعل البحر بيننا وبين هذا الشيطان ! يعني عبد الرحمن . هذا مساق السالمي في درر القلائد .

ومن بهجة النفس قال : وكانت ثورة العلاء بموضع يقال له لقنت من عمل باجة ، فأظهر سجلّ المنصور ولواءه ، وجمع الى نفسه مَنْ أجابه ، ونهض الى باجة فأخذها وتغلّب منها على جميع الغرب ، وخرج يريد الامير عبد الرحمن ، فسار حتى انتهى الى المدور . وكان الأمير يومئذ قد خرج غازياً الى شرق الاندلس ، فرجع اذ بلغه امر العلاء ، فلما دنا من قرطبة أمر من كان معه من أهل اشبيلية ان يَقرّوا في المدور ، اذ كان قد اتّهمهم لميل اشبيلية الى العلاء ؛ ثم نهض وكتب سِرّاً الى بدر مولاه يأمره بقتالهم ، كان الظفر له او عليه . ومضى العلاء فالتقى معه ، فكانت بينهما حروب وزحوف ، ثم قتل العلاء بقربة

من قرمونة وفُضّت جموعه ، وقتل من اصحابه نحو ستة آلاف ، وامر الامير بحزّ رأس العلاء ورؤوس اشراف أصحابه ، وقرّطت فيها صكوك باسمائهم ، وجعلت في اوعية ، وندب الامير بها قوماً توجّهوا بها الى القيروان ، فطرحوها في الليل في الاسواق ، فتسمع الناس امرها ؛ واتّصل الامر بأبي جعفر ، فانكسرت حدّتُه .

وقيل ان الذي هزم العلاء بَدْرٌ مولى عبد الرحمن بن معاوية ، والله اعلم .

وفي سنة ١٤٧ وجّه الامير عبد الرحمن بدراً مولاه وتمام بن علقمة في جيش كثيف الى طليطلة وبها هشام بن عروة ، حتى سَئِمَ أهلُ طليطلة الحصارَ ؛ فكاتبوا بدراً وتماماً وسألوهما الامان على ان يسلموا لهما ابن عروة وهشام بن حمزة بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب وحياة بن الوليد وكانوا يداً واحدة ، فاسلموهم اليهما ، وخرج بهم تمام الى قرطبة ، فلقيه عاصم ابن مسلم فقبض منه الاسرى ، وعهد اليه عن الامير ان يكرّ الى طليطلة والياً عليها ، ويقبل بدر الى قرطبة . واقبل عاصم بالاسرى ، فلما احتلّ بقرية حلزة خرج اليه ابن الطفيل ومعه حجّام وجبّاب صوف وسلاّل ، فحلق رؤوسهم ولحاهم ، والبسهم جباب الصوف ، وادخلهم في السلال ، وحملهم على الحمُر ، فأتى بهم على تلك الحال الى خُشُب قد أُعدّت لهم ، فصلبوا فيها ، وكتب الى البلدان بفتح طليطلة .

وفي سنة ١٤٩ ثار سعيد اليحصبي المعروف بالمطري بكورة لبلة واجتمعت اليمانية اليه ولاذوا بحَقْوَيْه . ثم سار الى اشبيلية وتغلب عليها قسراً ، ولم يجد أهلها في مدافعته نصراً ، فكثر عدده ، وتأزّر عضده ، وعاد عسكره مهولاً ، قد أخذ وعراً وسهولاً . فسار اليه الامير عبد الرحمن في جيوش عظيمة المدد مجهولة العدد ، حتى نزل عليه بقلعة رعواق ؛ وكان المطري قد تحصّن بها ، ولاذ بجانبها ، فحصره فيها حصراً ، وأرهقه من أمره عسراً ، حتى خرج متعرّضاً للحرب في جماعة من فرسانه الأكابر ، ومن اختصّه من اولئك البرابر ، فلم تنشب الحرب بينهم الا قليلاً ، وقُتل المطري ومن معه تقتيلاً ، وجيء برأسه الى الأمير عبد الرحمن ، فرفع في الوقت في طرف سنان .

وفيها قتل الأمير عبد الرحمن أبا الصبّاح بن يحيى اليحصبي ، وكان قد ولاّه اشبيلية ، ثم عزله عنها ؛ فجمع اليه أهل الخلاف وثار عليه ؛ فوجّه اليه الأمير مولاه تماماً ملاطفاً له ، فقدم معه قرطبة في اربع مائة رجل على غير عهد ، فأوصله تمام اليه فعاتبه ، فأغلظ له أبو الصياح في الجواب ، فأمر بقتله ، ثم أمر بإخراج رأسه والهتف عليه .

وفي سنة ١٥٠ هاجت فتنة البربر بشنت برية . وفيها غزا بدر الى الثغر ، وتقدّم الى ألبَة ، فحاربها فاذعنَتْ له وادت

اليه الجزية ، وأمر بامتحان الرجال بتلك الناحية ، واختبار بصائرهم ، فاستقدم منهم مَن اطلع له على سوء سريرة وشبهة في الثغر .

وفي سنة ١٥٢ ثار رجل من البربر ادّعى انه من ولد الحسن بن علي (رضه) وكان اصله من مكناسة العدوة، وكانت أمه تسمى فاطمة ، فادّعى انه فاطمي ، فخرج اليه الامير من قرطبة ، وخلّف بها ابنه هشاماً ، فتقحّم الجبال أمامه بمن كان معه ، وانصرف الأمير الى قرطبة ، فأقبل الفاطمي وقتل عامل شنتبرية ، وغلظ أمره ، فكان الامير يوسل الى قتاله بعض الفيالق ، فتعلّق بالجبال الشواهق .

وفي سنة ١٥٣ خرج الامير عبد الرحمن لغزو الداعي الفاطمي ، فهرب وركب الوعر ، فانصرف الامير ، فرجع الفاطمي ، فغزاه بدر بالصائفة فوجده بجهة سبطران ، فاتبعه رجاء ان يدركه ، فدخل المفاوز وانقطع اثره ؛ ومضى هذا الفاطمي الى مدلين ، وكان عامله ابو زعبل الصدفوري ، فتمادت فتنته من سنة ١٥٠ الى سنة ١٦٠ الى ان اغتاله بعض أصحابه فقتله وعقره هناك وخذله .

وفي سنة ١٥٤ تهدّن الامام عبدالرحمن بقرطبة ولم تكن له بها حركة .

وفي سنـة ١٥٥ خرج الامـام عبد الرحمن من قرطبـة فحلّ بشنت برية ، وقدِم عليه هلال من ابناء الميديوني فكتب له عهداً على قومه وأقرّه على موضعه ، وكان رأس البربر في شرق الاندلس ، وقلده امر الفـاطمي المتقدم الذكر ، فكان في ذلك الراحة منـه وتفرّقت بفعله ذلك كلمة البربر وانحلّت عقـدة الفاطمي وانصرف من شنت برية الى الجوف .

وفي سنة ١٥٦ ثار عـلى الامير عبد الرحمن عبد الغافر اليحصبي وخلع طـاعته ، وكان الامير بناحية الشرق فكتب اليه بدر من قرطبة، فطوى المراحل اليه ، ثم تقدّم الى اشبيلية فوضع السيف فيـه وفي اصحابـه ، فقتلوا قتلاً ذريعـاً وأفلت عبد الغافر فركب البحر ونجا الى المشرق .

وفي سنة ١٥٧ خرج الامير عبد الرحمن الى ناحية الغرب واحتلّ باشبيلية وقتل بها خلقاً كثيراً ممن كان بسبيل عبد الغافر وقطع آثارهم ووطد الطاعة؛ ثم انصرف معجلاً لأنه انمـا قصد امتحان أهل اشبيلية وتمحيصهم، وقيل كان ذلك سنة ١٥٨ .

وفي سنة ١٥٩ غزا الامام عبـد الرحمن قورية وقصد في طريقه البربر الذين في طريقه بأبي زعبل ، ومكنوه من الفاطمي فقتله، فدوّخ بلد البربر وقتل منهم خلقاً كثيراً وأذلّهم .

وفي سنة ١٦٠ أُخرجت الصـائفة الى الفـاطمي وكان في احواز شنت برية ، فعورض بالخيل وقطعت عاديته .

وفي سنة ١٦١ ، وقيل سنة ١٦٢ ، دخل الى الاندلس عبدالرحمن بن حبيب الفهري المعروف بالصقلبي ، فنزل كورة تدمير فاستقرّ بها ، ولم تبد له في تلك السنة عادية ؛ وانما لقّب بالصقلبي لأنه كان طويلاً ، أشقر ، أزرق ، أمعر .

وفيها حمل نهر قرطبة حملاً عظيماً حتى سدّ حنايا القنطرة ، وهدم بعضها وزلزلها ، وبقي كذلك يومئذ .

وفي سنة ١٦٣ ثار عبدالرحمن بن حبيب الفهري ، المتقدم الذكر ، في السنة قبل هذه ، في ناحية تدمير ، فغزاه الأمير عبدالرحمن ، فهرب ابن حبيب وتعلّق بالوعر ، فجال العسكر في كورة تدمير ، وتقدّم الى كورة بلنسية بعد ان احرق المراكب بساحل البحر ؛ ثم ان مشكار البربري فتك بابن حبيب الصقلبي وقتله .

وفيها ثار ابن شجرة بمورور ، فخرج اليه بدر يوم الاضحى فألفاه على غرّة فقتله ، وكتب الى الامام بالفتح ، وقيل : بل كان ذلك في سنة ١٦٢ .

وفي سنة ١٦٤ غزا الامام عبدالرحمن الرماحس بن عبدالرحمن ، وكان على شرط مروان بن محمد ، فلحق بالاندلس فولاّه الامام الجزيرة ، فخلع طاعته ، فخرج اليه واحتلّ بالجزيرة فوجد الرماحس في الحمام ، فلم يشعر إلا وخيل

الامام تجوس الديار ، فأعجل الرماحس عن لبس ثيابه وخرج في ملحفة مصبغة فدخل في قارب ونجا الى العدوة . ووجد الامير عبد الرحمن في سجنه جماعة من الامويين فاطلقهم .

وفي سنة ١٦٥ ثار على الامير عبد الرحمن الحسين بن يحيى ابن سعيد بن عبادة الانصاري بسرقسطة ، فسار اليه بالجماهير والعسكر الشهير ، فحاصره بسرقسطة حصاراً ، وقدّم لقتاله أحزاباً وأنصاراً ، الى ان خرج طائعاً اليه متوامياً عليه ، فقبل انابته ولم يحرم اجابته . فلما عفا عنه ، وأغضى عما كان منه ، أبقاه بسرقسطة والياً ، وقفل الامير الى قرطبة سامي اللواء قاهر الاعداء . ثم ان الحسين ختر الذمة وكفر النعمة ، واعلن بالنفاق اعلاناً وأرسل في الشقاق عناناً ، فسار اليه الامام أيضاً ونازله نزالاً واذاق سرقسطة نكالاً ، الى ان فتحها بنقب سورها فتحاً شنيعاً وقتل الحسين وأصحابه قتلاً ذريعاً ، وولى عليهم علي بن حمزة ، وقفل الى قرطبة ظاهر العزة .

ومن كتاب بهجة النفس قال : وفي سنة ١٦٧ غزا الامام سرقسطة الى حسين بن يحيى فحاصره حتى اخذ المدينة عنوة ، وقتل حسيناً بالدمغة وجماعة معه ، وأخرج اهل المدينة عنها الى قرية على ثلاثة أميال ليمين لزمه فيهم ، ثم صرفهم اليها بعد ايام وقفل الى قرطبة .

وفي سنة ١٦٨ اراد المغيرة بن الوليد بن معاوية القيام على الامام ، وكان وطنه يومئذ بالرصافة ، فانكشف له يومئذ امره من قِبَلِ بعض من تعاقد معه ، فاحضرهم بين يديه واقرّوا فامر بقتلهم واستبقى الفاضح لهم . وتحوّل الامام عبد الرحمن يومئذ من الرصافة الى قصر قرطبة .

وفي سنة ١٦٩ ثار على الامير عبد الرحمن محمد بن يوسف الفهري ، وكان قد تحرّك من طليطلة وجهة الشرق بالحشود ، وبلغ الامام خبره فأمر بحشد الكوَر والتقى معه في مخاضة الفتح ، فكان بينهم زحف وقتالُ أيام ، ثم انهزم المذكور ، ويقال له الاعمى ، فقتل رجاله وافنى عدده . وكانت هذه الوقعة يوم الاربعاء مستهل ربيع الاول من السنة .

قال الرازي : قتل فيها اربعة آلاف رجل سوى من تردّى في الوادي وهلك في المهاوي ، وهرب محمد بن يوسف هذا الى قورية .

وفي سنة ١٧٠ خرج الامير عبد الرحمن الى محمد بن يوسف الفهري حتى بلغ قورية ففرّ أمامه ، وأدركت الخيل عياله واصحاباً له فقتل من ادرك واحرقت دوره ، وانقطع محمد ابن يوسف وحده وانحاش الى غياض ؛ واوقع ببربر نفزة فأذلّهم واذهب عاديتهم . ثم مات محمد بن يوسف وقام

بأمره عبد الرحمن بن يوسف أخو يوسف الفهري وخلع الطاعة ، فلما تحرك أمره وجّه اليه الأمير عبد الرحمن الجيوش فاذعن له بالطاعة .

وفي سنة ١٧٠ المتقدمة أمر الأمير عبد الرحمن بتأسيس المسجد الجامع بحضرة قرطبة ، وكانت كنيسة ، فأنفق فيه مئة الف بالوازنة .

وفي سنة ١٧٢ مات الامام عبد الرحمن بن معاوية رحمه الله وذلك يوم الثلاثاء لست بقين من ربيع الآخر من السنة المذكورة .

ذكر بعض اخباره على الجملة

كان الامام عبد الرحمن فصيحاً بليغاً حسن التوقيع جيّد الفصول مطبوع الشعر ؛ ومما أملاه على كاتبه الى سليمان ابن الاعرابي : أما بعد فدعني من معاريض المعاذير والتعسّف عن جادّة الطريق ، لتَمدنّ يداً الى الطاعة والاعتصام بحبل الجماعة ، أو لألقِيَنّ بنانها على رَضْف المعصية نكالاً بما قدّمت يداك ؛ وما الله بظلاّم للعبيد .

وكتب عنه اميّة بن زيد كتاباً الى بعض عماله يستقصره فيما فرط من عمله ، فاكثر وأطال الكتابة ، فلمّا لحظه

عبد الرحمن بن معاوية أمر بقطعه وكتب بخط يده : أما بعد، فان يكن التقصير لك مقدّماً ، فعند الاكتفاء يكون لك مؤخراً ، وقد علمتَ بما قدمتَ فاعتمد على أيهما أحببت .

وثار عليه ثائر فغزاه وظفر به ؛ فبينا هو في الطريق إذ نظر الى الثائر ، وهو على بغل في كبوله وتحت الأمير عبد الرحمن فرس ، فلمّا لحقه قنّع رأسه بالقناة وقال : يا بغل ماذا تحمل من الشقاق والنفاق ! فقال الثائر : يا فرس ماذا تحمل من العفو والاشفاق ! فقال : والله لا ذُقتَ موتاً على يديّ ، فاطلقه .

ومن شعره البديع الرائق ما كتب به الى بعض من طرأ عليه من قريش ، وكان قد استقلّ خزانته واستطال بقرابته وسأله الزيادة له والتوسعة عليه ؛ فكتب اليه بهذه الابيات :

سِيَّانِ مَنْ قام ذا امتعاض ،
بمنتضى الشفرتين نصلا

فجاب قفراً وشقّ بحراً ،
مسامتاً لجّةً ومحلا

فسدّ ملكاً وشاد عزّاً ،
وناثراً للخطاب فصلا

وجنّد الجند ، حين اودى ،
ومصّر المصر ، حين اخلى

ثم دعا اهله جميعاً ،
حيث انتأوا : أنْ هَلُمَّ أهْلا

فجاءَ هذا طريد جوع ،
شريد سيف ابيد قتلا

فنال امناً ، ونال شبعاً ،
ونال مالاً ، وحاز أهلا

وذُكِر أن أبا جعفر المنصور قال يوماً لبعض جلسائه : أخبروني مَنْ صَقْرُ قريش من الملوك ؟ قالوا : ذاك أمير المؤمنين الذي راض الملوك وسكن الزلازل وأباد الاعداء وحسم الادواء . قال : ما قلتم شيئاً . قالوا : فمعاوية . قال : لا . قالوا : فعبد الملك بن مروان . قال : ما قلتم شيئاً . قالوا : يا أمير المؤمنين فمن هو ؟ قال : صقر قريش عبد الرحمن ابن معاوية الذي عبر البحر وقطع القفر ودخل بلداً اعجمياً منفرداً بنفسه فمصر الامصار ، وجند الاجناد ، ودوّن الدواوين ، واقام ملكاً عظيماً بعد انقطاعه بحسن تدبيره وشدة شكيمته .

ان معاوية نهض بمركب حمله عليه عمَر وعثمان وذلّلا له صعبه؛ وعبد الملك ببيعة ابرم عقدها؛ وأمير المؤمنين بطلب عِترته واجتماع شيعته؛ وعبد الرحمن منفرد بنفسه مؤيد برأيه مستصحب لعزمه ، وطد الخلافة بالاندلس ، وافتتح الثغور وقتل المارقين واذلّ الجبابرة الثائرين . فقال الجميع : صدقت والله يا أمير المؤمنين !

وكان الامام عبد الرحمن من اهل العلم وعلى سيرة جميلة من العدل ، ومن قوله :

ايها الراكب الميمّم ارضي !
اقْرِ من بعضِيَ السلام لبعضي

إنّ جسمي كما تراه بارض ،
وفؤادي ومالكيه بارض

قُدِّر البين بيننا فافترقنا ،
وطوى البين عن جفونيَ غمضي

قد قضى الله بالبعاد علينا ،
فعسى باقترابنا سوف يَقضي

وله من الشعر كثير مشهور .

وذكر الرازيُّ : أن الامام عبد الرحمن اول نزوله بمنية

الرصافة واتخاذه لها نظر فيها الى نخلة فهاجت شجنه وتذكّر وطنه فقال بديهة :

تبدّت لنـا وسط الرصافة نخلة
تناءت بارض الغرب عن بلد النخل

فقلت شبيهي في التغرّب والنوى
وطول التنائي عن بنيّ وعن اهلي

نشأت بارض انت فيها غريبة
فمثلك في الاقصاء والمنتأى مثلي

سقاك غوادي المزن من صوبها الذي
يسحّ ويستمري السماكين بالوبل

وكان رحمه الله قد عقد العهد لابنيه هشام وسليمان ، فولي بعده هشام على ما اذكره .

# خلافة هشام الرضي بن عبد الرحمن الداخل

كنيته : ابو الوليد .

مولده : سنة ١٣٩ .

امه : تسمى جمال .

نقش خاتمه : بالله يثق عبده هشام وبه يعتصم .

صاحب شرطته : عبد الغافر بن أبي عبدة .

وزراؤه : ثمانية .

كتّابه اثنان : فطيس بن عيسى وخطاب بن زيد .

قاضيه : المصعب بن عمران .

صفته : ابيض مشرب بحمرة ، بعينه حول .

حاجبه: عبد الرحمن بن مغيث .

بنوه : الذكور ستة ، والبنات خمس .

بويع يوم الأحد مستهل جمادى الاولى من السنة . وكان بعد موت ابيه بمدينة ماردة ، فوافاه الخبر فطرق ووصل قرطبة بعد ستة ايام ، فبايعه الخاصة والعامة . وكان اخوه بطليطلة ، فلمّا اتصل به خبر أبيه حشد الحشود وجنّد الاجناد يريد قرطبة مخالفاً لأخيه . فلمّا حصل بجيان خرج اليه هشام في اجناده ، والتقى معه بجهة بلج فوقعت بينهم حرب شديدة

فانهزم سليمان ، واسلم عسكره ، وفرّ على وجهه . وقفل هشام الى قرطبة ظافراً في أجناده .

وتوفي هشام ليلة الخميس لثلاث خلون من صفر سنة ١٨٠ فكان عمره أربعين سنة وأربعة أشهر وأربعة أيام . فكانت مدة دولته وخلافته سبع سنين وتسعة اشهر وثمانية أيام .

وقيل ان عبد الرحمن بن معاوية رحمه الله لما حضرته الوفاة ، وابنه هشام بماردة وابنه الآخر سليمان بطليطة ، كان ابنه عبد الملك المعروف بالبلنسي عنده فقال له : من سبق اليك من اخويك فارم اليه بالخاتم والأمر ؛ فان سبق اليك هشام فله فضل دينه وعفافه واجتماع الكلمة عليه ؛ وإن سبق اليك سليمان فله فضل سنّه ونجدته وحب الشاميين له .

فقدم هشام من ماردة قبل سليمان فنزل بالرصافة ، وخاف من عبد الملك أخيه اذ صار متمكناً من قرطبة والقصر والأموال ان يدافعه ، فخرج اليه أخوه عبد الملك وسلم عليه بالخلافة ودفع اليه الخاتم كما اوصاه أبوه ، وادخله القصر .

قال الرازي : ولما صار الأمر الى هشام واتّصل ذلك بسليمان أخيه أخذ بيعة أهل طليطلة وما جاورها لنفسه وغلب عليها ، وشغله أمر أخيه هشام ، فثار أبو سعيد بن الحسين الانصاري بساغنت من اقليم طرطوشة ، واقبل الى سرقسطة

فأخرج منها واليها وضرب بين الناس ، ودعا الى نفسه والى الفتنة فارسلها مُضرية ويمانية . وحشد موسى بن فرتون الى سرقسطة فاخذها، وكان على دعوة المضرية ، فالتقى مع اليمنيين وكانت بينهم حرب فقتل منهم جماعة ، ودخل سرقسطة. ثم قدم مطروح بن سليمان الاعرابي على دعوة ابيه من برشلونة فتغلّب على وشقة وسرقسطة والثغر كله .

وفي سنة ١٧٣ طمحت نفس عبد الله البلنسي اخي هشام الى الامارة ، وقد كانت في يده اولاً ولم يرض منه إلا بمشاركته وذلك بعد سبعة اشهر من وفاة والدهما . وكان هشام يبره ويترضاه ويفضله على الكثير من اخوته، فلم يقنعه ذلك، وخرج يريد اخاه سليمان بطليطلة ، فلما بلغ الامر الى هشام اشفق من ذلك واخرج اليه من يرضيه ويردّه فلم يدركه ، ومضى حتى قدم طليطلة .

وفي هذه السنة خرج هشام الى اخيه سليمان بطليطلة ، فلما نزل عليه خرج سليمان مستخفياً وخلف اخاه عبد الله وابنه داخل المدينة ونهض يريد انتهاز الفرصة فطوى المراحل حتى احتلّ بشقندة، فخرج أهل قرطبة مدافعين له . وبلغ هشاماً خبره فلم يكترث لذلك، ووجّه ابنه عبد الملك يقفو اثره ، فلما قرب منه ولى سليمان منهزماً وقطع إلى غير وجهة حتى خرج

متعسفاً الى ناحية ماردة ، وكان عاملها جدير المعروف بالمذبوح؛ فخرج اليه فهزمه. وتمادى الأمير هشام في حصار طليطلة شهرين واياماً ، ثم قفل عنها .

وفي سنة ١٧٤ انصرف عبد الله البلنسي الى أخيه هشام بلا عهد ولا أمان ، فأنزله الامام هشام عند ابنه الحكم .

وفيه أغزى الحكم ابنه معاوية الى تدمير ، وقائداه شهيد ابن عيسى وتمام بن علقمة ، فدوّخوا تدمير ، وهي مرسية ، وبلغوا البحر . وكان سليمان ، يعني أخا هشام ، قد حصل في بعض ثغور تدمير، فطلب سليمان الامان فاشترط عليه الامير هشام الخروج عن الاندلس ويعطيه ستين الف دينار ، فركب سليمان البحر بأهله وولده واحتلّ ببلاد البربر ؛ فكفاه الله امر اخوته .

وفي سنة ١٧٥ اغزى هشام بن عبد الرحمن عبيد الله الى سرقسطة، وبها يومئذ مطروح المذكور ، فحاصرها عبيد الله ثم احتلّ بمدينة طرطوشة ، والحّ عليها بالمحاصرة ، حتى ضاق ذرع اهل سرقسطة وضجّوا من تمادي الحصار ، فخرج مطروح في بعض الأيام متصيداً، ومعه عمروس بن يوسف وابن صلتان، فلما ارسل بازيه على طائر ونزل على الصيد تعاوراه بسيوفهما حتى قتلاه واحتزّا رأسه وتقدّما به الى ابن عثمان ، وهو

بطرطوشة ، فتحرك الى سرقسطة فلم يمتنع عليه احد من اهلها، ودخل المدينة فنزلها وبعث برأس مطروح الى الامير هشام.

وفي سنة ١٧٦ اغزى الامام هشام أبا عثمان عبيد الله بن عثمان الى ألَـبَة والقلاع ، فلقي بها اعداء الله بجموعهم متوافين فهزمهم الله على يديه ، وقتلوا في السهل والوعر ، وانتهى ما حيز من رؤوسهم الى تسعة آلاف رأس ونيف . وفي هذه السنة غزا يوسف بن بخت الى جليقية فالتقى برمود الكبير وواضعه الحرب، فانهزم عدو الله وانتهب المسلمون عسكره، وقتل فيهم مقتلة عظيمة وحزّ من رؤوسهم عشرة آلاف سوى من لم يتمكن منهم ممن قتل في الوعر . واتى هذا الفتح بعد فتح ابي عثمان . ذكر ذلك الرازي وغيره .

وفي سنة ١٧٧ اغزى الامام هشام عبد الملك بن عبدالواحد ابن مغيث بالصائفة الى أرض الروم ، وهي غزوة شهيرة الخبر جليلة الخطر ، انتهى فيها الى افرنجة فحصرها وثلم بالمجانيق اسوارها، واشرف على بلاد المجوس وجال في بلاد العدو وبقي شهوراً يحرق القرى ويخرب الحصون، واوقع بمدينة اربونة . وكان فتحاً عظيماً بلغ فيه خمس السبي الى خمسة واربعين الفاً من الذهب العين .

وفي سنة ١٧٨ هاجت الفتنة بتاكرنا وخالف بربرها وأغاروا

على الناس وقتلوا وسبوا ، فبعث الامام هشام اليهم الاجناد ، بعد الإعذار اليهم، فقتل اكثرهم وفرّ سائرهم الى طلبيرة وترجيلة، وأقامت تاكرنا، وهي اقليم رندة وبلادها، خالية قفراً سبع سنين .

وفي سنة ١٧٩ اغزى الامام هشام بن عبد الرحمن عبد الكريم ابن مغيث بالصائفة حتى انتهى الى مدينة استرقة داخل جليقية، فبلغه ان اذفونش قد حشد بلاده واستمدّ البشكنش وأهل تلك النواحي التي تليه من المجوس وغيرهم ، وانه عسكر بهم ما بين حيز جليقية والصخرة ، وانه اذن لسكان السهل بالتفرق في شواهق جبال السواحل ، فقدّم عبد الكريم فرج بن كنانة في اربعة آلاف فارس ، ثم رحل في اثره فألفى أعداء الله فواضعهم الحرب حتى هزمهم الله ، وقتل حماتهم وأسر جماعة منهم ، ثم أمر بعد انحلال الحرب بقتلهم ، فبثّ الخيل في القرى فانتسفت جميع ما ألفته من زروعهم وخرّبت ما مرّت عليه من عماراتهم . وتقدم بعد ذلك الى وادٍ يقال له كرثية فلقي به غدشارة، وهو في ثلاثة آلاف فارس ، فقاتله حتى انهزم عسكره، وأخذ غدشارة أسيراً ، وقتل من أصحابه عدد كثير، وأصاب العسكر جميع ما في تلك الناحية . وتقدّم مستجيزاً لاذفونش ، فلمّا بلغه قصده اليه تنحّى عن الجبل الذي كان

فيه منحازاً عنه الى حصنٍ له كان قد بناه وأتقنه على وادي بلون ، فتقرب منه عبد الكريم مقتفياً لاثره لا يمر بمنزل فيما بينه وبينه الا حرقه ، ولا بمال الا اصابه ، حتى أطلّ على الحصن ؛ فانتقل منه الى حصن ملكه ، واحتلّ عبد الكريم بالحصن الذي انتقل منه فألفى فيه الأطعمة وضروب الذخر . وبعث في اليوم الثاني من حلوله به فرج بن كنانة في عشرة آلاف فارس يقفو اثره ، فلمّا قرب منه انهزم عنه واسلم جميع عدته وذخره ، فغنم المسلمون جميع ذلك .

وفي سنة ١٨٠ توفي الامام هشام بن عبد الرحمن ، رحمة الله عليه ، ودفن بقصر قرطبة ، وصلى عليه ابنه الحكم ، وذلك ليلة الخميس كما تقدم ذكره ؛ وبايع الناس لابنه الحكم ، وكان ابنه عبد الملك اسنّ منه .

ذكر بعض أخباره على الجملة دون تعيين سنة

كان ، رحمه الله ، بسيط اللسان ، فصيح الجنان ، وسيع الجناب ، حاكماً بالسنّة والكتاب ، قبض الزكوات من طرقها ، ووضعها في حقّها . لم يأخذه في الله لوم ، ولا تعلق به ظلم . ارتفع اخوه عن مبايعته ، وامتنع عن طاعته ، واستبدّ بطليطلة استبداداً ، واستنفر للخلاف والنفاق اجناداً ، فما زال يشتغل

بالفتنة بالاً ، ويذيق الناس وبالاً ، قد عظمت عليه بـه المحنة ، وعدمت منه الهدنة ، حتى مات الامير هشام ، وحكمت بخلافة ابنه الحكم الاحكام ، فحاربه في تلك الاقطار ، الى ان اختطفته الاسنّة والشفار ، فأمن بعد ذلك الجانب ، ولم يكن في ذلك التاريخ هنالك مجانب .

وكان هشام يبعث الى الكور قوماً عدولاً يسألون الناس عن سير العمال ثم ينصرفون اليه بما عندهم ، فيقع نظره بقدر ما تكشفه المحنة له منهم . واعترض له يوماً متظلم من احد عماله ، فبدر الى الشاكي وقال له : احلف على كل مـا ظلمك فيه ، فان كان ضربك فاضربه ، او هتك لك ستراً فاهتكْ ستره ، او اخذ لك مالاً فخذ من مـاله مثله ، إلا ان يكون أصاب منك حدّاً من حدود الله . فجعل الرجل لا يحلف على شيء الا أُقيدَ منه ، فكان زجره هكذا لعماله ابلغ فيهم بالنكال والادب .

وكان كريماً ، عادلاً ، فاضلاً ، متواضعاً ، عاقلاً ، لم تعرف منه هفوة في حداثته ، ولا زلّة في أيام صباه . وكان رحمه الله قد نظر في بنيان قنطرة قرطبة ، وأنفق في اصلاحها أموالاً عظيمة ، وتولى بناءها بنفسه ، وتعطى الاجرة بين يديه .

قال ابن وضّاح : لما بنى هشام القنطرة تكلم الناس فيه

وقالوا : انما بناها لتصيُّده ونزهته؛ فحلف، حين بلغه ذلك، الا يجوز عليها إلا لغزوٍ أو مصلحة .

قال القاضي ابو معاوية : ادركت صدراً من الناس يحكون ان ايام هشام هذا كانت من الدعة والعافية والهدوء بحيث لم يعلم لها مثل ، وكان يحضر الجنائز ويزاحم فيها كأنه أحد الناس تواضعاً؛ وكان لبعض رجال هشام خصومة في دار عند القاضي مصعب بن عمران ، فسجل عليه القاضي فيها وأخرجه ، فنهض الرجل الى هشام وقال له : ان القاضي سجل عليّ في داري التي كنتُ اسكنها واخرجني عنها . فقال له هشام : وماذا تريد مني؟ والله لو سجل عليّ القاضي في مقعدي هذا لخرجتُ عنه انقياداً منه للحقّ؛ رحمة الله عليه .

قصة الكناني مع هشام بن عبد الرحمن رحمه الله

كان قبل خلافته يقعد في علية مطلّة على النهر ينظر منها الى الربض ، وتقع عينه على من يخطر؛ فنظر يوماً في الهاجرة الى رجل من بني كنانة ، وكان من صنائعه ، مقبلاً من باديته بجيان ، وكان أخوه سليمان والياً عليها ، فدعا فتى له وقال له : أرى الكناني صنيعنا مقبلاً في هذه الظهيرة ، وما ذلك الا لخطب اقلقه من أبي أيوب اخي ، فاذا وصلك فادْخله عليّ كما

هو. ففعل الفتى ما أمره . وكانت مع هشام جارية له ، فلما دنا الكناني رفع ستراً كان امامه فدخلت الجارية خلفه ، ثم قال له بعد ان سلم عليه : يا كناني ، لا احسبك الا وقد دهمك امر . فقال له الكناني : قتل رجل من بني كنانة رجلاً خطاءً فحُمِلَت الديةُ على العاقلة فأخِذت بنو كنانة عامةً ، وحُيِّفَ عليَّ من بينهم ، خاصةً ، لما عرف ابو ايوب مكاني منك ، فعذتُ بك من ظلامتي . فقال لَه : يا كناني ، ليفرخ روعك ، وليسكن جاشك ، لا جرم قد تحمَّل هشام عنك وعن قومك جميع الدية . ثم مدَّ يده الى خلف الستر فاخرج عقداً ، كان على الجارية ، ثمنه ثلاثة آلاف دينار ، فقال له : خذ هذا العقد فأدِّ من ثمنه عنك وعن قومك وتوسع في الباقي . فقال الكناني : يا سيدي ، إني لم آتك مستجدياً ولا ضاق لي مال عن اداء ما حملته ، ولكني اتيتك مستجيراً بك لما أُصبت بالعدوان والظلم ، فأحببت أن يظهر عليَّ من عز نصرك . قال له : فما وجه نصرك ؟ قال له : أن يكتب الامير ، أصلحه الله ، الى أبي أيوب في الامساك عن أخذي بما لم يجب عليَّ وأن يحملني محمل عامة اهلي . فقال له هشام : خذ العقد لاهلك ولنفسك الى ان ييسر الله ما ذهبت اليه من امرك .

ثم امر هشام باسراج دابته من فوره وركب الى أبيه الأمير

عبد الرحمن ، فلما مثل بين يديه قال له: رجل من بني كنانة هو لي صنيعة، عدا عليه أبو أيوب بجيان في دية حملت على العاقلة. قال الامير : فما تحب في امره ؟ قال : الكتب اليه بالكف عنه وان لا يؤخذ بغير ما لزمه . فقال الامير : اوخير من ذلك تؤدى الدية عنه وعن قومه من بيت المال إذ هو منك بهذه المنزلة وإذ أنت له بهذه العناية . فأكثر هشام الشكر لوالده .

ثم أمر الامام باداء الدية من بيت المال وبالكتب الى أبي أيوب ، فترك التعرّض للكناني .

وحان توديع الكناني لهشام ، فقال له : يا سيدي اني قد بلغت فوق الامنية وجاوزت اقصى غاية العز والنصرة ، وهذا العقد النفيس قد اغنى الله عنه . فقال له هشام : يا كناني ، انه لا سبيل الى رد شيء قد خرج عنّا ، فخذه مباركاً لك فيه .

وهشام هذا هو الذي اكمل سقائف المسجد الجامع بقرطبة ورفع منارته القديمة وبنى الميضأة العجيبة وعقد من الجسر ما كان تثلّم بالسيل .

# خلافة الحكم بن هشام بن عبد الرحمن

كنيته : ابو العاصي .

أمه : زخرف .

مولده : سنة ١٥٤

بويع بعد موت أبيه بليلة يوم الخميس لثمان خلون من صفر سنة ١٨٠ وهو ابن ٢٦ سنة . فكانت خلافته ستاً وعشرين سنة واحد عشر شهراً .

كتّابه ثلاثة : فطيس وخطاب بن يزيد وحجاج العقيلي .

حاجبه : عبدالكريم بن عبد الواحد بن مغيث .

وزراؤه وقواده خمسة : اسحاق بن المنذر والعباس بن عبد الله وعبدالكريم بن عبدالواحد المذكور وفطيس بن سليمان وسعيد بن حسان .

قضاته : مصعب بن عمران ومحمد بن بشير والفرج بن كنانة وبشر بن قطن وعبيد الله بن موسى ومحمد بن تليد وحامد بن محمد بن يحيى .

نقش خاتمه: بالله يثق الحكم ، وبه يعتصم.

صفته : آدم شديد الأدمة ، طويل ، اشم ، نحيف لم يخضّب .

بنوه : الذكور تسعة عشر ، والبنات احدى وعشرون .

توفي لأربع بقين لذي الحجة سنة ٢٠٦ فكان عمره ٥٢ سنة .

ولمّا بلغ موت هشام الرضا الى سليمان وعبدالله ابنَي عبد الرحمن بن معاوية وهما بالعدوة تقدّم عبدالله فجاز البحر الى ريف الاندلس .

ولما بويع الحكم بالخلافة واستوسق له الأمر وجّه عبد الكريم بن عبد الواحد غازياً الى دار الحرب في جيش عظيم ، فاحتلّ عبد الكريم بالثغر وتوافت عليه الجيوش . ثم تقدم فاحتل على شاطىء البحر ، وقسم الجيش على ثلاثة أقسام وقدم على كل قسم رئيساً وأمر كل واحد منهم بأن يغير على الناحية التي قصدها ووجه اليها ؛ فمضوا واغاروا واستباحوا وأباحوا ، وانصرفوا غانمين ظافرين ، ثم عادوا ثانية الى الاغارة وجاوزوا خُلُجاً كانت تمدُّ وتحصر ، وكان اهل تلك النواحي قد تحرّزوا بها ونقلوا اليها العيال والماشية والاموال ، فاغاروا عليها واحتووا على جميع ما وجدوا فيها وانصرفوا سالمين غانمين .

وفي سنة ١٨١ ثار على الامير الحكم ، بهلول بن مروان المعروف بأبي الحجاج في ناحية الثغر ودخل سرقسطة وملكها ، وحلّ به عبدالله ابن الامير عبد الرحمن بن معاوية ، وكانت وجهته الى افرنجة .

وفيها ثار عبيدة بن حميد بطليطلة فنصب الحكم عمروس ابن يوسف لحربه من طلبيرة ، فكان يتردد لحربهم . ثم ان عمروس كاتب رجالاً من أهل طليطلة واستلطفهم حتى مالوا اليه ، فدعاهم الى القيام على عبيدة والفتك به ووعدهم على ذلك بمثوبة جليلة من الامير ، فبدروا اليه وقتلوه وتوجهوا برأسه الى عمروس فانزلهم عند نفسه بطلبيرة ؛ فلما علم بهم بعض بربر طلبيرة ، وكانت بينهم دماء ، دخلوا عليهم تلك الليلة الدار فقتلوهم فبعث عمروس برأس عبيدة وبرؤوس المذكورين ، وهم بنو مخشي ، الى الحكم بقرطبة وكتب اليه بخبرهم .

ثم ان عمروس اعمل جهده في استجلاب اهل طليطلة بمكاتبته حتى ادخلوه المدينة ، فلما تمكّن منها بنى القصر على باب جسرها فاحكمه واتقن أمره ، ثم سعى في قتل رجال طليطلة وقطع شرّهم وحسم دائهم توطيداً للمملكة ؛ فأعدّ للكيد صنيعاً اظهر أنه يذبح فيه البقر ، وأمر أن يكون دخول الناس على باب وخروجهم على باب ، فكان كل من دخل وتجاوز الباب قتل حتى أفنى من أشرافهم سبعمائة .

وفي سنة ١٨٢ كان السيل العظيم بقرطبة ذهب بربض القنطرة ، ولم يبق فيه داراً إلا هدمها ، حاشا غرفة عون العطّار ، وبلغ السيل شقندة .

وفيها دخل سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية الأندلس من العدوة ، وتقدّم متعرّضاً لحرب الحكم في شوال منها ، فانهزم سليمان بعدما دارت بينهما حرب شديدة .

وفيها عاد سليمان ثانياً للقتال ، والتقى مع الحكم أيضاً ببخيطة فانهزم سليمان .

وفي سنة ١٨٣ خرج سليمان ومعه برابر اجتمعوا اليه الى ناحية أسجة ، فغزاه الحكم والتقيا بمقربة من استجة ، فدارت بينهم حرب شديدة أياماً ، ثم انهزم سليمان بمن كان معه ، ثم التقيا أيضاً في هذا العام فانهزم سليمان .

وفي سنة ١٨٤ حشد أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن من المشرق ، فاحتلّ بجيان ثم بالبيرة ، فاتبعه جماعة من الكورتين ؛ والتقى معه الحكم فدام القتال بينهم اياماً حتى همّ الحكم بالهزيمة ، ثم انهزم سليمان وأفلت ، وقُتل في المعترك بشر كثير . وبعث الحكم اصبغ بن عبد الله في طلبه ، فلحقه بجهة ماردة وأخذه أسيراً وأتى به الى الحكم ، فأمر بقتله وبعث برأسه الى قرطبة .

وفي سنة ١٨٦ أخرج الحكم الى عمه عبد الله البلنسي أماناً ، وهو أوّل خروج كان اليه ، وأول مكاتبة كانت بين الحكم وبينه بعد حلوله ببلنسية .

وفي سنة ١٨٧ انعقد امان عبدالله البلنسي وصلحه باجراء الارزاق عليه ، وذلك ألف دينار لكل شهر ، وباجراء المعارف وذلك ألف دينار لكل عام ، وخرج اليه بهذا الأمان يحيى ابن يحيى وابن أبي عامر، فعقد الصلح على ذلك، وعلى ان يسكن عبدالله بلنسية . وقدم يحيى وابن أبي عامر بولد عبدالله على الحكم فزوّجه اخته شقيقته .

مقتل أهل الربض اولا قبل هيجة ثانية

وفي سنة ١٨٩ صلب الامام الحكم اثنين وسبعين رجلا بقرطبة منهم : أبو كعب بن عبد البرّ ويحيي بن مضر ومصرور الخادم ، وكان السبب في ذلك انهم ارادوا الغدر به وهمّوا بالخلاف عليه وطلبوا رئيساً يقومون به، فوقع الخبر على محمد ابن قاسم عمّ هشام بن حمزة، واطلعوه على أمرهم ودعوه للقيام معهم، فخذلهم وافشى سرّهم وتقرّب الى الحكم بدمائهم، فثبت الحكم وسأله تصحيح ما رفع اليه . فقال له : هات امناءك، فأخفاهم عنده ووجّه عنهم لميعاده، ثم قال لهم : هذا الذي تدعونني اليه لا أثِقُ بمن سميتم دون ان اسمع منهم كما سمعتُ منكم فتطيب نفسي وادخل في الامر على قوة وبصيرة . فاتوه وسمع مقالتهم والامناء بحيث يرون ويسمعون . فلما صحّ عند

الحكم امرهم بشهادة الامناء عليهم اخذهم وصلبهم جميعاً ببردة واحدة . ثم اتقن سور قرطبة وحفر خندقها وتوجّه غازياً .

ومن قوله :

رأيتُ صدوع الارض بالسيف راقما ،
وقدماً لأمْتُ الشعبَ مذ كنت يافعا

فسائلْ ثغوري : هل بها الآن ثغرة
ابادرها مستنضيَ العزم ، دارعا ؟

وشافِهْ على الارض الفضاء جماجما ،
كأقحاف شريان الهبيد ، لوامعا

تنبّئك أني لم أكن عن قراعهم
بِوانٍ ، وأني كنت بالسيف قارعا

فاني اذا حادوا جزاعاً عن الردى ،
فلم أكُ ذا حَيْد عن الموت جازعا

حميتُ ذماري وانتهكت ذمارهم ،
ومن لا يحامي ظلّ خزيان ضارعا

ولما تساقينا سجال حروبنا ،
سقيتُهُمُ سمّاً من الموت ناقعا

وهل زدتُ ان وفيتُهم صاعَ قرضِهم،
فوافوا منايا قُدِّرَتْ ومصارعا ؟

فهاك بلادي ، انني قد تركتُها
مهاداً ، ولم اترك عليها منازعا

وفي سنة ١٩٠ خرج الأمير الحكم غازياً الى ماردة ، فلمّا وصلها احتلّها وحاصرها ، وكان بها أصبغ بن عبدالله بن واسنوس ثائراً ، واذا بالخبر وصله ان سواد أهل قرطبة اعلنوا بالنفاق ، وتداعوا الى صاحب السوق بالسلاح ، وكتب المخلفون الى الحكم بما حدث بعده وبما ظهر من ضمائر السفلة ، فصدر قافلاً وطوى المراحل وقطع الطريق في ثلاثة أيام ودخل القصر ، فهدأ الناس وسكنت الأحوال، وصار الناس في هدوء وسكون من سنة ١٩٠ الى سنة ٢٠٢ والتزموا الدعة ١٢ سنة.

وترددت الغزوات سبعة أعوام الى ماردة ، وبها أصبغ بن عبدالله ثائراً متمنعاً . وكان سبب ثورته ان عدو الاصبغ طالبه عند الحكم وأغراه عليه ؛ ثم مشى الى اصبغ بمثل ذلك وروّعه منه ، فتوقّع العقوبة والسطوة به ، فكان ذلك سبب دخوله ماردة وقيامه بها ، وتكرّرت الغارات عليه سبعة أعوام، فافتتحت في العام السابع بمحاولة انحلت عن طلب الأمان للاصبغ ، فامن وخرج من ماردة وصار في مَصَفّ الحكم ، فسكن

قرطبة ، ثم فسح له في الاختلاف الى ضياعه بماردة حتى التاث امرها واضطربت رجالها .

وفي سنة ١٩٣ خرج رذريق صاحب افرنجة الى جهة طرطوشة فاغزى الحكم ابنه عبدالرحمن في جيش كثيف، و كتب الى عمروس وعبدون عاملي الثغر بالغزو معه ، فجمع أهل الثغر، فتقدّم عبد الرحمن بالجنود وتوفّتْ عليه الحشود وحفّتْ به المطوعة، فألفوا الطاغية خارجاً الى بلاد المسلمين ، ودارت بينهم حرب شديدة ثبت الله فيها أقدام المسلمين ، فانهزم المشركون وكانت فيهم مقتلة عظيمة فني اكثرهم .

وفي سنة ١٩٤ غزا الحكم الى ارض الشرك، وكان السبب في هذه الغزاة ان عباس بن ناصح الشاعر كان بمدينة الفرج، وهي وادي الحجارة، وكان العدو، بسبب اشتغال الحكم بماردة وتوجيه الصوائف اليها مدّةً من سبعة اعوام، قد عظمت شوكته وقوي امره فشن الغارات في أطراف الثغور يسبي ويقتل. وسمع عباس ابن ناصح امرأة في ناحية وادي الحجارة وهي تقول : واغوثاه يا حكم! قد ضيعتنا واسلمتنا واشتغلت عنا حتى استأسد العدو علينا. فلما وفد عباس على الحكم رفع اليه شعراً يستصرخه فيه ويذكر قول المرأة واستصراخها به ، وانهى اليه عباس ما هو عليه الثغر من الوهن والتياث الحال ، فرثى الحكم للمسلمين

وحمي لنصر الدين وامر بالاستعداد للجهاد، وخرج غازياً الى ارض الشرك فأوغل في بلادهم وافتتح الحصون وهدم المنازل وقتل كثيراً وأسر كذلك ، وقفل على الناحية التي كانت فيها المرأة وأمر لاهل تلك الناحية بمال من الغنائم يصلحون بـه احوالهم ويفدون سباياهم، وخص المرأة وآثرها، واعطاهم عدداً من الاسرى عوناً، وأمر بضرب رقاب باقيهم، وقال لاهل تلك الناحية وللمرأة: هل اغاثكم الحكم ؟ قالوا : شفى والله الصدور ونكى في العدو وما غفل عنا إذ بلغه أمرنا، فاغاثه الله واعزّ نصره!

وفي سنة ١٩٦ غزا الحكم الى بلاد المشركين واوغل فيها، فأوغل فيهم وأوقع بهم وقفل. وفيها مات تمام بن علقمة الثقفي.

وفي سنة ١٩٩ كانت المجاعة التي عمّت الاندلس ومات اكثر الخلق جهداً. وفي هذه السنة أغزى الحكم عمّه عبد الله البلنسي الغزوة الشنيعة المشهورة، وكانت ببرشلونة، ألفى المشركين قد حلّوا بها يوم احتلاله . وكان يوم الخميس، فأراد من معه مناشبة الحرب، وتشوّفوا للقتال فمنعهم، حتى اذا كان في اليوم الثاني، وهو يوم الجمعة وقت الزوال، أمر بتعبئة الكتائب ونصب الردود[1]، وقام فصلى ركعتين، ثم نادى في الناس ، وركب هو ومن معه وناهض أهل الشرك ؛ وما أحسبه فعل ذلك الا فقهاً وعلماً وتأسّياً بحديث النبي

---

[1] الردود : الظاهر انها في اصطلاحهم بمعنى المجانيق .

(صلعم) حيث أمر بالقتال في تلك الساعة ، فان فيها تهبُّ الارواح وتفتح ابواب الجنة وتستجاب الدعوات ؛ فمنحهم الله أكتاف المشركين وانهزموا وقتل عامتهم وفرق جمعهم . فلما أقلع عن القتال وانجلت الحرب نصب قناة طويلة ، فاثبتت في الأرض وأمر بالرؤوس فجمعت وطرحت حواليها حتى غابت القناة فيها .

## ذكر دخول الحكم طليطلة حين خالفت عليه

وذلك انه اظهر الغزو الى بلاد المشركين وقصد تدمير وهو يريد في نفسه طليطلة ، فنزل تدمير واضطرب فيها ونازل بعض حصونها ، وكتب الى عمال الثغر بنزوله فيها وحربه لها ، فأمن أهل طليطلة وانتشروا في بسائطهم ونظروا في زروعهم ، وله عليهم عيون . فلما صحَّ عنده انبساطهم جعل يتقرب من احواز تدمير ، وأخبار طليطلة تَرِدُ عليه ، فلما امكنَتْه الفرصة فيها جدَّ السير اليها وطوى المراحل فوصل اليها ليلاً ، وسبق بقطيع من الحشم فدخل طليطلة ليلاً ، ولم يُعلم بدخوله ؛ أهلها في غفلة وأبوابها مفتحة . وتتابع العسكر عليه بمقدار قوة كل أحد فملكها وحال بين اهلها وبينها ، وقطع الخروج عمن كان بها الى من كان بخارجها ، فاستوسق

له ملكها دون مؤنة ، ولا قتال ، فاستنزل أهلها من الجبال الى السهـــل وحرق ديارها وسكّنهم في الصحراء ثم ردّهم اليها .

وفي سنة ٢٠٠ اغزى الحكم وزيره عبد الكريم بن مغيث الى بلاد المشركين فدخلها وتوسّطها وأهلك معايشها ومرافقهـا وحطم زروعها، وهدم منازلها وحصونها حتى استوفى جميع قرى وادي ارون ؛ فحشدت اليه الطاغية، دمرها الله، وانجلت النصرانية من كل مكان، واقبلت الجموع ونزلت بعدوة نهر ارون، وصار النهر حاجزاً بينهم وبين المسلمين. فلما اصبح نهض عبد الكريم بمن معه الى مخائض الوادي ونهض اعداءُ الله اليهم فقاتلوهم على كل مخاضة منهـا ، فجالدهم المسلمون عليها مجالدة الصابرين المحتسبين، واقتحم اعداءُ الله النهر اليهم فاقتتلوا على مخاضته، ثم حمل المسلمون عليهم حملة صادقة ، فاضغطوهم في المضائق وادخلوهم على غير طريق، فاخذتهم السيوف والطعن بالرماح ، فقتل من المشركين عـدد عظيم لا يحصى كثرة ومـات اكثرهم بالردى ، ودرس بعضهم بعضاً ، وصاروا بعد المطاعنة والمجالدة بالرماح والسيوف الى القذف بالحجارة، واكثروا الحراس بالمخائض ووعروها بالخشب، وحفروا الحفائر وخندقوا الخنادق ونزلت الامطار، وكان قد فرغ ما كان لاعداء الله من المرافق، وضاقت

الحال ايضاً بالمسلمين ، فقفل عبد الكريم ظافراً لسبع خلون من ذي القعدة .

ولم يكن في سنة ٢٠١ صائفة ولا حركة مشهورة .

ذكر هيج اهل الربض ثانية في سنة ٢٠٢

كان من أهل ربض قرطبة مـا نستعيذ بالله من الخذلان في مثله وذهاب التوفيق، وقـد اختلفت الروايات في سبب قيـام الناس وهيجهم، فمنهم من يقول ان ذلك الهيج كان أصله الاشر والبطر، اذ لم تكن ثَمّ ضرورة من اجْحاف في مال ولا انتهاك لحرمة ولا تعسُّف في مملكة، والحال تدلُّ على صحّة ذلك، فانه لم يكن على الناس وظائف ولا مغارم ولا سخر ولا شيء يكون سبباً لخروجهم على السلطان، بل كان ذلك أشراً وبطراً، وملالاً للعافية ، وطبعاً جافياً وعقـلاً غبيّاً، وسعياً في هلاك أنفسهم؛ أعاذنا الله من الضلال والخذلان واسباب البوار والخسران .

ولما اهتاجوا وقاموا على السلطـان ناصبهم الحكم القتال وواضعهم الحرب ، وانحاش اليه حاشيته وجنده ، وتألَّب من كل وجه رجاله ، وقامت الحرب بين الجند وعامة قرطبة على ساق . ثم تكاثرت العامـة وهاجت الدهماء السوداء فلم يزيدوا على ان ظهروا في ذلك الحين ظهوراً لم يبلغهم الى أمل ؛ فلما اشتغلوا

بالقتال احتيل عليهم مثـل حيلة يوم الحرّة ، وهم لا يشعرون لاشتغالهم بالقتـال ، فخرج عبيد الله بن عبد الله البلنسي المعروف بصاحب الصوائف واسحاق بن المنذر القرشي الى باب الجسر مع من أمكنهما من الفرسان والرجّالة ، والتقوا مع العامة وجالدوهم حتى ازاحوهم وادخلوهم الجسر ؛ وفُتـح باب المدينة عند الجسر ، ودخـل الذين سمينا ودخلوا على باب الحديد .

ثم اقتحموا على الزقاق الكبـير وخرجوا على الرملة الى مخاضة هناك ، وجازوا النهر واجتمعوا مع من توافى عليهم من حشود الكور، اذ كانوا قد أُنذروا قبل ذلك لما كان بـدا منهم وظهر من علاماتهم . فلمـا اجتمعوا أقبـل بعضهم من وراء الربض ، وشرع بعض في طرح النـار في الدور ودسّوا من أخبر العامة بما نزل بهم في دورهم وذراريهم وعيـالهم ، فلم يبقَ أحد منهم دون أهله ومنزله وانصرفوا راجعين نحوهـا ، فأخذتهم السيوف من أمامهم وورائهم فقتلوا قتـلًا ذريعاً ، وتُتبِّعوا في الأزقـّة والطرق يقتلون ، ونجـا منهم مَنْ تأخّر اجلُه ففرّ فلم يلو على أهل ولا ولد ؛ وأُخذ منهم ثلاثمائة رجل فصلبوا على الوادي صفّاً واحداً من المرج الى المصارة .

وكان الحكم قـد عزم على تتبعهم بالأندلس وقتلهم حيث وجدوا، فكسر عليه بعض أصحابه وذكره صنع الله له فيهم

فارعوى وكفّ، فخرجوا افواجاً باهليهم واولادهم ولم يعرض لاحد منهم في شيء من بلاد الاندلس، وهي طاعته وملكه، ولا نالهم ضرّ بعد وقت المعركة وغليان الحال، كرماً وعفواً من الامير الحكم، رحمه الله. وعفّ الحكم عن الاموال والحرم. وتفرّق أهل الربض في جميع أقطار الاندلس، ومنهم من جاز البحر الى العدوة بالاهل والولد فاحتلّوا بعدوة فاس، فهم عدوة الاندلس منها، فصيّروها مدينة؛ ومنهم اهل جزيرة اقريطش؛ فذُكِر انه لم يخرج منهم طائفة بناحية من نواحي الدنيا الا وتغلّبوا عليها واستوطنوها على قهر من أهلها؛ واكثر من هرب من اهل العلم والخير، ممن اتّهم او خاف على نفسه، الى ناحية طليطلة. ثم امنهم الحكم وكتب لهم اماناً على الانفس والاموال واباح لهم التفسّح في البلدان حيثما احبّوا من اقطار مملكته، حاشا قرطبة او ما قرب منها.

وفي سنة ٢٠٦ اشتدّ مرض الحكم بن هشام فاخذ البيعة لابنه عبد الرحمن ثم للمغيرة من بعده، وانفذت البيعة يوم الاربعاء لاحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة من السنة، فبويع له ذلك اليوم في القصر، واختلف الناس بعد ذلك اليوم الى دار عبد الرحمن بن الحكم يبايعونه، وبايعوا المغيرة في دار اخيه عبد الرحمن ايضاً. ثم ركب المغيرة الى الجامع ونزل فيه يوماً

بعد يوم لمبايعه الناس له، وكانوا يبايعونه عند المنبر، ثم بايعوه في داره . ولما انقضت البيعة لعبد الرحمن والمغيرة بعده أمر الحكم بن هشام بهدم الفندق الذي كان بالربض، وكان مُتَقَبَّلُه من اهل الاضرار والفسق، فهُدِم .

وتوفي الامير الحكم يوم الخميس لاربع بقين من ذي الحجة من السنة، وصلى عليه ابنه عبد الرحمن ودفن بالقصر .

بعض اخباره وسيره

كان الحكم ، رحمه الله، شديد الحزم ، ماضي العزم ، ذا صولة تُتّقى . وكان حسن التدبير في سلطانه وتولية أهل الفضل والعدل في رعيته ؛ وكان مبسوط اليد ، وكان له قاض كفاه بورعه وعلمه وزهده ، فمرض مرضاً شديداً ، فاغتمّ الحكم لمرضه ؛ فذكر بعض خاصّته انه ارق ليلة ارقاً شديداً وجعل يتململ على فراشه ، فقيل له : أصلح الله الأمير ، ما الذي عرض ؟ فقال : ويحكم ! اني سمعت في هذه الليلة نادبة ، وقاضينا مريض ، وما أراه الا وقد قضى نحبه ، فأين لي بمثله ومن يقوم بالرعية مقامه ؟

فمات القاضي في تلك الليلة ، وهو المصعب بن عمران ، قاضي أبيه ؛ فولى بعده محمد بن بشير ، فكان اقصد الناس

الى حق وأبعدهم من جور وأنفذهم لحكم . ورفع اليه رجل من أهل كورة جيان ان عاملًا للحكم اغتصبه جارية وصيَّرها الى الحكم ، فوقعت من قلب الحكم كل موقع ، فأثبت الرجل أمره عند القاضي وأتاه ببيّنة تشهد على معرفة ما تظلّم منه وبملكه للجارية ومعرفته بها ؛ فأوجبت السُّنّة ان تحضر الجارية ، فاستأذن القاضي على الحكم فأذن له ، فلما دخل عليه قال : ايها الأمير انه لا يتمّ عدل في العامة دون افاضته في الخاصة ؛ وحكى له أمر الجارية ، وخيّره بين ابرازها للبيّنة لتشهد على عينها ، او عزله .

فقال له الحكم : أوَلاَ أدعوك الى خير من ذلك ؟ تبتاع الجارية من صاحبها بأبلغ ما يطلب فيها .

فقال القاضي : ان الشهود قد شهدوا من كورة جيان ، وأتى الرجل يطلب الحق في مظانّه ، فلمّا صار ببابك تصرفه دون انفاذ الحق له ، ولعلّ قائلًا يقول : باع ما لا يملك بيع مقهور . فلما رأى عزمه على ذلك أمر بإخراج الجارية من قصره ، فشهد الشهود عنده على عينها وقضى بها لصاحبها .

وكان هذا القاضي محمد بن بشير ، اذا خرج للمسجد وجلس للاحكام جلس في رداء معصفر وشعر مفرق ، فاذا طُلب ما عنده وُجد افضل الناس واورعهم . وكان الحكم يقول : ما تحلى الخلفاء

بمثل العدل . وكانت فيه بطالة الا انه كان شجاع النفس باسط الكف عظيم العفو، وكان يسلط قضاته وحكامه على نفسه فضلاً عن ولده وخاصته .

وكانت للحكم ألف فرس مرتبطة بباب قصره على جانب النهر ، عليها عشرة من العرفاء تحت يد كل عريف مائة فرس، فاذا بلغه عن ثائر ثار في اطرافه امر، عاجله قبل استحكام امره، فلا يشعر حتى يحاط به. وجاءه الخبر يوماً ان جابر بن لبيد محاصر لجيان ، وهو يلعب بالصولجان في القصر ، فدعا بعريف من اولئك العرفاء وامر اليه ان يخرج بمن تحت يده الى جابر بن لبيد، ثم فعل ذلك باصحابه من العرفاء ، فلم يشعر ابن لبيد حتى تساقطوا عليه مسربلين في الحديد ، فلما رأى العدو ذلك أُسقط في يده وظنّ ان الدنيا قد حُشِرت اليه فولى بمن معه منهزماً.

وكان فصيحاً بليغاً شاعراً مجيداً ، فمن شعره ، رحمه الله ، يتغزل ، وذلك انه كان له أشعار كثيرة في خمس جوارٍ قد استخلصهن لنفسه وملّكهن أمره ، فذهب يوماً الى الدخول عليهن فأبَيْنَ عليه واعرضْنَ عنه ، وكان لا يصبر عنهن ، فقال :

قضب من البان ماست فوق كثبانِ ،
وَلّيْن عنّي ، وقد أزمعْنَ هجراني

ناشدتُهن بحبّي ، فاعتزمن على
الهجران حتى خلا منهن هميانِي

ملكنني مَلكاً ذلّت عزائمه
للحب ، ذل اسير موثق عانِ

من لي بمغتصبات الروح من بدني ،
غصبنني في الهوى عزي وسلطاني

ثم انهن عُدْنَ عليه بالوصال فقال :

نلتُ كل الوصال بعد البعاد ،
فكأني ملكتُ كل العباد

وتناهى السرور ، اذ نلت ما لم
يغنِ فيه تكاتف الأجناد

ومن مليح قوله فيهنّ رحمه الله :

ظلّ من فرط حبه مملوكا ،
ولقد كان قبل ذاك مليكا

إن بكى أو شكا الهوى ، زيد ظلماً ،
وبعاداً يدني حِماماً وشيكا

تركته جآذِرُ القصر صبّاً
مستهاماً ، على الصعيد تريكا

يجعل الخدَّ واضعاً فوق تُربٍ ،
للذي يرتضي الحرير ، أريكا

هكذا يحسن التذلّل للحر ،
اذا كان في الهوى مملوكا

وله ، رحمه الله ، أشعار كثيرة في الربضيين القائمين عليه لا يجاريه فيها أحد ، وقد تقدَّم منها ما يستدلُّ به على فضله. ولمَّا دنت وفاته عتب نفسه فيما تقدَّم منه عتاباً وتاب الى الله متاباً ورجع الى الطريقة المثلى وقال: إنَّ الآخرة هي الأولى ؛ فتزيّن بالتقوى واعتصم بالعروة الوثقى، وأقرَّ بذنوبه واعترف وانس الى قوله تعالى: ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف . وكان من عباد الله المتقين ، الى ان اتاه من ربّه اليقين ، فتوفي رحمه الله سنة ٢٠٦ .

# خلافة عبد الرحمن بن الحكم

كنيته : ابو المطرّف .

امه : تسمى حلاوة .

مولده : سنة ٧٦

حاجبه : عبد الكريم بن عبد الواحد .

وزراؤه تسعة : رزق كل واحد ثلاث مائة دينار .

كتّابه ثلاثة : عبد الكريم المذكور ، وسفيان بن عبد ربه ، وعيسى بن شهيد .

قضاته : احد عشر منهم يحيي بن مَعْمَر وقبله مسرور بن محمد بن بشير ثم سعيد بن محمد بن بشير ثم يحيي المتقدم الذكر وغير هؤلاء، وانما كثر القضاة في ايامه لان المشاور في عزلهم وولايتهم يحيى بن يحيي الليثي؛ فكان لا يولّي رجلًا الا برأيه، فكان يحيي بن يحيي اذا انكر من القاضي شيئاً قال له : استعف وإلا رفعت بعزلك؛ فكان يستعفي، ويشير يحيي بعزله فيعزل .

نقش خاتمه : عبد الرحمن بقضاء الله راضٍ . وكان له قبل ذلك خاتم باسمه فتلف وامر بطلبه فلم يوجد ، فاعاد نقش خاتم جدّه عبد الرحمن بعد ان خرج نصر الفتى من عند الامير هذا بالخاتم للنقش، وبعث في عبد الله بن الشمر الشاعر وقال له : ان الامير

امر بنقش هذا الخاتم فقُلْ ما ينقش فيه، فقال :

خـاتم للملك اضحى حكمه في الناس ماضي
عابـد الرحمن فيـه بقضـاءِ الله راضي

فاستحسن ذلك الامير عبد الرحمن وأمر بنقشهما في الخاتم .

صفته : طويل، اسمر ، اقنى ، اعين ، اكحل ، عظيم اللحية، يخضب بالحنا والكتَم .

بويع بعد موت ابيه بيوم واحد وذلك يوم الخميس لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ٢٠٦ وهو ابن ٢٣ سنة و٩ اشهر .

وتوفي ليلة الخميس لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر سنة ٢٣٨

كان عمره ٦٢ سنة .

خلافته : ٣١ سنة و ٣ اشهر و ٦ ايام وقيل و ٥ أشهر .

بنوه: الذكور ٤٥ وبناته ٤٢

وفي سنة ٢٠٧ ثارت بتدمير فتنة بين مضر ويمن ودامت ٧ سنين، فاغزى اليهم الامير عبد الرحمن في هذا العـام يحيى بن عبد الله بن خلف . ثم كان يبعث اليهم المرة بعد المرة بالقواد فيفترقون فاذا قفلوا عادوا الى الفتنة؛ وكانت بينهم وبين يحيى ابن عبد الله وقعة تعرف بوقعة المصارة بلورقة ، انتهى مبلغ

القتلى فيهم الى ثلاثة آلاف . وفيها كان بالاندلس جوع شديد مات به كثير من الخلق .

وفي سنة ٢٠٨ كانت الغزاة المعروفة بغزاة ألبة والقلاع، غزاها عبد الكريم بن عبد الواحد بالصائفة ، واحتلّ بالثغر ، وتوافت عليه عساكر الاسلام ، واختلفوا في الدخول على اي باب يكون الى دار الشرك ، ثم اجتمعوا على ان يكون من باب ألبة ، اذ كان ذلك الباب انكى للعدو واحسم لدائه ؛ فاقتحموا من فج يقال له : جرنيق ، وكان وراءه بسيط للعدو فيه خزائنه وذخره ، فوقع أهل العسكر على تلك البسائط فاستصفوها ، وعلى ذخر تلك الخزائن فانتهبوها ، واستوعبوا خراب كل ما مرّوا عليه من العمران والقرى واقفروها . وانصرف المسلمون غانمين ظافرين والحمد لله .

وفي سنة ٢٠٩ توفي عبد الكريم بن عبد الواحد ، وكان قد أخذ في الحركة الى ارض العدو فاعتلّ ، وعوض منه الامير عبد الرحمن بن الحكم اميّة بن معاوية بن هشام، فغزا بالصائفة الى اوريط فاحتلّ بها ، وهي يومئذ للاسلام ، فأخذ أهل الذنوب والريب وعفا عن الباقين ؛ ثم تقدّم الى شنت برية وتدمير ، وكان أبو الشماخ رئيس اليمانية يقوم بدعوة الأمين على المضرية، وكانت بينهم وقعة بمرسية، كوقعة يوم المصارة

بلورقة ، ففي فيها من المسلمين أمم . وكان انبعاث هذه الفتنة وسببها بين المضرية واليمانية على ورقة دالية أخذها مضريّ من جنان يماني ، فقتله اليماني ، فكان ذلك سبب الحروب التي دارت بين الفريقين واتصلت أعواماً ، وكانت الدوائر تدور اكثرها على اليمانية والقتلى منهم ، وذلك احدى عجائب الدهر .

وفي سنة ٢١٠ أمر الأمير عبد الرحمن ببنيان الجامع بمدينة جيان . وفيها كتب الى عامل تدمير ان ينزل بمرسية ويتخذها موطناً ، فكانت حينئذ موضع نزولهم وموضع قرارهم ، وأمر بهدم مدينة انة من تدمير ومنها ثارت الفتنة اولاً . وفيها افتتح فرج بن مسرّة في ارض العدو حصن القلعة ؛ وكان مسرة عامل جيان .

وفي سنة ٢١١ ثار طوريل بتاكرنا فاخرج اليه الامير عبد الرحمن بن معاوية ابنَ غانم في حشد فظفر به وقطع عاديته .

وفي سنة ٢١٢ غزا عبيد الله بن عبد الله البلنسي بالصائفة الى دار الحرب، فجال في ارض العدو حتى بلغ برشلونة وتردد في تدويخها وانتسافها ٦٠ يوماً .

وفي سنة ٢١٣ انقطعت الفتنة بتدمير واستُنزل أبو الشماخ وغيره من القلاع، وانقطعت عاديتهم، وصار أبو الشماخ من ولاة الامير عبد الرحمن ومن ثقاته .

وفي سنة ٢١٤ ثار الضراب بطليطلة ، واسمه هاشم وسمي الضراب لانه لما أحرق الحكم طليطلة وانزل اهلها منها الى السهل اخذ رهائنهم فدخل حينئذ هاشم الضراب قرطبة وصار يضرب بالمعول في الحدادين أجيراً فعرف بالضراب، ثم خرج من قرطبة الى طليطلة فاستدعى أهل الشر والفساد وألـّبهم ، فتألب اليه منهم نفر، فخرجوا يغيرون على العرب والبربر، وتسامع اهل الشرّ بـه فقطعوا اليه حتى اجتمع له منهم جمع عظيم وخلق كثير، فعلا ذكره وانتشر صيته واوقع بالبربر بشنت برية ودارت له عليهم دوائر ؛ فاخرج الامير عبد الرحمن اليه محمد بن وسيم وامره بحربه فحاربه في هذه السنة .

وفي سنة ٢١٦ توافت الجنود لمحمد بن وسيم عامل الثغر ، فناهض هاشماً الضراب، وكان قد تغلـّب على جانب الثغر، وكان عبد الرحمن قـد استقصر محمد بن وسيم في حقّه و كتب اليـه يعنفه ، فتقدّم ابن وسيم والتقى هاشم الضراب ، فوقعت بينهم حرب شديدة اياماً ، ثم انهزم هاشم وقتل هو ومن كان معه وكانوا آلافاً .

وفي سنة ٢١٧ حوصرت ماردة وضُيّق عليها حتى فرّ عنها خلق كثير وقتل منهم كثير .

وفي سنة ٢١٨ كان الكسوف العظيم الذي توارت معه

الشمس وبدت الأظلام ، وكان ذلك قبل زوال الشمس في اواخر رمضان . وفيها استوزر الامير عبد الرحمن ابنَ شُهيد واستحجبه . وفيها قامت الزيادة في المسجد الجامع بقرطبة من الارجل التي بين السواري الى القبلة .

وفي سنة ٢١٩ غزا بالصائفة اميّة بن الحكم الى طليطلة وحاصرها ، ثم قفل العسكر بعد ان اتلف زروعهم وقطع ثمارهم ، وابقى بقلعة رباح ميسرة الفتى لمحاصرة طليطلة ، فخرج جمع عظيم من طليطلة يريدون قلعة رباح ، فبلغه خبرهم فجمع الجموع وكمّن الكمائن ، فلما قربوا منها وقربوا خيلهم في الغارة خرجت عليهم الكمائن فقُتلوا وحُزّت رؤوسهم فجمعت بين يدي ميسرة واجتمع منها جملة عظيمة ، فلمّا رأى ذلك ارتاع وداخله الندم ، فلم يلبث بعد ذلك الا يسيراً حتى مات ندماً واسفاً .

وفي سنة ٢٢٠ غزا الامير عبد الرحمن فجعل صدر وجهته على طليطلة، وولى ابا الشماخ قلعة رباح ، وابقى عنده خيلاً كثيفة ورجْلاً كثيرة لمناهضة طليطلة ، وتقدّم هو الى كور الغرب .

وكان سليمان بن مرتين قد تحيّل عليه يحيى المارِدي ، فأخرجه من ماردة ، فكان في قنن الجبال حُيَيْناً ، فحلّ عليه

الامير في هذه الغزاة وحاصره حتى ضاق سليمان بن مرتين في الحصن ، فخرج ليلاً ، فبينا هو يمشي اذ وافق صخرة ملساء على وجه الارض ، فزلق به الفرس فسقط ومات ، ووجده رجل فاحتزّ رأسه وادّعى قَتْله ، ثم عُرِف امره .

وفي سنة ٢٢١ افتتحت طليطلة ، وكان السبب في ذلك ان ابن مهاجر خرج عنها ونزع الى قلعة رباح واستدعى القواد ، فخرجوا اليه فنهض بهم الى ابواب المدينة وقطع عنهم مرافقهم ، فكان ذلك اقوى الاسباب في افتتاحها . وكان عبد الواحد الاسكندراني بعثه الامير اليهم فوجدهم قد بلغ بهم الجهد ، ثم اطلّ عليهم الامير فافتتحها قهراً ودخلها على حكمه وأمر بتجديد القصر الذي كان بناه عمروس في ايام الحكم على باب الجسر . وقيل ان الذي افتتح طليطلة الوليد بن الحكم ، وجهه اليها اخوه عبد الرحمن .

وفي سنة ٢٢٢ افتتحها عنوة ودخلها في شهر رجب من هذه السنة على حكمه .

وفي سنة ٢٢٣ اغزى الامير عبد الرحمن بن الحكم اخاه الوليد بن الحكم الى جليقية ، فدخل من باب الغرب مع قطيع من العسكر فدوّخها وكانت له فتوحات كثيرة .

وفي سنة ٢٢٤ اغزى الامام عبد الرحمن ابنه الحكم الى

دار الحرب وامره بالتجوّل في جهات الثغور ليتعرف اخبارها ومصالحها، وامر باصلاح قنطرة سرقسطة؛ ودخل الحكم بالصائفة الى دار الحرب فدوّخها وقتل من المشركين ما لا يحصى، واجتمع من رؤوسهم اكداس كالجبال حتى كان الفارس يقف من ناحية فلا يرى صاحبه من ناحية اخرى من عِظَمها. وفيها كانت رجوم بالنجوم في جمادى الآخرة، وتناثرت الكواكب من قبلة الى جوف ومن شرق الى غرب بجزيرة الاندلس.

وفي سنة ٢٢٥ غزا الامام عبد الرحمن بنفسه ارض جليقية ففتح حصونها وجال في ارضها وطالت غزاته وتعب كثيراً. فأرق في بعض الليالي. فلما كان في بعض الليل حضر عبد الله بن الشمر الشاعر، فوصف له ارقه وانه تذكّر بعض مَن حنّ إليه، فقال عبد الله بن الشمر:

عدانيَ عنك قرار العدى، وقَودِي إليهم لُهاماً مهيبا
وكم قد تعَسفتُ من سبسب، ولاقيت بعد دؤوب دؤوبا
وأدَّرِعُ النقع، حتى لبستُ، من بعد نضرة وجهي، شحوبا
الاقي بوجهي سموم الهجير، وقد كاد منه الحصى أن يذوبا
انا ابن الهشامين من غالب، أشبُّ حروباً وأطفي كروبا
بيَ ادَّاركَ الله دينَ الهدى، فأحيَيتُه واصطليت الصليبا
سموتُ إلى الشرك في جحفل، ملأتُ الحزون به والسهوبا

وفي سنة ٢٢٦ غزا بالصائفة إلى جليقيـة من بلاد العـدو مُطَـرِّف بن عبد الرحمن فتوسّط بسيطهم وذهب بنعمتهم؛ وكان القائد عبد الواحد بن يزيد الاسكندراني .

وفي سنة ٢٢٧ خرج عبيد الله بن عبدالله صاحب الصوائف، فلما حصل بين اربونة وسرطانية تجالب الاعداء من كل ناحية واحاطوا بالعسكر ليلاً فقاتلهم المسلمون الليل كله ، فلما انجلى الضوء أيّد الله المسلمين وهزم الاعداء .

وفي سنة ٢٢٨ خرج الامير عبد الرحمن بنفسه إلى أرض العدو وخلف في القصر ولده المنذر ، وجعل على ميمنته ولده محمداً ، وعلى الميسرة ولده المطرف ، فلقي جيشاً كبيراً من المشركين فناشبهم الحرب ، فأنزل الله نصره عـلى المسلمين ، وهزموا المشركين واثخنوا فيهم القتل، وافاء الله على المسلمين من ذراري بنبلونة وخيلهم واسلحتهم مـا عظم به مـن الله سبحانه المنّ ، وقفل عزيزاً في منتصف شوال ، وكان خروجه من قرطبة لتسع بقين من شعبان .

وفي سنة ٢٢٩ خرج الأمير عبد الرحمن لمحاصرة موسى بن موسى بتطيلة، فدوّخ بلاده ثم صالحه ثم تقدّم الى بنبلونة، فكانت له بها وقعة عظيمة عـلى المشركين فني فيها اعـداء الله . وكان معهم موسى بن موسى فناله ورجاله ما نالهم . وفيهـا ورد

كتاب وهب الله بن حزم عامل الأشبونة يذكر انه حــل
بالساحل، قبلَه، اربعة وخمسون مركباً من مراكب المجوس
معها اربعة وخمسون قارباً ؛ فكتب اليه الأمـير عبد الرحمن
والى عمال السواحل بالتحفّظ .

دخول المجوس اشبيلية في سنة ٢٣٠

فخرج المجوس في نحو ثمانين مركباً كأنما ملأت البحر طيراً
جَوناً ، كما ملأت القلوب شجواً وشجوناً . فحلّوا باشبونة ثم
اقبلوا الى قادس الى شذونة ، ثم قدموا على اشبيلية فاحتلّوا
بها احتلالاً ، ونازلوها نزالاً ، الى ان دخلوها قسراً ، واستأصلوا
اهلهـا قتلاً واسراً ، فبقوا بها سبعة ايام ، يسقون اهلها كأس
الحمام . واتّصل الخبر بالأمير عبدالرحمن فقدّم على الخيل
عيسى بن سعيد الحاجب ، واتّصل المسلمون به اتصال العين
بالحاجب ، وتوجّه بالخيل عبدالله بن كليب وابن وسيم وغيرهما ،
واحتلّ بالشرف وكتب الى عمال الكور في استنفار الناس ،
فحلّوا بقرطبة ونفر بهم نصر الفتى ؛ وتوافت للمجوس مراكب
على مراكـب ، وجعلـوا يقتلون الرجـال ويسبون النساء
ويأخذون الصبيان ، وذلك بطول ثلاثة عشر يوماً . ذكر ذلك
في بهجة النفس . وفي كتاب درر القلائد سبعة أيام كما تقدّم .

وكانت بينهم وبين المسلمين ملاحم . ثم نهضوا الى قبطيل فأقاموا بها ثلاثة ايام ودخلوا قورة على اثني عشر ميلاً من اشبيلية ، فقتلوا من المسلمين عدداً كثيراً ، ثم دخلوا إلى طلياطة على ميلين من اشبيلية فنزلوها ليلاً وظهروا بالغداة بموضع يعرف بالفخارين ، ثم مضوا بمراكبهم واعتركوا مع المسلمين ، فانهزم المسلمون وقتل منهم ما لا يحصى ، ثم عادوا إلى مراكبهم ، ثم نهضوا إلى شذونة ومنها إلى قادس ، وذلك بعد ان وجه الامير عبد الرحمن قواده فدافعهم ودافعوه ونصبت المجانيق عليهم، وتوافت الامداد من قرطبة إليهم فانهزم المجوس وقتل منهم نحو من خمسمائة علج ، واصيب لهم أربعة مراكب بما فيها ، فأمر ابن وسيم باحراقها وبيع ما فيها من الفيء.

ثم كانت الوقعة عليهم بقرية طلياطة يوم الثلاثاء لخمس بقين من صفر من السنة ، قتل فيها منهم خلق كثير ، واحرق من مراكبهم ثلاثون مركباً ، وعُلق من المجوس باشبيلية عدد كثير ، ورُفع منهم في جذوع النخل التي كانت بها ، وركب سائرهم مراكبهم وساروا إلى لبلة، ثم توجّهوا منها إلى الاشبونة فانقطع خبرهم . وكان احتلالهم باشبيلية يوم الاربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من المحرم من سنة ٢٣٠ ؛ وكان بين دخولهم إلى اشبيلية وخروج من بقي منهم وانقطاعهم اثنان وأربعون

يوما ؛ وقتل اميرهم فقتلهم الله وأبادهم ، وبدد عددهم وعديدهم ، نقمة من الله وعذاباً ، وجزاء بما كسبوا وعقاباً . ولما قتل الله اميرهم وافنى عديدهم وفتح فيهم ، خرجت الكتب إلى الآفاق بخبرهم وكتب الامير عبد الرحمن إلى من بطنجة من صنهاجة يعلمهم بما كان من صنع الله في المجوس وبما انزل بهم من النقمة والهلكة ، وبعث اليهم برأس أميرهم وبمائتي رأس من انجادهم .

وفي سنة ٢٣١ غزا بالصائفة الى جليقية محمد ابن الأمير عبد الرحمن فحصرها وحصر مدينة ليون ورماها بالمجانيق ؛ فلما ايقنوا بالهلاك خرجوا ليلًا ولجؤوا الى الجبال والغياض ، فأحرق ما فيها وأراد هدم سورها ، فوجد سبع أو ثماني عشرة ذراعاً ، فتركه وامعن في بلاد الشرك قتلًا وسبياً .

وفي سنة ٢٣٢ قحطت الاندلس قحطاً شديداً ، وكانت فيها مجاعة عظيمة حتى هلكت المواشي ، واحترقت الكروم ، وكثر الجراد .

وفي سنة ٢٣٤ امر الأمير بتوجيه العساكر الى اهل جزيرة ميورقة لنكايتهم واذلالهم ومجاهرتهم بِنَقْضِهِم العهد واضرارهم بمن مرّ عليهم من مراكب المسلمين ، فغزتهم ثلاثمائة مركب ، فصنع الله للمسلمين جميلًا وأظفرهم بهم وفتحوا اكثر جزائرهم .

وفي سنة ٢٣٤ المذكورة توفي يحيى بن يحيى فاستراح القضاة من سمه .

وفي سنة ٢٣٥ ورد كتاب اهل ميورقة ومنورقة الى الامير عبد الرحمن يذكرون ما نالهم من نكاية المسلمين لهم ، فكتب اليهم كتاباً أذكر هنا فصولاً منه وهو :

اما بعد فقد بلغنا كتابكم تذكرون فيه امركم واغارة المسلمين، الذين وجّهناهم اليكم لجهادكم، واصابتهم ما اصابوه منكم من ذراريكم واموالكم ، والمبلغ الذي بلغوه منكم ، وما اشفيتم عليه من الهلاك ، وسألتم التدارك لأمركم وقبول الجزية منكم وتجديد عهدكم على الملازمة للطاعة والنصيحة للمسلمين والكفّ عن مكروههم والوفاء بما تحملونه عن انفسكم ، ورجونا ان يكون فيما عوقِبْتم به صلاحكم ، وتمنعكم عن العود الى مثل الذي كنتم عليه ، وقد اعطيناكم عهد الله وذمته .

وفيها كان سيل عظيم بجزيرة الاندلس ، حمل وادي شنيل وخرب قوسين من حنايا قنطرة استجة وخرب السداد والارحاء، وذهب السيل بست عشرة قرية من قرى اشبيلية على النهر الاعظم، وحمل وادي تاجه فاذهب ثماني عشرة قرية، وصار عرضه ثلاثين ميلاً .

وفي سنة ٢٣٦ ثار رجل من البربر يقال له : حبيب البرنسي بجبال الجزيرة ، وتأبّش اليه جماعة من أهل الشر والفساد ، فأخرج اليه عبد الرحمن الأجناد ، فلما وصلوا اليه ألفوا البربر

قد قصدوا حبيباً ومن تأبش اليه، فتغلبوا على المعقل الذي كان انضوى اليه وأخرجوه عنه ، وقتلوا عدة كثيرة من أصحابه، وافترق بقيتهم عنه . ودخل حبيب في غمار الناس فكتب الأمير عبد الرحمن الى عمال الكور بالبحث عنه .

وفي سنة ٢٣٧ قام رجل من المعلّمين بشرق الأندلس فادّعى النبوة وتأوّل القرآن على غير تأويله ، فاتّبعه جماعة من الغوغاء وقام معه خلق كثير . وكان من بعض شرائعه النهي عن قص الشعر وتقليم الاظفار، ويقول : لا تغيير لخلق . فبعث فيه يحيى بن خالد فأتي به، فلما دخل عليه كان أول ما خاطبه به ان دعاه الى اتباعه والأخذ بما شرع ، فشاور فيه أهل العلم فأشاروا بأن يستتاب ، فان تاب والا قتل . فقال: كيف أتوب من الحق الصحيح ؟ فأمر بصلبه ، فلمّا رُفع في الخشبة قال : أتقتلون رجلًا ان يقول ربي الله ! فصلبه وكتب الى الامير بخبره .

وفي سنة ٢٣٨ توفي الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، رحمه الله، ليلة الخميس لثلاث خلون من ربيع الآخر من السنة ، وما زال يقتفي المآثر ويبني المكارم والمفاخر حتى قبضته شَعوب ، وأرداه مُردي الشُعوب .

ذكر بعض اخباره على الجملة وسيره

لما ولي الامير عبدالرحمن بعث في اخوته وأهله ووزرائه فبايعوه وبايعته العامة ؛ ثم صلى على ابيه الحكم ، فلمّا قضى صلاته وواراه جلس بالأرض متطأطئاً ليس تحته وطاء، وجلس من كان معه ؛ ثم افتتح القول فقال :- الحمد لله الذي جعل الموت حتماً من قضائه وعزماً من امره ، واجرى الامور على مشيئته فاستأثر بالملكوت والبقاء واذلّ خلقه، فما لفناءٍ تبارك اسمه وتعالى جده ، وصلى الله على محمد نبيه ورسوله وسلم تسليماً ؛ وكان مصابنا بالامام رحمه الله مما جلت به المصيبة وعظمت به الرزية فعند الله نحتسبه واياه نسأل إلهام الصبر واليه نرغب في كمال الاجر والذخر ؛ وعهد الينا فيكم بما فيه صلاح احوالكم ولسنا ممن يخالف عهده بل لكم لدينا المزيد ان شاء الله .

ثم قام عنهم وخرجت لهم الاموال والكساء على اقدارهم .

وكان شاعراً اديباً ذا همة عالية، وكانت له غزوات كثيرة وفتوحات في دار العدو شهيرة ، يخرج اليها في العدد الجم والعسكر الضخم ، يخرب ديارهم ويُعَفّي آثارهم ، ويقفل ظافر الاعتلاء قاهر الاعداء ، لم يلق المسلمون معه بوساً ولم يروا في مدّته يوماً عبوساً .

وهو اول من جرى على سنن الخلفاء في الزينة والشكل وترتيب الخدمة ، وكسا الخلافة ابهة الجلالة ، فشيّد القصور وجلب اليها المياه ، وبنى الرصيف وعمل عليه السقائف ، وبنى المساجد الجوامع بالاندلس وعمل السقاية على الرصيف ، احدث الطُرُز واستنبط عملها ، واتّخذ السكة بقرطبة وفخم ملكه .

وفي ايامه دخل الاندلس نفيس الوطا وغرائب الاشياء وسيق ذلك اليه من بغداذ وغيرها ؛ وعندما قتل محمد الامين بن هارون الرشيد وانتهب ملكه سيق الى الاندلس كل نفيس غريب وجوهر نفيس من متاعه وقُصد بالعقد المعروف بعقد الشّبا وكان لزُبَيْدة ام جعفر .

ومن مآثره انه كان ورد عليه يوماً أموال من بلاده لأعطيات أجناده ، فادخلت اليه وجعلت الخرائط بين يديه ، وكان بعث فتيانه فخلا مجلسه اذ ذاك ولم يبقَ أحد هناك ، حاشا فتى كان بين يديه واقفاً وعلى خدمته الخاصة عاكفاً ، فغشيت الأمير عبد الرحمن نعسة ظنها الفتى نهزة وفرصة ، فقبض على خريطة من ذلك المال وأسدل عليها كُمّه أسبغ اسدال ، والامير يلاحظه بطرف خفي ويصمت عنه صمت بَرٍّ حفي ، ففاز الفتى بماله وناط به أسباب آماله . فلما رجع الفتيان أمرهم الأمير عبد الرحمن برفع تلك الخرائط المبسوطة

فوجدوا نقصان تلك الخريطة ، فتدافعوا فيها اذ ذاك ، كل يقول لصاحبه : انت أخذتها من هناك ، فقال لهم الأمير : اسكتوا عن هذا فقد أخذها مَنْ لا يردُّها وعايَنَه من لا يقولها ؛ فكان هذا مما عُدَّ من كرمه وفضله .

وكانت له جارية تسمى طروب كان بها دنفاً ، فصَدَّت عنه يوماً وأَبْدَتْ هجرانه ، فأرسل فيها فامتنعت عليه واغلقت على نفسها بيتاً ، فأمر ببنيان الباب بالخرائط المملوءة من الدراهم استرضاء لها واستعطافاً بوصلها ؛ فلمّا فتحت الباب تساقطت الخرائط من كل جانب فأخذتها فألفت فيها نحواً من عشرين ألفاً . وأمر لها بعقد قيمته عشرة آلاف دينار فجعل بعض من حضر من وزرائه يعظّم الأمر عليه، فقال له الأمير عبد الرحمن: ان لابسه أنفس منه خطراً وأرفع قدراً ، ولئن راق من هذه الحصباء منظرها ، ورصف في النفس جوهرها ، فلقد برأ الله من خلقه جوهراً يغشي الابصار ويذهب بالألباب ، وهل على وجه الارض من زبرجدها وشريف جوهرها اقرّ لعين واجمع لزين من وجه اكمل الله فيه الحسن ونضرتَه ، والقى عليه الجمال بهجته ؟ ثم قال لعبد الله بن الشمر الشاعر وكان حاضراً : هل يحضرك شيء في المعنى ؟ فأنشد :

اتقرن حصباء اليواقيت والشذر
بمن يتعالى عن سنا الشمس والبدر ؟

بمن قـد بَرَت قدمـاً يدُ الله خلقه ،
ولم يك شيئاً قبـله ابـداً يبري

فأكْرِمْ بـه من صنعة الله جوهراً ،
تضاءَل عنه جوهر البر والبحر

فاعجبته الأبيـات وطرب بهـا طرباً شديداً وأنشد الأمير مرتجلاً :

قريضك يا ابن الشَّمْر عَفَّى على الشعر ،
وجـلَّ عن الأوهـام والذهن والفكر

اذا شافهَتْه الاذن أدَّى بسحره
الى القلب إبداعـاً ، فجـلَّ عن السحر

وهـل برأ الرحمن ، في كل مـا برا ،
أقرَّ لعين من منعمة بكر

ترى الورد فوق اليـاسمين بخدّهـا ،
كما فُوِّقَ الروض المنعم بالزهر

فلو انـني مُلِّكْتُ قلـبي وناظري ،
نظمتهما منهـا عـلى الجيـد والنحر

ثم أمر لابن الشمر ببدرة فيها خمس مائة دينار، فحُمل مع الوصيف يحملها له تحت ابطه. فلمـا تواريا عن الامير قال له

الوصيف : اين لـذّات العمر يا ابن الشمر ؟ فقال : تحت ابطك يا سيدي .

ودخل عليه الغزّال الشاعر فقال الامير :

جاء الغزال بحسنه وجماله

فقـال له الوزير : اجز مـا بدأ بـه الامير . فقال الغزال الشاعر :

قـال الامير مداعبـاً بمقـاله :
جـاء الغزال بحسنه وجماله

أين الجمـال من امرىءٍ أربى على
متعـدّد السبعين من احواله

اين الجمال له ، الجمال من امرىءٍ
ألقـاه ريب الدهر في اغلالـه

وأعـاده من بعد جدّتـه بـِلىً ،
وأحـال رونق وجهـه عن حاله

وهي طويلة .

ومن قول الامام عبد الرحمن ، رحمه الله ، يصف حال المعزول :

أرى المرء بعد العزل يرجع عقله ،
وقد كان في سلطانـه ليس يعقـل

فتلفيه جهم الوجه ما كان والياً ،
ويسهل منه ذاك ساعة يُعزَل

وكتب اليه بعض عماله يسأله عملاً رفيعاً ليس من شاكلته، فوقع له في اسفل كتابه: من لم يصب وجه مطلبه، كان الحرمان اولى به . ومثل هذا كثير مما يدلُّ على فضله .

# خلافة محمد بن عبد الرحمن

## ابن الحكم بن هشام

كنيته : أبو عبد الله .

امه : بهير .

مولده : في شهر ذي القعدة سنة ٢٠٧

وزراؤه وقواده : اثنا عشر .

حجابه اثنان : ابن شهيد ، وابن أبي عبدة .

كتّابه ثلاثة : عبد الملك بن اميّة ، وحامد بن محمد الزجالي، وموسى بن أبان .

قضاته : احمد بن زياد ، ثم عمر بن عبد الله المعروف بالقبعة، ثم سليمان بن أسود الغافقي .

نقش خاتمه : بالله يثق محمد وبه يعتصم .

صفته : أبيض مشرب بحمرة ، ربعة أوقص وافر اللحيـة ، يخضب بالحنا والكتم .

بنوه : ثلاثة وثلاثون .

بناته : احدى وعشرون .

بويع يوم الخميس لأربع خلون لربيع الآخر سنة ٢٣٨، وهو ابن ثلاثين سنة وخمسة اشهر .

وتوفي يوم الخميس لليلة بقيت من شهر صفر سنة ٢٧٣
عمره : خمس وستون سنة واربعة أشهر .
وكانت خلافته أربعاً وثلاثين سنة وعشرة اشهر وعشرين يوماً.
وفي سنة ولايته ثار عليه أهل طليطلة وحبسوا العامل
عندهم حتى اطلقت رهائنهم من قرطبة ، وحينئذ أطلقوه .

وفي سنة ٢٣٩ خرج الحكم ابن الامير عبد الرحمن الى
طليطلة بالصائفة، وكانت قلعة رباح قد اقفرت خوفاً من اهل
طليطلة، فاحتلها الحكم وامر ببنيان سورها واسترجاع من فرّ
من اهلها اليها . وفيها اخرج الامير محمد الى شنتلا قاسم بن
العباس وتمام بن أبي العطاف صاحب الخيل ، ومعهما الحشم ؛ فلما
حلاّ باندوجر خرجت عليهم كمائن اهل طليطلة ووقعت الحرب
وكثر القتل فانهزم قاسم وتمام وأُصيب ما في العسكر ؛ وفي ذلك
يقول صفوان بن العباس اخو قاسم :

ضرط القاسم يوماً ضرطةً في القرميط
مات منها كل حوت كان في البحر المحيط

وكانت هذه الوقعة في شوال .

وفي سنة ٢٤٠ خرج الامير محمد بنفسه الى طليطلة في
المحرم ، فلما اتصل بأهلها ذلك ارسلوا الى اردن بن اذفونش
صاحب جليقية يعلمونه بحركته ويستمدون به ، فبعث اليهم اخاه

غثون في جمع عظيم من النصارى، فلما اتصل ذلك بالامير محمد ، وقد كان قارب طليطلة ، اعمل الحيلة والكيد واستشعر الحزم فعبّأ الجيوش وكمّن الكمائن بناحية وادي سليط ، ثم نصب الردود وطلع في اوائل العسكر في قلة من العدد ، فلما رأى ذلك اهل طليطلة اعلموا العلج بما عاينوه من قلة المسلمين ، فتحرّك العلج فرحاً وقد طمع في الظفر والغنيمة وانتهاز الفرصة . فلما التقى الجمعان خرجت الكمائن عن يمين وشمال ، وتواترت الخيل أرسالاً على أرسال ، حتى غشي الاعداء منهم ظلل كالجبال ، فانهزم المشركون وأهل طليطلة واخذتهم السلاح هذّاً بالسيوف وطعناً بالرماح ، فقتل الله عامتهم وأباد جماعتهم ، وحيز من رؤوسهم مما كان في المعركة وحواليها ثمانية آلاف رأس ، وجُمعت ورُصّت ، فصار منها جبل علاه المسلمون يكبرون ويهللون ويحمدون ربّهم ويشكرون ؛ وبعث الأمير محمد بأكثرها الى قرطبة والى سواحل البحر والى العدوة ؛ وانتهى عدد من فقد منهم في هذه الوقعة الى عشرين ألفاً . وكانت في شهر محرم من السنة .

وفي سنة ٢٤١ شحن الأمير محمد قلعة رباح وطليرة بالحشم ورتب فيها الفرسان وترك فيها عاملاً حرث بن بزيغ . وفيها جدّد الأمير محمد طرز الجامع بقرطبة واتقن نقوشه . وفيها

حشد الامير محمد ودخل الى ألبة والقلاع وبلغ الى اقصاها وافتتح كثيراً من حصون المشركين .

وفي سنة ٢٤٢ كتب الأمير محمد الى موسى بن موسى بحشد الثغور والدخول الى برشلونة ، فغزا اليها واحتلّ بها ، وافتتح في هذه الغزاة حصن طرّاحة ، وهو من آخر احواز برشلونة ، ومن خمس ذلك الحصن زيدت الزوائد في المسجد الجامع بسرقسطة ، وكان الذي أسسه ونصب محرابه حنش الصنعاني ( رضه ) وهو من التابعين . وفيها وجه الأمير محمد ابنه المنذر بالجيوش الى طليطلة ، فحاصرها وأقام عليها ينسف معايشها .

وفي سنة ٢٤٣ كانت وقعة عظيمة في أهل طليطلة وذلك انهم خرجوا الى طلبيرة فخرج اليهم قائدها مسعود بن عبد الله العريف ، بعد ان كمّن لهم الكمائن ، فقتلهم قتلاً ذريعاً وبعث الى قرطبة بسبعمائة رأس من رؤوسهم .

وفي سنة ٢٤٤ خرج الأمير محمد بنفسه الى طليطلة وعددهم قد قلّ ، وحدّهم قد فلّ بتواتر الوقائع عليهم ونزول المصائب بهم ، فلم تكن لهم حرب الا في القنطرة ، ثم أمر الأمير بقطع القنطرة وجمع العرفاء من البنائين والمهندسين وادارو الحيلة من حيث لا يشعر أهل طليطلة ، ثم نزلوا عنها ، فبينا هم مجتمعون بها اذ انْدَقّتْ بهم وتهدّمت نواحيها وانكفأتْ بمن

كان عليها من الحماة والكماة فغرقوا في النهر عن آخرهم ، فكان ذلك من أعظم صنع الله فيهم .

وفي سنة ٢٤٥ دعا اهل طليطلة الى الامان فعقده الامير لهم وهو الامان الاول . وفيها خرج المجوس أيضاً الى ساحل البحر بالغرب في اثنين وستين مركباً فوجدوا البحر محروساً ومراكب المسلمين معدّة تجري من حائط افرنجة الى حائط جليقية في الغرب الاقصى؛ فتقدّم مركبان من مراكب المجوس، فتلاقت بهم المراكب المعدة فوافوا هذين المركبين في بعض كور باجة فاخذوهما بما كان فيهما من الذهب والفضة والسبي والعدة . ومرت سائر مراكب المجوس في الريف حتى انتهت الى مصبّ نهر اشبيلية في البحر ، فأخرج الامير الجيوش ونفّر الناس من كل اوب، وكان قائدهم عيسى بن الحسن الحاجب، وتقدّمت المراكب من مصب نهر اشبيلية حتى حلّت بالجزيرة الخضراء ، فتغلبوا عليها واحرقوا المسجد الجامع بها، ثم جازوا الى العدوة فاستباحوا اربابها، ثم عادوا الى ريف الاندلس ، وتوافوا بساحل تدمير، ثم انتهوا الى حصن اوريولة، ثم تقدّموا الى افرنجة فشتَوْا بها واصابوا بها الذراري والاموال، وتغلبوا بها على مدينة سكنوها فهي منسوبة اليهم الى اليوم، حتى انصرفوا الى ريف بحر الاندلس؛ وقد ذهب من مراكبهم اكثر من اربعين مركباً. ولقيهم مراكب

الامير محمد فاصابوا منهـا مركبين بريف شذونة فيهما الاموال العظيمة ، ومضت بقية مراكب المجوس .

وفي سنة ٢٤٦ اغزى الامير محمد بن عبدالرحمن الى ارض بنبلونة احد قواده، فخرج في هذه الغزوة خروجاً لم يخرج قبله مثله جمعاً وكثرة وكمال عدة وظهور هيبة، وكان غرسية اذ ذاك متضافراً مع اردون صاحب جليقية ، فأقـام هذا القائد يدوّخ أرض بنبلونة متردداً فيهـا اثنين وثلاثين يوماً يخرب المنازل وينسف الثمار ويفتتح القرى والحصون ، وافتتح في الجملة حصن قشتيل ، وأخذ فيه فرتون بن غرسية المعروف بالانقر ، وقدم به الى قرطبة ، فأقام بهـا محبوساً نحواً من عشرين سنة ، ثم ردّه الأمير الى بلده؛ وعمر فرتون مائة وست وعشرون سنة .

وفي سنه ٢٤٧ قال الرازي : غزا محمـد بن السليم أرض الحرب ، وعامل الثغر اذ ذاك عبدالله بن يحيى ؛ وكان كتب موسى بن موسى يذكر ما ناله ونال أهل بلده في اداختهم أرض الجليقيـين وما وصـل اليهم من النصب ، وسأل ان يكون دخول العسكر على غـير ناحيته ، فأسعف في ذلـك ودخلت العساكر على غير بلده .

وفي سنة ٢٤٨ تقـدّم موسى بن موسى لمقاتلة ابن سالم في وادي الحجارة ، فنالَتْه جراح منعَتْه الركوب بعدها وكانت سبباً لهلاكه ، فتوفي في هذه السنة .

وفي سنة ٢٤٩ خرج عبدالرحمن ابن الأمير محمد الى حصون ألبة والقلاع ، وكان القائد عبدالملك بن العباس ، فافتتحها وقتل الرجال وهدم البنيان وانتقل في بسائطها من موضع الى موضع يحطم الزروع ويقطع الثمار .

واخرج اردون بن اذفونش اخاه الى مضيق الفج ليقطع بالمسلمين ويتعرضهم فيه ، فتقدم عبدالملك فقاتلهم على المضيق حتى هزمهم وقتلهم وبدّدهم ، ثم وافتهم بقية العساكر وأطلّتهم الخيل من كل الجهات ، فصبر اعداء الله صبراً عظيماً ثم انهزموا ، ومنح الله المسلمين اكتافهم فقتلوا قتلاً ذريعاً ، وقتل لهم تسعة عشر قومساً من كبار قوادهم .

وفي سنة ٢٥٠ كملت مقصورة المسجد الجامع بقرطبة وبنى فيها الأمير محمد بنياناً كثيراً في القصر الكبير والمنائر الخارجة عنه . ولم تكن في هذه السنة صائفة ، استغني بالغزوة المتقدمة واريح العسكر فيها .

وفي سنة ٢٥١ كانت غزوة ألبة والقلاع ايضاً هزيمةَ المركوين ، اخزاه الله .

خرج الى هذه الغزاة عبدالرحمن بن محمد وتقدّم حتى حلّ على نهر دويرة وتوالت عليه العساكر من كل ناحية ، فرتبها ثم تقدّم فاحتلّ بفج برذيش ، وكانت عليه اربعة حصون ، فتغلب

العسكر عليها وغنم المسلمون جميع ما فيها وخربوها ، ثم انتقل
من موضع الى موضع لا يمرُّ بمسكن الا خربه ولا موضع الا
حرقه ، حتى اتصّل ذلك في جميع بلادهم ولم يبق لرذريق صاحب
القلاع ، ولا ... صاحب توقة ، ولا لغند[1] شِلْب صاحب برجية ، ولا
لغومس صاحب مسانقة ، حصن من حصونهم الا وعمّه الخراب .
ثم قصد الملاحة ، وكانت من أجلّ اعمال لذريق ، فحطم ما حواليها
وعفا آثارها ، ثم تقدّم يؤمُّ الخروج على فج الكويز ، فصدّ العسكر
عنه ، وتقدّم لذريق بحشوده وعسكره فحلّ على الخندق المجاور
للمركوين ؛ وكان رذريق قد عانى توعيره اعواماً وسخر فيه أهل
مملكته وقطعه من جانب الهضبة فارتفع جرفه وانقطع مسلكه ،
فنزل عبد الرحمن ابن الأمير محمد على وادي ابره بالعسكر ، وعبأ
القائد عبد الملك للقتال ، وعبأ المشركون وجعلوا الكمائن على
ميمنة الدرب وميسرته ، وناهض المسلمون جموع المشركين
بصدورهم فوقع بينهم جلاد شديد ، وصدق المسلمون اللقاءَ ،
فانكشف الاعداء عن الخندق وانحازوا الى هضبة كانت تليه .

ثم نزل عبد الرحمن ابن الامير محمد ونصب فسطاطه وامر
الناس بالنزول وضرب ابنيتهم ، فقامت المحلّة . ثم نهض
المسلمون اليهم فصدقوهم القتال وضرب الله في وجوه المشركين
ومنح المسلمين اكتافهم ، فقُتلوا ابرح قتل واسر منهم

---

[1] الغند : الكونت كالتدمس .

جموع ، واستمروا في الهزيمة الى ناحيـة الاهزون ، واقتحموا نهر ابره بالاضطرار في غير مخاضة فمات منهم خلقٌ كثـير غرقاً ، وكان القتل والأسر فيهم من ضحى يوم الخميس لثنتي عشرة ليلة خلت من رجب الى وقت الظهر، وسلَّم الله المسلمين ونصرهم على المشركين .

وكان قد لجأ منهم الى الوعر والغياض ، عندمـا اخذتهم السيوف ، جموع فتُتبعوا وقتلوا ، ثم هُتك الخندق وسُوّي حتى سهل وسلكه المسلمون غير خائفين ولا مضغطين ؛ واعظم الله المنَّة للمسلمين بالصنع الجميـل والفتح الجليل ، والحمد لله رب العالمين . وكان مبلغ مـا حيز من رؤوس الأعداءِ في تلك الوقيعة عشرين الف رأس واربعمئة رأس واثنين وسبعين رأساً .

وفي سنة ٢٥٢ خرج عبدالرحمن ابن الأمير محمد غازياً الى ألبة والقلاع ، فحارب أهلها وافسد زروعها وغادرها هشيماً ؛ وكان أهل هذا الجانب في ضعف ووهن شديد، منعهم من التجمع والاحتشاد ما نالهم في العام الفارط من النهب والقتل الذريع .

وفي سنة ٢٥٣ خرج الحكم ابن الأمير محمـد غازياً الى جرنيق ، فجـال في ارض الأعداء وحـلَّ على حصن جرنيق وحاصره حتى فتحــه عنوة . وفيها كانت بالاندلس مجاعـة عظيمة متوالية .

وفي سنة ٢٥٤ خرج الأمير محمد الى ماردة واظهر ان استعداده لطليطلة ، وكان بماردة قوم من المنتزين ، فلما فصل من قرطبة وتقدّم بالمحلات الى طريق طليطلة، نكب الى ماردة فاحتلّ بهم وهم في أمن وعلى غفلة، فتحصّنوا في المدينة اياماً، ثم ناهض القنطرة فوقع القتال واشتدّ الحرب حتى غُلبوا عليها، فأمر الأمير بتخريب رِجل منها ، فكان ذلك سبباً لاذعان أهل ماردة ، فطاعوا على ان يخرج فرسانهم ، وهم يومئذ عبد الرحمن بن مروان وابن شاكر ومكحول وغير هؤلاء ، وكانوا أهل بأس ونجدة وبسالة مشهورة ، فخرج المذكورون ومن هو مثلهم الى قرطبة بعيالهم وذراريهم ، وولّى عليها سعيد بن عباس القرشي وامر بهدم سورها ، ولم تبق الا قصبتها لمن يَرِدُ من العمال .

وفي سنة ٢٥٥ خرج الحكم ابن الامير محمد وقصد مدينة سرية، وكان قد تغلّب بها سليمان بن عبدوس وخالف فيها ، فبادرَتْه الصائفة وحلّت به العساكر واحدقت بالمدينة، ورميت بالمجانيق حتى هتكت اسوارها، فقام اهلها على سليمان بن عبدوس فطاع ونزل فقدم به قرطبة فسكنها .

وفي سنة ٢٥٦ غدر عمروس عامل وشقة وملكها وظهرت عاديته في الثغر ، فاخرج الامير اليه قطيعاً من الحشم والعدة

وقصد بها لاردة ابن مجاهد المعروف بالتدميري فلزمها ، وحشد عبد الوهاب بن مغيث الحشود وقدم عليهم عبد الأعلى العريف، وبعثه الى وشقة ، فلما بلغ عمروس خبره خرج عن وشقة، واسر بها لب بن زكريا بن عمروس ، وكان أحد قتلة عامل السلطان بها موسى بن علند ، فقتل لب وعلق من السور .

وفي سنة ٢٥٧ خرج الى الثغر عبد الغافر بن عبد العزيز ، وكان بتطيلة ، فقبض على زكريا بن عمروس وعلى أولاده وجماعة من أهل بيته ونزل بهم على باب مدينة سرقسطة وقتلهم بها وقفل الى قرطبة بالرؤوس .

وفي سنة ٢٥٨ كانت في الثغر ثورات وحركات منها ان مُطَرِّفاً واسمعيل ابني لب ويونس بن زنباط غدروا بعبد الوهاب ابن مغيث عامل تطيلة وابنه محمد عامل سرقسطة، فتقبضوا عليهما وملكوا في هذا العام الثغر؛ وكان توثُّب مُطرف في صفر، ودخل اسمعيل سرقسطة في ربيع الاول .

وفي سنة ٢٥٩ خرج الامير محمد بنفسه الى الثغر وحلّ في وجهته بطليطلة وأخذ رهائنهم وعقد امانهم وقاطعهم على قطيع من العشور يؤدونه في كل عام ، وهو الامان الثاني . واختلفت اهواؤهم في عمالهم ، فطلب قوم منهم تولية مطرف ابن عبد الرحمن ، وطلب آخرون تولية طريشة ، فولّي كل واحد

منهما جانباً وتقسّما المدينة وأقاليمها على حدود مفهومة معلومة .

ثم تنازعا واراد كل واحد منهما الانفراد بملك طليطلة ، ثم غلب الداعون الى تقديم طريشة بن ماسويه وتأخير مطرف المذكور ؛ وكان الأمير محمد تتلقاه في وجهته هذه في الارتحال والاحتلال طلائع الظفر وبوادر النُجح والنصر ، وتجوّل في الثغر محاصراً لبني موسى ومضيقاً عليهم ؛ ثم تقدّم الى بنبلونة فطوى ارضها وأذلّ أهلها وخربها وقفل فحلّ بقرطبة ، ومعه جماعة من الثوار الناكثين المفسدين ، فلما اخذ راحته أمر بقتل مطرف بن موسى وبنيه ، وأمر باطلاق كاتبهم ، وكان لا ذنب له . فلما أُخرج مطرف وبنوه للقتل واخرج كاتبهم للاطلاق ، وكان يعرف بالأصبحي ، قال : لا خير في العيش بعد هؤلاء . نقدم للقتل قبلهم ورفعت رؤوسهم .

وفي سنة ٢٦٠ خرج المنذر ابن الأمير محمد الى سرقسطة وبنبلونة ، وكان القائد هاشم بن عبدالعزيز ، فاحتلّ سرقسطة وانتهب زروعها وأذهب ثمارها وأشجارها ونقل أطعمتها الى وشقة ، وتقدّم الى بنبلونة فجال في أرضها واتلف معائش أهلها . وفيها كانت المجاعة التي عمّت الأندلس ومات فيها اكثر الخلق .

وفي سنة ٢٦١ هرب ابن مروان الجليقي من قرطبة مع رجال ماردة المنزلين منها واستقروا بقلعة الحنش ، فغزاه الأمير محمد وحاصره حصاراً قطعه وضيّق عليه مدة من ثلاثة أشهر ألجأه فيها الى أكل الدواب ، وقطع عنه الماء ورماه بالمجانيق حتى اذعن وطلب الامان ؛ وشكا ثقل الظهر وضيق الحال فاباح له الامير الرحيل الى بطليوس والحلول بها ، وهي يومئذ قرية ، فخرج عنها وقفل عنه .

وفي سنة ٢٦٢ خرج المنذر ابن الامير محمد الى ابن مروان ، وكان القائد هاشم بن عبد العزيز وهو الذي كان سبب هروب ابن مروان لانه قال له من بين الوزراء : الكلب خير منك ، وأمر بصفع قفاه واستبلغ في خزيه ، فهرب مع اصحابه وذلك في خبر طويل ؛ وكان ابن مروان قد ابتنى في بطليوس حصناً وجعله موطناً وادخل فيه اهل ماردة وغيرهم من أهل المكاثبة له على الشرّ ، فلما انتهى الى ابن مروان تحرُّك العسكر اليه تنقّل عن بطليوس وحلّ بحصن كركر ، واجتمع أهل ماردة اليه فيه ، فنزل العسكر بمقربة من الحصن ، وكان هاشم قد بعث الى منت شلوط خيلاً ورجلاً لضبطه ، وكان سعدون الرماري قد دخل . . . . بعدد من المشركين واظهر انه في قلة ، فكتب عامل حصن منت شلوط الى هاشم ، فرأى هاشم ان ذلك فرصة في سعدون فبادر

بالخروج عن العسكر على غير تعبئة ولا اهبة في خيل قليلة ، وافحص هاشم وجاوز الوعر وابعد عن العسكر، فأخذت المضائق عليه، وناشبوه القتال، فاخذتـه جراحٌ وقُتِل من اصحابه جماعة واسر هاشم المذكور .

ولما اتـّصل خبر هاشم بالامير محمد وقع في جانبه وقال : هذا أمر جناه على نفسه بِطَيْشه وعجلته . ثم ردَّ ولده عوضاً منه وحصل هاشم اسيراً بيد ابن مروان الذي صفعه في اسره في قرطبة ، فبرّه ابن مروان واكرمه وأحسن اليه ولم يعاقبه بما فعل معه .

وفي سنة ٢٦٣ خرج المنذر ابن الامير محمد وجعل طريقه على ماردة ، فلما انتهى ذلك الى ابن مروان زال عن بطليوس ، واحتلّ بها قائد المنذر الوليد بن غانم فخرّب ديارها ، وتقدّم ابن مروان على بلاد العدو .

وفي سنة ٢٦٤ حارب المنذر سرقسطة وأفسد ما ألفى من زروعها ، ثم تقدّم الى تطيلة والمواضع التي صار فيها بنو موسى فانتسفها واجال العسكر عليها . وفيها دخل البراء بن مالك من باب قلنبرية الى جليقية بحشود العرب ، وتردد هنالك حتى اذهب نعيمهم . وفيها انطلق هاشم من الاسر .

وفي سنة ٢٦٥ ظهرت الفتنة وظهر الشر في جانب كورة

رية والجزيرة وتاكرنا ، وظهر يحيى المعروف بالجزيري ، فغزاه هاشم فاذعن له وقدم به الى قرطبة .

وفي سنة ٢٦٦ خرج عبدالله ابن الأمير محمد الى كورة رية ونواحي الجزيرة وبنى حصوناً في تلك النواحي ثم قفل . وفيها أمر الأمير محمد بإنشاء المراكب بقرطبة ليتوجه بها الى البحر المحيط الرعيطي المعروف بابن مغيث ، وكان قد رفع اليه رافع ان جليقية من ناحية البحر المحيط لا سور لها ، وان أهلها لا يمتنعون من جيش ان غشيهم من تلك الناحية ، فلما كملت المراكب بالانشاء قدّم عبدالحميد بن مغيث عليها ، فلما دخل البحر تقطعت المراكب كلها وتفرّقت ولم يجتمع بعضها الى بعض ونجا ابن مغيث .

وفي سنة ٢٦٧ التاثت الحصون المبتناة برية وتاكرنا وجهة الجزيرة . وفيها ابتدأ شرُّ عمر بن حفصون الذي أعيا الخلفاء امره وطالت في الدنيا فتنته وعظم شرّه ، فقام في هذه السنة على الأمير محمد بناحية رية ، فتقدم اليه عامر بن عامر فانهزم عامر واسلم قُبَّتَه ، فأخذها ابن حفصون ، وهو اول رواق ضربه ، فاستكن اليه أهل الشر ، وعزل الامير عامراً عن كورة رية وولاها عبدالعزيز بن عباس ، فهادنه ابن حفصون وسكنت الحال بينهما .

ثم عزل عبد العزيز وتحرّك ابن حفصون وعاد الى ما كان عليه من الشر ، وخرج هاشم بن عبد العزيز الى كورة رية يطلب كل من كشف وجهه في الفتنة واظهر الخلاف ، واخذ رهائن اهل تاكرنا على اعطاء الطاعة .

ومن العجائب في هذا العام ما ذكره الرازي وغيره قال : زلزلت الارض بقرطبة زلزالاً شديداً ، وهاجت ريح عند صلاة المغرب فاثارت سحاباً فيه ظلمة ورعد وبرق ، فصعق ستة نفر وانقلبوا على ظهورهم ، مات اثنان وخرّ جميع الناس سجّداً الا الامام فانه ثبت قائماً ، وكان الرجلان اللذان ماتا اقرب الناس الى الامام ، فاحترق شعر احدهما واسودّ وجهه وشقّه الايسر ، والآخر ظهر بشقه الايمن سواد ، والاربعة الصرعاء مكثوا حتى فرغ الامام ، فسُئِلوا عما احسّوا فقالوا : احسسنا ناراً كأنها الموج ثقيل ؛ ووجد اهل المسجد رائحة النار ولم يوجد للصاعقة اثر في سقف ولا حائط ، واهتزّت لهذا الزلزال القصور والجبال وهرب الناس من القصور الى الصحارى ضارعين الى الله تعالى ، وعمّ هذا الزلزال من البحر الشامي الى آخر الجوف والى آخر ارض الشرك لم يختلف في ذلك مختلف .

وفي سنة ٢٦٨ خرج المنذر ابن الامير محمد والقائد هاشم بن عبد العزيز فقصد الثغر الاقصى وحطم سرقسطة وافتتح حصن

روطة ، ثم تقدم الى ألبة والقلاع وافتتح حصوناً كثيرة واخلى حصوناً كثيرة خوفاً من معرّة العسكر وتوقعاً من تغلّبه . وفيها فسد ما بين المنذر وبين الوزير هاشم بن عبدالعزيز .

وفي سنة ٢٦٩ قال الرازي : وفي سنة ٢٦٩ غزا محمد بن امية بن شُهيد الى كورة رية و كورة البيرة ، وكانوا بحال توحُّش ونفار ، فسكَّن احوال اهلها وهدن الناس بها ونظر في استنزال رجال بجبال رية وغيرها من بني رفاعة وغيرهم .

وفي سنة ٢٧٠ استتم محمد بن شهيد استنزال بني رفاعة ، وأتاه في هذه الغزاة كتاب الامير محمد بتولية عبدالعزيز بن العباس كورة البيرة فولاه وقفل . وفيها غزا هاشم كورة رية واستنزل عمر بن حفصون من جبل بربشتر وقدم به قرطبة ، فأنزله الامام وأوسع له في الاكرام .

وفي سنة ٢٧١ هرب عمر بن حفصون من قرطبة ولجأ الى جبل بربشتر ، فانتُدب الأمير محمد الى حربه ، وحوصر في السنة الآتية .

وفي سنة ٢٧٢ خرج عبدالله ابن الامير محمد والقائد هاشم وقصد الغرب الى ابن مروان ، وهو بجبل أشر وغيره ، فنازله وحاربه .

قال حيان بن خلف في عمر بن حفصون : هو كبير الثوار

بالانـدلس ، ونسبه عمر بن حفصون المعروف بحفص بن عمر ابن جعفر بن شتيم بن ذبيان بن فرغلوش بن اذفونش من مسالمة الذمة من كورة تاكرنا من عمل رنـدة ، وكان الذي اسلم منهم جعفر بن شتيم ، ففشا نسله في الإسلام ، وكان له من الولد الذكور عمر وعبدالرحمن ، فولد عمر بن جعفر حفصوناً وولد هـذا حفصونُ عمَر هذا الثائر الملعون ، فعمر هـذا هو الذي ثار على الامير محمد أولاً ، ثم بلغ بعـد ذلك في الشقاق والفتن منزلة لم يبلغهـا ثائر بالاندلس ، واستوطن لاول نفاقـه حصن بربشتر قاعدة وحضرة ، وهي امنع قلاع الاندلس ، وذلك في هذه السنة ، وهو تاريخ صعوده الآخر اليها الذي توطـد له ملكه ، وخالف على السلطان حتى رضي عنه بالمتاركة ، واتصلت ايامه في ظهور وعزّة حتى قدم فيها ثلاثة من خلفاء المروانيـين ائمة الجماعة بالاندلس رحمهم الله ، أولهم هـــذا الامير محمد ، وتخلّف بعدهم الى ان هلك على يد الرابع منهم وهو عبدالرحمن الناصر على ما يأتي مفسراً .

وفي سنة ٢٧٣ خرج المنذر ابن الامير محمد الى كورة رية ، والقـائد محمد بن جهور ، فقصد مدينة الحامة ، وفيها حارث بن حمدون من بني رفاعة ، وكان مظاهراً لعمر بن حفصون وكانا قد اجتمعا بالحامة ، فنازلهم وناهضهم واحدق بهم من كل ناحية واقام

محاصراً لهم شهرين، فلما وصل اليهم الضيق برزوا الى باب المدينة خارجاً مستنبلين للحرب، وقام بها فنالته جراحٌ وشلَّت يده ثم انهزم هو واصحابه وصاروا بين قتيل وفليل، ودخل باقيهم في الحامة. فبينا المنذر في هذه الحال من السرور اذ اتاه الخبر بموت ابيه الامير محمد بن عبد الرحمن ليلة الخميس لليلة بقيت من شهر صفر من السنة ودفن في القصر، وادركه المنذر قبل مواراته وصلى عليه.

بعض أخباره وسيره

كان الامير محمد رحمه الله فصيحاً بليغاً عظيم الاناة متنزهاً عن القبيح، يؤثر الحق واهله، لا يسمع من باغٍ ولا يلتفت الى قول زائغ، وكان عاقلاً على اخلاق جميلة ومكارم حميدة، ذا بديهة وروية، يرى كل من باشره وحدثه ان له الفضل المستبين في ادراكه وفهمه ودقة ذهنه ولطيف فطنته وجزالة رأيه، وكان اعلم الناس بالحساب وطرق الخدمة، وكان متى اعضل منها شيءٌ رُجِع اليه فيه، واذا اخلّ احد من خُزّانه واهل خدمة الحساب شيئاً من ذلك لم يجز عليه باللحظة والنظر.

ولقد استدرك على بعض خزانه، في صك يشتمل على مائة ألف دينار، خمس درهم، فردّ الصك وأمر بتصحيحه فتجمع الخدمة

والكتّاب عليه فلم يقعوا على ذلك النقصان لدقّته وخفائه ، فرجعوا اليه معترفين بالتقصير واعلموا الرسول ، فردّوا الصك اليه واعلموه باعترافهم ، فعلّم على موضع الخطإ فاذا هو خمس درهم .

وقال هاشم بن عبدالعزيز : كان الامير محمد ، رحمه الله ، أصحّ الناس عقلاً ، وأحسنهم تميـيزاً ، وأبصرهم بوجه الرأي ، وكان يستشيرنا فنجتهد ونقول ونحصل ، فان أصبنا أمضى ذلك ، وان كان في الرأي خلل قام فيه بالحجة وأبانه بما تعجز الاوهام عنه تنقيحاً وتهذيباً .

ومما يحفظ عنه انه قال لهاشم في شيء أنكره عليـه من عدم التثبُّت : يا هاشم ، مَنْ آثر السرعة أفضت به الى الهفوة ، ولو انّا أصغينا نحو زلاتك وأصَخْنا الى هفواتك لكنا شركاءك في الزلة وقسماءك في العجلة ، فمهلاً عليك رويداً بك ، فانك ان تعجل يعجل لك . وكان مع تثبته واناته وفيّاً لمواليه في انفسهم وأعقابهم لا يكـدح عنده كادح في شيء عن احـدهم فيَسْمَعه أو يُسْمِعه .

ولقد ولّى الكتابة عبدالملك بن عبدالله بن اميّـة اصطناعاً له وعائدة عليه ، فردّ عليه يوماً جواباً يقول فيه : قد فهمنا عنك ولم نأتِ ما أتيناه عن جهـل بك ، لكن اصطناعاً لك

وعائدة عليك ، وقد أبحنا لك الاستعانة بأهـل اليقظة من الكتّاب ، فتخيّر منهم مَنْ تثق به وتعتمد عليه ، ونحن نعينك على امرك بتفقد كتُبنا والاصلاح عليك ، الى ان تركب الطريقة وتبصر الخدمـة ان شاء الله تعالى . فحسده على الخطة لشرفها مَنْ رأى نفسه أولى بها لاستكمال ادواتها ، فطولب عليها ، وكان أشدّ الناس في ذلك هاشم بن عبد العزيز يثير سقطاته ويتتبع هفواته ويشنع عليه ، والامير محمد بفطنته يتغافل له ، فلما طال عليه الصبر دعا هاشماً وقال له : قد أكثر أهل خدمتنا وأكثرتَ في هذا الكاتب ، تذكرون جهله وفدامته ، وقد ضمَمْنا اليه من الكتّاب مَنْ يستعين بـه ويستظهر على خدمته بمكانـه ، وانما نقفو بخدمتنا ونسلك بمراتبنـا طريق مَن ابتدأها وأسسها ووضع أهلها فيها ، واذا كنـا لا نخلف آباءكم بكم ولا نخلفكم بأبنائكم فعند مَنْ نضع احساننـا ونَرُبُّ أيادينا ، أعند ابناء الفرّانين او الجزارين وامثالهم ؟ وانت كنت أحق بالحض على هذا وتصويب الرأي فيه لما ترجو من مثله في اولادك وعقبك . فرجع هاشم الى الشكر له وتقبيل يده ورجله .

وكان رحمه الله مأمولاً محبوباً في جميع البلدان ، وكان محمد ابن افلح صاحب تاهرت لا يقدم ولا يؤخر في اموره ومعضلاته الا عن رأيه وأمره ، وكذلك بنو مدرار بسجلماسة ؛ وكان فرذلند

ملك افرنجة يسترجع عقله فيهاديه ويتحفه، وهو، اعني فرذلند، الذي عمل صورة عيسى من ثلاثمائة رطل من ذهب خالص وحفها بالياقوت والزبرجد وجعل لها كرسياً من ذهب خالص مفصص بالياقوت والزبرجد أيضاً، فلما كمل ذلك سجد له واسجد له جميع اهل افرنجة في ذلك التاريخ، ثم دفعه الى صاحب كنيسة الذهب برومة .

وكان الامير محمد رحمه الله مهتبلاً بامور رعيته مراقباً لمصالحها، ووضع عن اهل قرطبة ضريبة الحشود والبعوث . وقال ابن حيان : كانت عدة الفرسان المستنفرين لغزو الصائفة المجردة الى جليقية مع الولد عبد الرحمن ابنه، على التسمية الفصلة من ذلك: كورة البيرة ألفان وتسع مائة ؛ جيان ألفان ومائتان؛ قبرة ألف وثماني مائة ؛ باغة تسع مائة ؛ تاكرنا مائتان وتسعة وتسعون ؛ الجزيرة مائتان وتسعون ؛ اسجة ألف ومائتان ؛ قرمونة مائة وخمسة وثمانون ؛ شذونة ستة آلاف وسبع مائة وتسعون؛ رية ألفان وستمائة ؛ فحص البلوط اربعمائة ؛ موورور ألف واربعمائة ؛ تدمير مائة وستة وخمسون ؛ ربينة مائة وستة ؛ قلعة رباح واوريط ثلاثمائة وسبعة وثمانون .

قال : ونفر من اهل قرطبة لهذه الغزوة عدد لم يوقف على قدره ، وكان هذا العدد الذي غزا به بعد ان رفع الضريبة التي

كانت على أهل قرطبة واقاليمها وغيرها من البلاد وقطع عنهم الحشود ، التي كانوا يؤخذون بتجديدها في كل سنة للصوائف الغازية لدار الحرب ، واسقطها عنهم ووكلهم الى اختيار انفسهم في الطواعية للجهاد من غير بعث ، فحسن مدفع ذلك منهم وتضاعف حمدهم له وشكرهم واغتباطهم بدولته .

وذكر جماعة من المؤرخين عن بقيّ بن مخلد انه قال : ما كلّمت احداً من ملوك الدنيا اكمل عقلاً ولا أبلغ فصلاً من الامير محمد ، دخلتُ عليه يوماً في مجلس خلافته ، فافتتح الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي (صلعم) ، ثم ذكر الخلفاء خليفةً خليفةً ، فحلى كل واحد منهم بحليته ووصفه بصفته ، وذكر مآثره ومناقبه بافصح لسان وابلغ بيان حتى انتهى إلى نفسه فسكت .

وفي صدر من دولته سُعي به اليه رحمه الله ، وذلك انه لما قدم بقيّ بن مخلد من المشرق عن رحلته الطويلة بما جمع من العلوم الواسعة والروايات العالية والاختلافات الفقهية ، اغاظ ذلك فقهاء قرطبة اصحاب الرأي والتقليد الزاهدين في الحديث ، العارين من علوم التحقيق ، المقصرين عن التوسُّع في المعرفة ، فحسدوه ووضعوا فيه القول القبيح حتى الزموه البدعة وشنّؤوه الى العامة ، وتخطى كثير منهم برميه إلى الالحاد والزندقة ، وتشاهدوا

عليه بغليظ الشهادة داعين إلى سفك دمه ، وخاطبوا الامير محمداً في شأنه يعرفونه بأمره ويكثرون عليه بكل ما يرجون به الوصول إلى سفك دمه، ويسألونه تعجيل الحكم فيه، فاشتدّ خوف بقيّ بن مخلد جداً واستتر خوفاً على دمه ، وعمل على الفرار عن الاندلس إن أمكنه ذلك ، فأرشده الله إلى التعلّق بحبل هاشم بن عبد العزيز وسؤاله الأخذ بيده ، وكتب الى الأمير محمد ينشده الله في دمه ويسأله التثبت في امره والجمع بينه وبين خصومه وسماع حجته ، فيأتي في ذلك بما يوفقه الله له . فألقى الله في نفس هاشم الاصغاء الى شكواه والاعتناء بأمره ، فشمر له عن ساعده واوصل كتابه الى الأمير محمد بشرح حاله ، فعطف عليه واتهم الساعين به اليه ، فأمر بتأمين بقيّ بن مخلد واحضاره مع الطالبين له ، فتناظروا بين يديه ، فادلى بقيّ بحجته وظهر على خصومه ، واستبان للامير محمد حسدهم اياه لتقصيرهم عن مداه ، فدفعهم عنه وتقدم اليه بمطأطأة قدمه ونشر علمه ، وامر بايصاله اليه في زمرة الفقهاء والرفع من منزلته ، فاعتلى ذروة العلم ولم يزل عظيم القدر عند الناس وعند الأمير محمد الى ان مات رحمه الله .

وفي صدر دولته توفي عالم الاندلس طرًّا عبد الملك بن حبيب وذلك في رمضان سنة ٢٣٩ ، وهو عبد الملك بن سليمان

ابن مروان بن جهلة بن عباس بن مرداس السلمي، يكنى ابا هارون،اوله من كورة البيرة، ونقله الأمير محمد الى قرطبة ، بل نقله ابوه عبد الرحمن بن الحكم .

وكان محمد بن عمر بن لبابة يقول : عالم الاندلسيين عبد الملك بن حبيب ، وعاقلها يحيى بن يحيى ، وفقيهها عيسى ابن دينار .

قال ابن وضاح وغيره : لم يقدم الأندلس احد افقه من سحنون الا انه قدم علينا مَنْ هو اطولُ لساناً منه ، يعني ابن حبيب ، وكان ابن حبيب أديباً نحوياً حافظاً شاعراً متصرفاً في فنون العلم من الاخبار والانساب والاشعار ، وله مؤلفات حسان في الفقه والادب والتواريخ كثيرة ، وكانت علته التي مات منها الحصى ، وتوفي وسنه اربع وستون سنة . وكتب إلى الامير عبد الرحمن بن الحكم في ليلة عاشوراء :

لا تنس ، لا ينسك الرحمن ، عاشورا ،
واذكره لا زلت في الاخيار مذكورا

من بات في ليل عاشوراء ذا سعة ،
يكن بعيشته في الحول محبورا

فارغب فديتك فيما فيه رغّبنا
خيرُ الورى كلهم حيّاً ومقبورا

وخرج الامير محمد بن عبد الرحمن الى الرصافة متنزهاً ومعه هاشم بن عبد العزيز، فكان بها صدر نهاره على لذّته، فلما امسى واختلط الظلام انصرف إلى القصر وبه اختلاط ، فأخبر من سمعه وهاشم يقول له : يا ابن الخلائف ما أطيب الدنيا لولا الموت ! فقال له الامير : يا ابن اللخناء لحنت في كلامك ، وهل ملّكنا هذا الملك الذي نحن فيه إلا الموت؟ فلولا الموت ما ملكناه أبداً .

وكان الامير محمد رحمه الله غزّاء لاهل الشرك والاختلاف، وربما اوغل في بلاد العدو الستة الاشهر والاكثر يحرق وينسف. وله وقعة وادي سليط وهي من امهات الوقائع ، ولم يعرف بالاندلس قبلها مثلها ، وفيها يقول عباس بن مرداس ، وشعره يكفينا من صفتها وهو :

ومؤتلف الاصوات مختلف الزحف،
لهوم الفلا ، عبل القبائل ، ملتف

إذا اومضت فيه الصوارم خلتَها
بروقاً ، تراءى في الحِمام وتستخفي

كأنّ ذرا الاعلام ، في ميَلانها ،
قراقير في يمٍّ عجزن عن القذف

وان طحنت اركانها كان قطبها
حِجا مَلِكٍ، ندْبٍ شمائله، عَفّ

سَمِيّ ختام الانبياء محمد،
إذا وُصِفَ الاملاكُ جلّ عن الوصف

فمن اجله يوم الثلاثاء غدوة،
وقد نفض الاصباح، حلي عرى السجف

بكى جبلاً وادي سليط، فأعولا
على النفر العبدان والعصبة الغلف

دعاهم صريخ الحَين، فاجتمعوا له،
كما اجتمع العجلان للبقر في وقف

فما كان الا ان رماهم ببعضها،
فولوا على اعقاب مهزولة كشف

كأنّ مساعير الموالي عليهم
شواهيق جادت للغرانيق بالنسف

بنفسي تنانين الوغى، حين جمّعت،
الى الجبل المشحون، صفّاً على صف

يقول ابن يوليس لموسى ، وقد تأى :
ارى الموت قدامي وتحتي ومن خلفي

قتلنا لهم الفاً والفاً ومثلها ،
والفاً والفاً بعد الف الى الف

سوى مَن طواه النهر في مُسْلَحِبِّه ،
فأغرق فيه او تَدَأدَأ مِنْ جرف

قال ابو عمر السالمي : كانت أولى غزواته الى بلد العدو ، وقد حشد لها وجنّد وصوّب كيف شاءَ ، وقد الفى العدو وقد ضاق بخيله الفضاءُ الواسع والمكان الداني والشاسع ، وهو متأهب للقائه متوجه الى تلقائه ، فخامر الأمير محمداً الجزع وشابه الروع والفزع ، وظنّ ان لا منجاة من الكفار وان المسلمين هناك طعم الشفار ، فرأى من الحزم الأوكد ، والنظر الأحمد الأرشد ، الرجوع عن تلك الحركة ، لقوله تعالى: « ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة » ، فقام رجل فقال : ايها الأمير قال الله تبارك وتعالى : « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم » الآية . فقال له الأمير محمد : والله ما حذرت نفسي إلا انه أرى لمن لا يطاع[1] ، ولست استطيع ان اجاهد وحدي . فقال له العتبي : والله ما أراه قذف بها على

[1] ارى لمن لا يطاع : كذا في الاصل ، ولعل صوابها : لا رأي لمن لا يطاع ، وهو من كلام الامام علي .

لسانه إلاّ ملكٌ»، فاستخر الله في ليلك هذا وفي يومك . فأراه الله في مقابلة العدو الرشاد والهمه التوفيق والسداد ، فندب الناس الى لقاءِ أعداء الله ونصر دينه ، وان يكون كل على احسن ظنه من الظفر ويقينه .

فلما انعقدت راياتهم ، وتأكدت على المقارعة نياتهم ، قدّم عليهم الأمير محمد ابنه المنذر اذ كان مشهوراً بالباس محبوباً في النـاس ، فسار المسلمون الى ان التقى الجمعان والتفّ الفريقان ، فأعقب الله لاوليائه ظفراً ونصراً وجعل بعد عسر يسراً.

قال: ولم يؤذن مؤذن الظهر الا ومن رؤوس الاعداء جملة آلاف مقطوعة لأعداء الله، وذلك من فضل الله . وفي هذا الفتح يقول العتبي يمدح الامـير محمداً في قصيد طويل اذكر هنا بعضه وهو :

سائلْ عن الثغر الصوارم تصدق ،
واستنطق السمر العوالي تنطـق
تركت وقائع في الثغور، وقد غدت
مثـلًا بكل مغرّب ومشرّق
وأداخ أرض المشركين بوقعـة ،
تركَتْهم مثـل الأشاء المحرق[1]
جادت عليهم حربـه بصواعق ،
تركَتْهُم مثـل الرماد الأزرق

---

[1] الاشاء : صغار النخل .

# خلافة المنذر بن محمد

ابن عبد الرحمن بن الحكم

كنيته : أبو الحكم .

مولده : سنة ٢٢٩

امه : تسمى ايل ، ولدته لسبعة اشهر .

وزراؤه : احد عشر .

كتّابه اثنان : سعيد بن مبشر ، وعبد الملك بن عبد الله ابن امية بن شُهيد .

حاجبه : عبد الرحمن بن امية بن شهيد .

قواده: سبعة .

قاضيه : ابو معاوية عامر بن معاوية اللخمي .

نقش خاتمه : المنذر بقضاء الله راضٍ .

صفته : اسمر ، جعد الشعر ، بوجهه أثر جدري ، يخضب بالحنا والكتم .

أولاده : الذكور خمسة والاناث ثمان .

بويع يوم الاحد لثمان خلون من ربيع الأول سنة ٢٧٣، وهو ابن أربع وأربعين سنة وسبعة عشر يوماً .

وتوفي في غزاة له على بربشتر يوم السبت للنصف من صفر سنة ٢٧٥ . عمره ست واربعون سنة .

خلافته : سنتان الا سبعة عشر يوماً ، ودفن بقصر قرطبة وصلى عليه اخوه عبد الله جدّ الناصر .

واتصل به موت ابيه وهو على حصن الحامة يقاتل المرتدّ اللعين عمر بن حفصون، فقفل الى قرطبة وتمّت له البيعة في اليوم الثاني من وصوله، ففرق العطاء في الجند وتحبّب الى اهل قرطبة والرعايا بان اسقط عنهم عشر ذلك العام وما يلزمهم من جميع الغرم .

وكانت اكثر حصون رية قد حصلت في طوع ابن حفصون، فبعث اليها الامام المنذر الاجناد فانصرفت الى الطاعة .

ولما بلغ ابن حفصون موت الامير محمد ، وانصرف عنه المنذر على ما تقدّم ، نهض من فوره فراسل الحصون التي بينه وبين الساحل كلها، فاجابته وطاعت له، ونهض الى باغة وجبل شيبة فاخذ من الاموال ما لا يوصف، كل ذلك منه بلا قوة ولا كثرة من مال ولا عدد، ولكنه كان عذاباً من الله ونقمة انتقم بها من عبيده . واتّفق له زمان هرج وقلوب قاسية فاسدة ونفوس خبيثة متطلعة الى الشرّ مُشرئِبّة الى الفتنة، فلما ثار وجد من الناس انقياداً وقبولاً للمشاكلة والموافقة ، فتألّبت له الدنيا ،

ودخل الى النـاس من جهة الأنفة وقـال : طالما عنف عليكم السلطـان وانتزع اموالـكم وحمـّلكم فوق طـاقتكم واذلـّتكم العرب واستعبدتـكم ، وانما أُريد أن اقوم بثأركم واخرجكم من عبوديتكم .

فكان ابن حفصون لا يورد هذا على أحد الا اجابه وشكره ، فكانت طاعة أهل الحصون بهـذا الوجه ، وكان أَتباعه شُطّار الناس وشرارهم، فكان يمنيهم بفتح البلاد وغنائم الاموال ؛ وكان مع ذلك متحبباً لاصحابه متواضعاً لألا ّفه ، وكان مع شره وفسقه شديد الغيرة حافظاً للحرمة ، فكان ذلك مما يميل النفوس اليه .

ولقد كانت المرأة في أيامه تجيء بالمال والمتاع من بـلد الى بلد منفردة لا يعترضهـا احـد من خلق الله ؛ وكانت عقوبته السيف، يصدق المرأة والرجل والصبي أو من كان على من كان، لا يطلب على ذلك شاهـداً اكثر من الشكوى ، وكان يأخـذ الحق من ابنه ، ويبرّ الرجال ويكرم الشجعان ، واذا قدر عليهم عفا عنهم ، وكان يسوّرهم بأسورة الذهب اذا اختصلوا، فكانت هـذه الاشياء كلها عوناً له .

وانتهى ابن حفصون بعاديته الى قبرة ومـا أمامها الى قرية الجالية ، وأغار على القبـذيق من البيرة وعلى أحواز جيان ، وأسر عبد الله بن سماعة عامل باغة ، وكان اجتمع الى حصن

اشرس من حوز رية ، وبمقربة من قبرة ، جمع الشر من اصحاب ابن حفصون فراع أهل قبرة امرهم وهابوهم ؛ واتصل بالأمير المنذر خبرهم فأرسل اصبغ بن فطيس في خيل كثيفة الى حصن اشرس ، فحاصرهم حتى افتتحه وقتل من كان فيه ، واخرج الأمير المنذر عبد الله بن محمد بن مضر وايدون الفتى بخيل الى ناحية لجانة من قبرة ، وكان بها مسلحة لابن حفصون ، فنازلوهم وقاتلوهم حتى افنوهم .

قال الرازي : وفي سنة ولاية الامام المنذر غزا محمد بن لب الى ألبة والقلاع ، ومعه جموع المسلمين ، ففتح الله للمسلمين وقتلوا المشركين قتلاً ذريعاً .

وفي هذه السنة ، اعني سنة ٢٧٣ في جمادى الاولى ، أمر الأمير المنذر بسجن هاشم بن عبد العزيز وزير أبيه وخاصته ، وأمر بقتله في جمادى الاولى . وسبب ذلك ان هاشماً كان يُحسَدُ لمكانه من الأمير محمد وخاصته به ، فكانوا يسعون به عند المنذر ويكررون ذلك عليه حتى تنافرت النفوس . فلما مات الأمير محمد وولي المنذر اراد ان يفي له ويتبع فيه فعل أبيه ، فولاه الحجابة . ثم تمالؤوا عليه واكثروا وصرفوا عليه الكلام وتأوّلوا عليه أقبح التأويل حتى نفذ قضاء الله فيه ؛ وكان مما تأوّلوا عليه ان هاشماً انشد عند مواراة الامير محمد رحمه الله :

أُعَزِّي يا محمد عنك نفسي ،
امينَ الله ذا المنن الجسام

فهلاَّ مات قوم لم يموتوا ،
ودوفع عنك لي كأس الحمام !

فتأولوا انـه يريد بقوله لم يموتوا المنذر . وكتب هاشم من حبسه الى جاريته عاج :

واني عداني ان ازورك مطبق ،
وباب منيع بالحديد مضبَّبُ

فان تعجبي يا عـاج ممـا أصابني ،
ففي ريب هذا الدهر مـا يُتعجب

تركتُ رشاد الامر ، اذ كنتُ قادراً
عليه ، فلاقيت الذي كنت أرهب

وكم قائل قال : انْج ويحك سالماً ،
ففي الارض عنهم مستراد ومذهب

فقلت له : ان الفرار مـذلّـةٌ ،
ونفسي على الاسواءِ احلى وأطيب

سأرضى بحكم الله فيما ينوبني ،
ومـا من قضاء الله للمرءِ مهرب

فمن يك أمسى شامتاً بي ، فانه
سينهل في كاسي وشيكاً ويشرب

ثم بعث فيه الامير ليلاً فقتله وسجن أولاده وحاشيته وانتهب ماله وهدم داره والقى أولاده في السجن والزمهم غرم مائتي ألف دينار ، فلم يزالوا في السجن والغرم الى موت المنذر وولاية اخيه عبد الله ، ثم أطلقهم عبدالله وصرف عليهم ضياعهم وولى احدهم الوزارة والقيادة . وفيها كانت الوقعة على أهل طليطلة وكانوا قد جيّشوا البربر المنفيين من ترجيلة فقُتل منهم ألوف .

وفي سنة ٢٧٤ خرج الامير المنذر بجيوشه الى عمر بن حفصون ، فافتتح حصونه برية والحصون التي بجهة قبرة ، ثم توجّه الى حضرته ببشتر فحاصره فيها وأفسد ما حواليه وضيق عليه ، ثم انتقل عنه الى ارجذونة ، وبها عيشون ، فاقام عليها محاصراً لها ومضيقاً على أهلها الى ان نبذوا عيشوناً واهله واسلموه بذنبه ، فدخلها الأمير المنذر وقبض على عيشون وأصحابه ، وظفر أيضاً ببني مطروح ، وهم حرب ، وعون وطالوت ، وافتتح حصونهم بجبل باغة وأُتي بهم الى الأمير اسارى ، فبعث ببني مطروح الى قرطبة وأمر بقتلهم وصلبهم ، وكانوا اثنين وعشرين رجلاً ، فصُلِبوا بأجمعهم وصُلِب مع عيشون في الخشبة خنزير وكلب . وكان

السبب في ذلك ان عيشوناً كان يقول : اذا ظفر بي فلنيصلبني وليصلب عن يميني خنزيراً وعن يساري كلباً . وكان يثق بنفسه في القتال ثقةً شديدةً ، ويأمن من أن يؤخذ لشدّته وشجاعته ، فلما يئس الامير منه دسّ الى بعض أهل ارجذونة بأن يتحيل في أخذ عيشون ، فأجابه ووعده بأخذه ، فلما كان في بعض الايام دخل بيت أحدهم بغير سلاح وقد استعدّ له بكبل ، فأوثق به وبعث به الى الامير .

شأن عمر بن حفصون في ايام المنذر رحمه الله

ولما كان في العام الثاني من ولايته ، وهي هذه السنة المؤرخة ، خرج في عديده الاكثر وقصد بربشتر ، فحلّ عليها احفل احتلال وقاتل ابن حفصون بها اشدّ قتال ، وانتشرت خيله في تلك الاقطار واستولت على السهول والاوعار ، ثم عطف الامير الى مدينة ارجذونة ليتبرها تتبيراً ويؤتي اهلها يوماً عبوساً قمطريراً ، لدخولهم في طاعة ابن حفصون ونزوعهم الى ما نزع اليه اهل تلك الحصون ، فخرجت رسلهم الى الامير فتلقّته بالسمع والطاعة والدخول في جمهور الجماعة ، فتقبّل نزوعهم وآنس جميعهم ، وتغلّب على القصبة اثر ذلك وأسر عامل ابن حفصون هنالك ، واستمرّ اللعين ابن

حفصون على ضلالته وغيه ولم يثنِ عناناً عن عاديته وبغيه ، فخرج اليه الامير ثانية وحاصره حصاراً وقد عدم ابن حفصون اعواناً وانصاراً .

فلما رأى الامير أخذ بخنقه وسدَّ افواه طرقه ، اعمل سوابح الفكر في الخديعة والمكر ، ليعتصم بذلك من تلك الحبال المنصوبة والاشراك المعترضة المضروبة ، فاظهر الانابة الى الطاعة وشهر النصيحة جهد الاستطاعة ، على ان يكون عند الامير من خاصة جنده وقطان قرطبة باهله وولده ، وان يلحق ابناه في الموالي ويتابع الاحسان قِبَلَه ويوالي . فاجابه الامير الى مطلبه بأكيد الايمان وكتب له بذلك مبادراً عقد الامان ، وقطع لاولاده ارفع الثياب واوقرت لهم الدواب بالاموال والاسباب اسباغاً عليهم بالافضال وتوسيعاً لهم في الاماني والآمال ، وسأل مائة بغل يجعل عليها جملة متاعه وعياله ، وجعل طلبها قوة لمكره واحتياله ، فامر الامير بالبغال ان تحمل اليه وتوضع بين يديه ، وقد جعل عليها عشرة من العرفاء بمائة وخمسين فارساً اتماماً للاكرام وانعاماً على انعام .

فارسل عمر بن حفصون جميعهم الى بربشتر حيث اهله وولده وطريفه من المال ومتلده ، وانحل العسكر عن الحصن

اذ ذاك وقفل القاضي والفقهاء عن تمام الصلح من هناك ، وظنّهم قد غلب لا كذب ولا مَيْن ، وان قد نيل من الراحة من شغبه املاءٌ وقُرَّةُ عين .

فلما انفضّ جمع ذلك العسكر وانتقض ذلك المعسكر ، ودخل الليل وامتدّ للفاتك الذيل ، هرب عمر بن حفصون من ذلك الحصن وسار الى بربشتر في ظل الامن ، فلقي العرفاء فناصبهم القتال واخذ تلك البغال ، وعاد الى سيرته الاولى ، وقال لشيعته انا ربُّكم الاعلى ، فأقسم الامير المنذر ان يقصده ويحلّ عليه ، ولا يقبل منه او يلقي بيده اليه ، فأعمل الغزو الى بربشتر وجمع لها الجمع الاكبر .

فلما احتلّ عليها امر ان يحدق بها ويحاط بجوانبها ، وان يعتزم لقتالها اعتزاماً ويلتزم محاصرتها التزاماً ، فظهر من حزم الامير المنذر وعزمه ما يئس معه ابن حفصون من البقاء في تلك الحصون ، فبقي الامير على حصن بربشتر يرومه روماً مدة من ثلاثة وأربعين يوماً ، وكان قد اصابَتْه علة اكذبت نفسه وكدرت أنسه ، فبعث في اخيه عبد الله لينوب منابه وينتدب في تلك الحال انتدابه ، فلما وصل اليه وحصل في المظلّة لديه ، خرجت في الحين روحه وبكاه من كان يغدوه ويروحه ، فوقع الخرم في العسكر اثر موته

وتفرّق النـاس عند فوته ، ولم يقدر عبـد الله على ضبطهم عندما انحلّ مِنْ ربطهم ؛ واستطال عمر بن حفصون في المحلّة وانتهبها بالجملة ، وحُمِـل الامير المنذر على جمل الى قرطبـة ودفن مع أجداده هنالك ، وصار عند النـاس أهْون مفقود وأيسر هالك ، اذ كان قد اضطرّهم في ذلك المقـام وندبهم الى الثبات هنالك والمقام .

وفي هذه السنة كان القحط الشديد بالاندلس فاستسقى الناس فنزل ثلج كثـير في اول يوم من يناير ولم ينزل غيث ، ثم استسقوا مراراً فلم يمطروا ، فخامر الناس القنط ، فلما دخـل من فبراير بعض أيام سقي الناس وارتفـع البـاس ، فاستبشروا بفضل الله واعلنوا بشكره ، فقال العكي في ذلك ويمـدح الامير المنذر :

نزل الحيا المحيي وطابت انفس ،
قـد كان سوء الظن فيهـا يهجس

أحيا الاله عبـاده ، من بعـد ما
كانت من القنط النفوس توسوس

متلافياً فيـه بعائد رحمـة ،
لولا عوائدهـا طوَتْنا الأبْؤس

ملك الملوك تقدّست اسماؤه
الحسنى ، وعزّ جلاله المتقدس

ومنها :

بالمنذر المأمون طاب زماننا ،
وبطيب دولته تطيبِ الانفس

الى قوله :

خُذْها امين الله وابن امينه
من شاكر ، في الشكر ليس يدلّس

وفي سنة ٢٧٥ توفي الامير المنذر رحمه الله ، وقد ذكر موته على حصن بربشتر ، محاصراً للخبيث ابن حفصون ، وكانت وفاته منتصف شهر صفر من السنة المذكورة ، وهو ابن ست واربعين سنة ، وملك سنتين الا اياماً .

بعض سيره واخباره

كان الامير المنذر رحمه الله يحبُّ اخوته ويكرمهم ويدني مجالسهم ويصلهم ويحضرهم مجالس انسه ؛ وكان يجزل العطاءَ للشعراء وينشدونه غازياً وراجعاً ، وكان من شعرائه احمد بن عبد ربه والعكي وغيرهما ، ولم يكن أحد من الخلفاء قبله مثله

شجاعةً وصرامة وعزماً وحزماً ، ولقد بلغ في سنة بذلك ما لم يبلغه غيره في الدهر ، ولقد كان ابطال الرجال وانجادهم من اهل الفتنة يذعنون اليه دون محنة ويرسلون اليه بالطاعة قبل ان يطلبها . وان الخبر المستفيض عن الشيوخ انه لو عاش المنذر عاماً واحداً زائداً لم يبق برية منافق . واخباره تدلُّ على ذلك .

واول اخباره الدالّة انه لما اتاه موت ابيه لم يمنعه ذلك من التعريج عن القصد واختصار الطريق ، ولا شغله مهمّ ولا أمر جليل عن آخر ، فجعل طريقه على رية فهذب امورها وولى عليها سليمان بن عبد الملك بن اخطل وعبد الرحمن بن حريش ، وادخل معهما اهل المعاقد من العرب والحشم . ثم جمع في يوم واحد مبايعتَه واعطاء الجند والنظَر فيما اسقط من الأزِمّة عن الرعية ، وما فعله من الاستحماد الى اهل قرطبة باسقاط العشور عنهم ، والنظر في الندب واخراج القائد ؛ وهكذا كان فعله في جميع اسبابه ، وبحسب ذلك كان انقياد الاشياء اليه .

# خلافة عبد الله بن محمد

## ابن عبد الرحمن بن الحكم

كنيته : ابو محمد .

مولده : في النصف من ربيع الآخر سنة ٢٢٩

امه : تسمى بهار ، وقيل : عشار .

حجّابه اثنان : عبدالرحمن بن شهيد وابن السليم .

وزراؤه : ستة وعشرون .

كتّابه ثلاثة : عبدالله بن محمد الزجالي ، وعبدالله بن محمد بن أبي عبيدة ، وموسى بن زياد .

صفته : أبيض مشرب بحمرة ، أصهب ، أزرق ، أقنى الانف ، ربعة ، يخضب بالسواد .

بنوه : احد عشر ، احدهم محمد المقتول والد عبدالرحمن الناصر .

بناته : ثلاث عشرة .

بويع في اليوم الذي مات فيه اخوه المنذر في المحلّة على بربشتر ، وذلك يوم السبت في النصف من شهر صفر من سنة ٢٧٥ ، ثم قفل الى قرطبة بأخيه المنذر ميتاً ، فاستتمّ البيعة بقرطبة ودفن أخاه بثغرها .

وتوفي عبدالله سنة ٣٠٠ وهو ابن اثنتين وسبعين سنة . فكانت خلافته خمساً وعشرين سنة وخمسة عشر يوماً .

ومن قول ابن عبد ربه فيه :

خلافـة عبدالله حجّ على الورى ،
فـلا رفث في عصـره وفسوق

تجلـّت ْ دياجي الحيف عن نور عدله ،
كما ذرّ في جنح الظـلام شروق

وثقـّف سهم الدين بالعدل والتقى ،
فهـذا له نصـل وذلك فُوق

وما عاقـه عنها عوائق ملكـه ،
وامثالهـا عن مثلهن تعوق

وافضت الخلافة اليه وقـد تحيـّفها النكث ومزقها الشقاق وحلّ عراهـا النفاق ، والفتنة مستولية ، والدجنـة متكاثفة ، والقلوب مختلفة ، وعصا الجماعة متصدعة ، والباطل قد أُعلن ، والشر قد اشتهر ، وقد تمالأ على أهل الايمان حزب الشيطان ، وصار الناس من ذلك في ظلماء ليل داجٍ لا اشراق لصباحه ولا افول لنجومه ، وتألـّب على أهل الاسلام اهل الشرك ومن ضاهاهم من اهل الفتنة، الذين جردوا سيوفهم على أهل الاسلام،

فصار اهل الاسلام بين قتيل ومحروب ومحصور يعيش مجهوداً ويموت هزلاً ، قد انقطع الحرث وكاد ينقطع النسل ، فناضل بجهده وحمى بجدّه ، وجاهد عدو الله وعدوه وانقطع الجهاد الى دار الحرب ، وصارت بلاد الاسلام بالاندلس هي الثغر المخوف ، فكان قتال المنافقين واشباههم اوكد بالسُّنَّة وألزم بالضرورة .

فاول ما تناوله ونظر فيه ان وجَّه ابراهيم بن حُميد لاخذ بيعة ابن حفصون وبيعة من قِبَلَه ، فقصد ابراهيم اليه وقصد طاعته ، فظهر منه حسن مذهب ، فاخذ بيعته وصدر عنه ، وقدم معه حفص ابنه وجماعة من اصحابه ، وأُخذت عليهم البيعة وردَّهم الامير محبوِّين بالكرامة والرعاية ؛ فبقي ابن حفصون سامعاً مطيعاً منتهياً عما نُهي عنه ، واقفاً عند ما أُمر به ؛ ثم تعدَّى بعد ذلك حدَّه ومدَّ يده الى ما نُهي عنه ، فلم يدع مالاً عند من امكنه ، واستحوذ على اهل الكور في اموالهم وامضى نفسه على عادته الذميمة من الفساد وقطع السبل ، وذلك في سنة ولاية الامير عبد الله .

وفي سنة ٢٧٦ خرج الامير عبد الله بنفسه الى بربشتر وحصون رية ، فانتسف معايشها وقفل عنها وقد شدَّ تلك الناحية وابقى بحاضرة رية محمد بن ذقين من أهل قرطبة ، فخرج ابن

حفصون في اثره وتألّف اليه المفسدون فأتوا الى اسجة فاحتلوها ثم الى حصن اسقبة فاخذوه ، فاخرج اليهم الامير جيشاً فنزل ابن حفصون واعترف بذنبه فعقد له الامير اماناً. وفي هذه السنة ولي محمد ابن الامير عبدالله كورة اشبيلية، فخرج في ايامه بعض عرب اشبيلية الى قرمونة فضبطوها . وفيها ثار عبد العزيز التجيبي المعروف بالانقر . وفيها نقض ابن حفصون وقصد بيانة فحارب أهلها ، ثم اعطاهم العهد ، فلما نزلوا اليه غدرهم وقتلهم وأخذ اموالهم وسبى ذراريهم . وفيها انتقض أهل جيان واخرجوا عاملها عباس بن لقيط ، وملكها ابن شاكر .

وفي سنة ٢٧٧ ولد عبد الرحمن الناصر. وفيها غزا القائد ابن ابي عبدة الى جيان، وفيها ابن شاكر مخالفاً ، فحاربه وحاصره وقتل جماعة من اصحابه وأحرق كثيراً من دور جيان . وفيها خرج حفص بن المرّة الى سوّار وكمّن له الكمائن وأغار عليه ، فلما خرج سوار في طلبه خرجت عليه الكمائن فقتل . وفيها قتل ابن شاكر الثائر بجيان، وسبب قتله ان ابن حفصون اراد ان يراجع طاعة الامير وان يتقرب اليه بقتل ابن شاكر ، فبعث اليه خيلاً يريد ان يمدّه على عدوه ، فأقبل المدد اليه، فلما خرج اليهم فتكوا به وقتلوه وبعثوا برأسه الى ابن حفصون، فبعث به الى الامير عبد الله ؛ وعند ذلك توجّه ابن

حفصون الى جيـان فاغرم اهلها الاموال الجسيمة ، وأقامت جيان والبيرة مدة دون عامل من الامير .

وفي سنة ٢٧٨ خرج الامير عبد الله الى بلاي من عمل قبرة، وبها عدو الله ابن حفصون مع جماعـة كبيرة من اصحابه أهل الفساد والارتداد ، وكانوا قد أضرّوا بأقاليم قرطبة وضيّقوا عليهم حتى أغاروا على اغنام قرطبة ، فخرج اليهم الامير مستهلّ صفر واحتلّ به ، فناهضه وصادقه القتال ، فانهزم هو ومن معه ولجأ الى حصنه مع ملاٍ من أصحابه ، وعوجل عشيره عن الدخول معه واتُّبعوا فلم يخلص منهم احد ، فبات الامير قرير عين ، والمسلمون قد أخذوا عليه تلك الليلة الباب رجاءَ ان يأتي الصباح فيؤخذ داخل الحصن .

ثم خرج منه مع بعض اصحابه ونجا ونجوا ، ولما اصبح أُعلم السلطان بخبره فارسل الخيل في اثره فلم يُعلم له خبر .

ودخل الامير الحصن يوماً آخر فوجده مُترَعاً بالذخر ملآن من العدد . وكان عدد عسكر الامير ثمانية عشر ألف فارس ، وقيل ان ابن حفصون الب اهل حصون الاندلس كلها ، واقبل اليه في ثلاثين الفاً ووقعت الحرب بينهم ، فانهزم عدوُّ الله وقتل اكثر من كان معه ، ودخلت جملة منهم في محلّة الامير فامر بالتقاطهم ، فأتي بالف رجل منهم فقتلوا صبراً بين يديه . هكذا ذكر في بهجة النفس .

ثم قصد الامير استجة فنازلهم وحاربهم وقتل لهم عدداً كثيراً ، فلما اخذهم الجهد رفعوا الاطفال على الايدي في الاسوار مستصرخين ضارعين راغبين في العفو فعفا عنهم .

وفي سنة ٢٧٩ غدر اهل ارجذونة باحمد بن هشام ، ونقض ابن حفصون ما كان انعقد من سلمه وطوعه .

وفي سنة ٢٨٩ توجّه المطرف بن عبد الله بالجيش الى ابن حفصون ببربشتر ، فحاصرها وهتك جميع ما حواليها . وفيها امر الامير عبد الله ببنيان حصن لوشة وابقى عليه ادريس بن عبيد الله . وفيها دخل اذفونش بن اردن مدينة سمورة وبناها وكانت من بنيان عجم طليطلة .

وفي سنة ٢٨١ اغزى الامير عبد الله عبدَ الملك بن امية فتقدم الى حصون ابن مستنة ونازل حصن اشر وحاربه وقتل من اهله عدداً كثيراً ، وهدم حصن السهلة ، ثم قفل الى قرطبة .

وفي سنة ٢٨٢ غزا بالصائفة المطرف ابن الامير عبد الله وقاد الصائفة عبد الملك بن امية ، فلما كان بمقربة من اشبيلية قبض على القائد عبد الملك وقتله ، وقدّم على قيادة العسكر احمد بن هاشم ، وأقام العسكر في الموضع اربعة أيام ؛ وكتب اماناً لأهل اشبيلية وأماناً لأهل شذونة ، فدانت له وقبض جبايتها ودوّخ تلك البلاد ، ثم رحل الى اشبيلية فناشبهم الحرب ،

فانهزم أهل اشبيلية ووقع فيهم القتل الى سور المدينة ، ثم أجاز الوادي فتتبَّع القرى بالنسف والتغوير .

وفي هذه السنة ضمَّ المطرف ابن الأمير عبد الله ابراهيم بن حجاج وابن خلدون وابن عبد الملك الشذوني الى السجن ، واوثقهم في الحديد ، وقطع لسان سحنون الكاتب وضرب ظهره . وفيها أتت جباية اشبيلية ، وعندما أتت أُطلق بنو حجاج وابن خلدون والشذوني من سجن قرطبة .

ذكر ثورة بني حجاج باشبيلية

وذلك ان ابراهيم بن حجاج ترك ولده رهينة بقرطبة ورجع الى بلده اشبيلية ، فتوزَّع كورتها على نصفين خرج ابراهيم بالنصف وابن خلدون بالنصف ، وبقيا كذلك أعواماً . وكان الأمير عبد الله قد أخذ في الضرب بينهما ، ويكاتب كل واحد منهما بما يراه من صاحبه ، فلما كان في بعض الايام كتب ابراهيم بن حجاج وكريب بن خلدون الى الامير عبد الله في مصالحهما ، وكتب معهما خالد بن خلدون أخو كريب يغري فيه بابراهيم بن حجاج عند الأمير ويقول انه في قبضتهم . فكتب له جوابه على نص كتابه وخرج الحامل بالكُتُب اليهم ، فسقط له كتاب خالد الذي كان بعث للأمير ، فأخذه بعض فتيان القصر

فقرأه وعلم ما فيه فدفعه لرسول ابراهيم بن حجاج وقال له : اسبقْ به مولاك . فلما وصل الرسول والكتاب الى ابراهيم علم حقيقة ما يحتوي عليه ابنا خلدون من سوء الباطن ، وكان هذا في سنة ٢٨٦ ، فعند ذلك تلطّف ابراهيم في طعام ودعا ابنيْ خلدون فوصلا اليه ، فلما استقرّ المجلس بهم اخذ ابراهيم في عتاب كريب واخيه خالد واخرج الكتاب الذي بعث به الامير اليهما واوقفهما عليه وابلغ في عتابهما واكثر في ذلك عليهما ، فاخرج خالد سكيناً كانت في كمّه فضرب بها رأس ابراهيم بن حجاج فمزق قلنسوته وضربه في وجهه . فلما صدر منه ذلك نهض ابراهيم ودعا من حضر من رجاله فعلوهما بالسيوف حتى قتلوهما ، والقى رأسيهما الى اصحابهما ورجالهما فتفرّقوا ، وتتبّعهم ابراهيم بالقتل والنهب ، ودفن اجساد ابني خلدون ، وانقاد له جميع أهل الكور الملاصقة لاشبيلية ، وخاطب عند ذلك الامير عبد الله يتبرّأ له من دمهما ويقول انهما كانا يحملانه على النكث وانه الآن على الطاعة ، وطلب منه ولاية اشبيلية فاجابه الامير الى ذلك وانفرد ابراهيم بولاية اشبيلية ، فاجتبى الاموال واصطنع الرجال ، وارتقى في الاحوال وامتدّت لفضائله الآمال ، وكان له حميد آثار وجميل اخبار فاق بها اهل عصره ، وحسن في الآفاق طيب ذكره .

ولم يزل بعد ذلك ابراهيم بن حجاج يبسط على الامير عبدالله الى ان سأله اطلاق ولده عبدالرحمن الرهين عنده ، فلم يسعفه الامير عبدالله في ذلك ، فنبذ ابراهيم الطاعة عند ذلك وظاهر ابن حفصون وامدّه بالمال والرجال نكاية للامير عبدالله؛ فقويت شوكة ابن حفصون وازداد به طماعيةً ، وفي خلال ذلك لم يزل ابراهيم يدسس ويوسل من يشير على الامير باطلاق ولده ويضمن له عوده الى الطاعة ، حتى وافق السلطان على ذلك فاطلق عبدالرحمن بن ابراهيم واعظم الاحسان اليه ، وجدّد له السجلّ على بلده اشبيلية ؛ فعاد ابراهيم الى ما كان اولاً عليه من الطاعة واستقامت احوال تلك النواحي على يديه .

قال حيان بن خلف : لما ملك ابراهيم بن حجاج اشبيلية وقرمونة وما والاهما ، ارتفع ذكره وبعد صيته واتخذ لنفسه جنداً ورتّب لهم الارزاق كفعل السلطان ، فكمل في مصافّه خمس مائة فارس .

وكان لابراهيم بن حجاج في بساط السلطان بقرطبة قوم يقفون في حقه ويعلمونه بما عند السلطان من حاله وينصحونه في أمره ، فعند ذلك أقلع عما كان عليه من موافقة ابن حفصون واعترف بحق أمير الجماعة ، فعامله الأمير بما شهر له من الفضل ، وكانت منزلته عنده أعلى منزلة الى ان توفي رحمه الله .

وذكر حيان أيضاً قال : كان لابراهيم بن حجاج في بلده اشبيلية قاضٍ يقوم بالحكم وصاحب مدينة يقيم الحدود ، جرى في ذلك كله مجرى السلطان في حضرته .

قال : وكان فظّاً على أهل الريب ، قامعاً لأهل الشرّ ، وكان منتجَعاً على البر والبحر ، مقصوداً بالغرائب والطرف ؛ وكانت له باشبيلية طُرُز يطرز فيها على اسمه كفعل السلطان اذ ذاك . وكانت قرمونة تحت مملكته وهو الذي حصنها وحسن بنيان سورها ، وفيها كانت مرابط خيله المتخذة لركوبه ؛ وبينها وبين اشبيلية كان تردده سائر أوقاته . وكان جواداً ممدَّحاً ، يرتاح للثناء ويعطي الشعراء ، ويضاهي في فعله كبار الأمراء ، ويعقد أهل البيوتات والشرف بالعطاء ؛ وكان اهل قرطبة متعرضين لسيبه فيكرمهم ويصلهم .

وقد انتجعه شاعر منهم الاكبر ابو عمرو احمد بن عبد ربه ما بين جميع ثوار ذلك الوقت بالاندلس ، فعرف قدره وأفضل عليه ، ومن قوله فيه يصف تنقّله من اشبيلية الى قرمونة :

ألا ان ابراهيم لُجَّةُ ساحلٍ
من الجود أرست فوق لجة ساحل

فاشبيلة الزهراء تزهو بوجهه ،
وقرمونة الغراء ذات الفضائل

اذا ما تحلّت تلك من نور وجهه ،
غدت هذه للناس في زيّ عاطل

وان حلّ هذي فهو يوحش هذه ،
فتهدي برسل نحوه ورسائل

وهي طويلة ؛ ومن قوله ايضاً فيه من قصيد طويل :

كتاب الشوق يطويه الفؤاد ،
ومن فيض الدموع له مداد

تخطّ يد البكاءِ به سطوراً
على كبدي ، ويمليها السهاد

وكيف وبي فؤاد مستطير
بمن لا يستطير له فؤاد ؟

أمن يمنٍ يكون الجود خلواً ،
وابراهيم خاتمها الجواد

وباركه بمن يأتيه حج ،
ومدحته رباط او جهاد

ومالي في التخلف عنه عذر ،
ولي في الارض راحلة وزاد

ولأحمد بن عبد ربه في ابراهيم بن حجاج اشعار كثيرة ولغيره من الشعراء . وذكر ابن أبي الفياض ان محمد بن يحيى القلفاط الشاعر القرطبي قصد الامير ابراهيم بن حجاج يمدحه بقصيدة نونية اولها :

ارقت رحلتي فأهمت جفونا

ثم اخذ في هجاء عشيرته اهل قرطبة وكبرائها وعظماء دولتها، فافحش عليهم. فلما أنشد القصيدة لابراهيم بن حجاج زها به وحرمه واساء ذكره ، فانصرف خائباً من نواله جانياً ثمرة فعاله ومقاله ، فلما وصل قرطبة اخذ يهجو ابراهيم بن حجاج بقصيدة اولها :

لا تنكري للبين طول بكائي

فلما بلغ الشعر ابراهيم اغضبه فاوصى من قال له عنه يميناً مغلظة إنْ عاد لما وقع فيه امرتُ بأخذ رأسه بقرطبة على فراشه ، فارتاع القلفاط المذكور لذلك وكفّ ، فكان هذا الفعل لابراهيم في حق اهل قرطبة اجلّ مكرمة ، وعُدّ في جملة فضائله؛ ولاجل هذا ساقه القاضي ابن أبي الفياض رحمه الله ، وقد قصده العذوبي من الحجاز فراعى حقه وأكرم مثواه وأناله جزيل خيره ورفع الناس ذكره .

وقد ذكر أبو عمر السالمي في كتابه المسمى بدرر القلائد وغرر الفوائد ان الامير الرئيس الهمام الجواد الحسيب أبا اسحاق ابراهيم بن حجاج سمع بجارية بغذاذية اسمها قمر ، فوجّه بأموال عظيمة الى المشرق في ابتياع هذه الجارية الى ان استقرّت بدار مملكته اشبيلية ؛ وكانت كالبدر المنير ذات بيان وفصاحة ومعرفة بالالحان والغناء، فوجدها قمراً عند اسمها؛ وكان لها شعر يستحلى ويستحسن ، فمن قولها تردّ على من عاذلها :

قالوا أتَتْ قمر في زيّ اطمار ،
من بعد ما هتكت قلباً بأشفار

تمشي على وحَلٍ تغدو على سبل ،
تشقُّ امصار أرض بعد أمصار

لا حرة هي من احرار موضعها ،
ولا لها غير ترسيل واشعار

لو يعقلون لما عابوا غريبتهم ؛
لله من أمة تزري بأحرار

ما لابن آدم فخر غير همته ،
بعد الديانة والاخلاص للباري

دعني من الجهل لا أرضى بصاحبه ،
لا يخلص الجهل من سبٍّ ومن عار

لو لم تكن جنة الا لجاهلة ،
رضيت من حكم ربّ الناس بالنار

ولم تزل مدة ابراهيم تتمشى على أحسن حال واجزله ، واهذب زي واكمله ، فغَدت زيناً لعصره وفخراً له بها على أهل مصره ، لم يلحقه في ذلك احد في وقته ولا قدر على نيل مرتبته، الى ان وافته منيته فجأة ،ُوذلك عام ٢٨٨ ، وولي ابنه عبد الرحمن بن ابراهم بن حجاج بعد ابيه ، وطالت مدته ثلاث عشرة سنة ، وتوفي سنة ٣٠١ .

وكان اخوه محمد بن ابراهيم بن حجاج رحمه الله صاحب قرمونة في حياة ابيه وبعد موته الى ان مات اخوه ولم يستقرّ باشبيلية ولا حكمها ؛ وقيل انه دسّ على اخيه عبد الرحمن جارية سمّته فمات من ذلك .

قال ابن أبي الفياض : كان محمد بن ابراهيم بن حجاج صاحب قرمونة بعد موت ابيه، وكانت له بها دولة حسنة وايام صالحة ، شهر في الفضل ذكره ، وانبسط على ألْسِنَةِ الناس شكره ، قُصِد من الاقطار ومُدِح بجيّد الاشعار ، فأنال القاصدين ومنح المادحين ؛ ولما توفي ابوه ولي اشبيلية اخوه عبد الرحمن، اذ كان كبيره، وكان يزيد على عبد الرحمن باشياء من المحامد خصّ بها في وقته فحُمِد ، وظهر اثر الامارة في

بعاله فشُكِر وحُسِد ؛ وكانت دولته بقرمونة اضخم من دولة اخيه باشبيلية واطول وذلك اربع عشرة سنة بعد موت ابيه ، وتوفي عام ٣٠٢

قال الرازي : افتتح الناصر لدين الله اشبيلية سنة ٣٠١ ، وكان سبب ذلك موت عبدالرحمن بن ابراهيم بن حجاج المنتزي فيها بعد والده، واجتماع اهلها من بعده على تقديم احمد ابن مسلمة، ودفعهم لأخي عبدالرحمن محمد بن ابراهيم صاحب قرمونة ، ومخالفة محمد ومن معه بقرمونة، ولياذه بسلطان الجماعة؛ فبعث الناصر عسكراً الى اشبيلية فجرت بينهم حروب عظيمة ، ثم بعث الامير عبدالرحمن الناصر الى محمد بن ابراهيم بن حجاج وامره بالتضييق على أهل اشبيلية وعقد له على ذلك واشرك معه فيه قاسم بن الوليد صاحب شرطته في ذلك الوقت، وكان بينه وبين محمد صداقة، فخرجا معاً من قرطبة الى قرمونة، ومنها دنوا الى اشبيلية، فتردّد محمد وقاسم والجموع على اشبيلية وملكا اقاليم الشرف واقاليم طالقة واقليم ألبة وغيرها واخذ بخنق ابن مسلمة صاحب اشبيلية .

فاستجاش ابن مسلمة برأس النفاق اللعين ابن حفصون فاتاه بنفسه وخرج معه من مدينة اشبيلية وجاز النهر؛ وكان الجيش بحصن قبرة ، وفيه محمد بن ابراهيم بن حجاج وقاسم بن

وليد ، فخرجا اليهما بمن معهما من حشم السلطان ، فانهزم ابن حفصون وفرّ على وجهه حتى لحق بقلعته ؛ فتأمل ابن مسلمة منتشبه مع ابن عمه محمد بن حجاج ودخوله معه في وراثة ابيه وانه لا طاقة له به ، فأخذ في اصلاح ما بينه وبين السلطان الناصر ، فراسله بأن يعطيه اشبيلية ، فوصله الحاجب بدر ، وتملّك السلطان اشبيلية دون اراقة دم ولا قتال .

فلما استقرّ الحاجب باشبيلية أحضر أهلها ووعدهم عن السلطان بكل جميل ، وان يجري عليهم عوائدهم مع بني حجاج وزيادة على ذلك، فرضي القوم وتمّ الأمر للحاجب وابن مسلمة ، واخذ الحاجب في مخاطبة محمد بن حجاج يعرفه بتملّك السلطان اشبيلية ، وان السلطان أمره بالكف عن حصارها .

فعند وقوف محمد على الكتاب ساءه ذلك وتغيّر له وخرج من حصن قبرة الذي كان به مع قاسم بن وليد ناكثاً للطاعة ، وسرى ليلته مع جموعه قاصداً بلده قرمونة ، فلقي في طريقه أغناماً لأهل قرطبة ، فأغار عليها وحملها معه الى قرمونة فدخلها واظهر التمنّع بها ، فأخرج اليه الناصر لدين الله صاحب الحشم ، فلما وصله وخاطبه بما أمره به السلطان ردّ عليه الاغنام بجملتها . ولما رجع صاحب الحشم الى قرطبة خرج محمد بن حجاج من قرمونة بجيشه ، فوصل اشبيلية عند

الصباح فهجم عليها ، وكان بعض سورها مهدماً ، فطمع فيها ، فخرج اليه العامل عليها من قِبَل السلطان فهزمه عنها ، فرجع الى قرمونة .

فلما علم الناصر بذلك وجّه عسكراً الى عامل اشبيلية تقوية له ، فحصّن البلد على نفسه وامن من عادية محمد بن حجاج .

ولما طال على الناصر تمادي محمد بن حجاج على العناد بعث اليه صديقه ابن وليد طالباً منه العودة الى الطاعة ، فلم يزل به حتى اظهر الانابة له ، فانفذ محمد بن حجاج خاصته الى الناصر فوصل اليه ، فالحقه الناصر بنفسه وشافهه بما القاه اليه محمد، واعلمه انه ينعزل عن قرمونة ويسكن قرطبة على ان يترك بها نائبه . فاجابه الناصر لذلك كله ووعده بتتميم اغراضه . فلما وصل الرسول الى محمد بما القاه اليه الامير الناصر خرج من قرمونة في شهر رمضان المعظم من عام ٣٠١، ووصل قرطبة مع وجوه قومه وعدة من رجاله، فامر لهم الناصر بالكساء ووصلهم على اقدارهم ومنازلهم عند محمد، واجزل لهم الصلة واعطى محمداً العطاء الجزل ، وقربه من نفسه وولاه من حينه خطة الوزارة منوّهاً مرفّع الذكر . ثم خرج الناصر لدين الله غازياً فاغزاه معه وزيراً .

وكان حبيب بن عمر الوالي على قرمونة من قِبَل السلطان قد امتنع بقرمونة، فحاصر الناصر قرمونة، ومحمد بن حجاج معه وزيراً، فسعى بـه عند السلطان من كان يحسده وقال له : انما نافق ابن عمر مع محمد وبامره، فعزله عن الوزارة وحبسه وحبس معه ابن وليد صاحب الشرطة، ثم أطلِقا بعد ذلك. فلم يلبث محمد ابن حجاج بعد ذلك الا يسيراً، وتوفي في شوال سنة ٣٠٢

ومن أخبار عمر بن حفصون في ايام الامير عبد الله

وعندما ولي عبد الله الخلافة ووافته الكتب من البلاد، واجتمعت على طاعته جميع العباد، رأى عمر بن حفصون، على فرط عناده وعتوه في الأرض وفساده، أن يدخل في جماعته ويلتزم بفروض طاعته، فارسل ابنه حفصاً الى قرطبة مع جماعة من اصحابه على ان يعقدوا مع الامير سلماً منتظماً وصلحاً مبرماً، لا يحيله حال ولا يلحقه محال، على ان يستقرّ عمر ابن حفصون ببربشتر على الطوع، ويقيم بها على الطاعة والسمع، فقبل الامير نزاعه وسمح بابقائه هنالك، وأصدر ابنه ورسله اصداراً جميلاً ومنحهم براً جزيلاً، ووجه معهم عبد الوهاب ابن عبد الرؤوف والياً على كورة رية ومشاركاً لابن حفصون في نقضه وحله، ومساهماً له في توليته وعزله، فمكثا شريكين

في الامر والنهي إلى ان غلب ابن حفصون على عبد الوهاب واخرجه من الكورة منبتّ الاسباب ، واشتدت معرّته وتأكدت عاديته ومضرّته ، حتى همّت القرى بالخلا والناس بالجلا ، ولم يبق بالقنبانية قرية الا غشيتها الخيل وعمّتها الذلة والويل ، قد ملك اللعين استجة وارجذونة وأجادهما ثقافاً وصير فيهما من الآلات أصنافاً .

فلما رأى الامير عبد الله ما احاط بقرطبة من ابن حفصون ودار عليها من الحرب الزبون ، أمر باخراج السرادق الى فحص الربض بشقندة ، فلما اشتدت أطنابه ومدت حبائله واسبابه ، بعث ابن حفصون خيلاً ترمي على شقندة لعلها تأخذ السرادق السلطاني وتفوز به وتهجم على البلد وتحيط بجانبه ، فخرجت لهم الخيل اثر ذلك وطردتهم طرداً من هنالك ، ووصلت الى ابن حفصون فدفعته عن الجهة ومنعته من تلك الوجهة ، وآوى الى حصن بلى بقبرة ، فجمع له الامير اهل قرطبة وسار اليه في نحو اربعة عشر الفاً ، وحشد ابن حفصون نحو ثلاثين الفاً فصدمه الامير بمن معه ، فنثر عقده وفرق جمعه ، فعملت السيوف في رقابهم وتبعت سيل أعقابهم ، حتى رويت الارض من دمائهم . ودخل الامير عبد الله القلاع الثائرة عليه وصارت يومئذ في يديه . وفي ذلك يقول ابن عبد ربه :

رام ابن حفصون النجاة فلم يسر،
والسيف طالبه فليس بناج

في ليلة أَسْرَتْ به فكأنما
. . . ، ليلة المعـراج

ما زال يلقح كل حرب حائل ،
فالآن انتجهـا بشرٍّ نتاج

ركبوا الفرار بعصبة قد جرّبوا،
غب السرى وخوافت الادلاج

واذا سألْتَهمُ : موالي من هُمُ؟
قالوا : موالي كل ليل داج

ولما رجـع ابن حفصون الى بربشتر حشد اعوانه وجـد للعرض، ديوانه ، وخرج بجمعه الى البيرة وادار بها حرباً مبيرة ، الى ان تغلّب عليها بأيده وقبض على عاملها بكيده . فأخرج الأمير عبد الله العسكر اليه وقدّم ابن ابي عبدة عليه ، فلمّا تدانى الفريقان وتراءى الجمعان ، هجمت خيل ابن أبي عبدة على خيل ابن حفصون ، فعكستهم عكساً وطمست آثارهم طمساً ، وأُثقل ابن حفصون بالجراح وآب من النصر صفر راح ، قـد ركب الأوعار واحتمل الخزي والعار ، وبلغ حصن بربشتر

مفلولاً خاسراً ذليلاً ؛ ثم عاد الى عاده وسبيل بغيه وفساده ، وفي كل ذلك كان الأمير عبد الله يهزم جيشه ويروع ببأسه جأشه ، حتى خمدت نيرانه وملَّتْ انصاره واعوانه . فلمّا توفي الأمير عبد الله وولي الناصر لدين الله ، بادر الى الطاعة والدخول في الجماعة ، ثم نكث وخان حتى اهلكته الأزمان .

جملة الثوار ببلاد الاندلس في أيام الامير عبد الله
الخارجين عن الجماعة المضرمين لنار الفتنة

اولهم ابن حفصون وقد تقدّم ذكره وتأتي بقية اخباره بحسب السنين .

وثار سِوار بن حمدون بحصن منت شاقند ، فقام الى جعد عامل البيرة بمن معه ، فهزم جمعه وأخذه أسيراً وأَراه يوماً عسيراً ، ثم اطلقه من عقاله وعمّه بافضاله ، وانصرف الى البيرة بلده ومقرّ أهله وولده .

وسار سوار الى غرناطة واغار على حصون ابن حفصون ، فاجتمع اهل البيرة في نحو ثلاثة وعشرين الفاً ، فلقيهم سوار في عدد قليل فلاذوا بالفرار والنفور وصاروا كالهباء المنثور ، ونيطت بهم الحتوف كسفاً وقتل منهم على ما ذكر احد عشر الفاً ، وذلك سنة ٢٧٩

وكانت بين سوار هذا وابن حفصون ملاقاة انقلب فيها ابن حفصون مهزوماً وتولّى ملوماً مذموماً ، قد اثقل بالجراح وقتل قواده في ذلك الكفاح .

وكان جعد الثائر بالبيرة متفقاً مع ابن حفصون على النفاق ، متفقاً معه على الفساد في تلك الآفاق ، فأعمل جعد الحيلة في الغدر بسوار جهده واضمر في ذلك نصبه وجهده ، فاغار على جهته يوماً وقد اكمن هنالك قوماً ، وخرج هو بنفسه في نفر يسير فاكتسح وأغار وأنجد في الجهة وغار ؛ وظنّ سوار ان ليس وراءه اجناد تنجده ولا امداد تمده ، فبرز اليه باهل المكان وقد ايقن بالظفر والامكان ، فلما انبسط من هنالك كالفرح الاشر ثارت الكمائن عليه كالجراد المنتشر ، واحدقت الخيل بسوار فقتّل تقتيلاً وعاد عسكره مهزوماً مفلولاً . وارسل صاحب البيرة الى ابن حفصون برأس سوار واعلمه بالكثب الشامل لاعدائهم والبوار .

وثار سعيد بن جودي في ذلك التاريخ بالغرب وعارض ابن حفصون بالحرَب والحرْب ، حتى أغصه بريقه وضايقه في سبيله هنالك وطريقه ، فرجع ابن حفصون الى الحيلة والكيد اذ عجز عنه بالقوة والأيد ، حتى قبض عليه وصار اسيراً لديه ، واقام عنده ببشتر شهوراً مكبولاً الى ان

قبل فيه ابن حفصون مالاً جزلاً قبولاً ، فاطلقه من وثاقه فجدّ في خلافه على الأمير عبد الله وشقاقه ، الى ان مكر به مكراً وقتل في دار عشيقة له يهودية غدراً .

وتولى امر الغرب بجانب البيرة محمد بن اضحى فامسى على طاعة الأمير عبد الله واضحى ، فناصب ابن حفصون الحرب وعارضه بالطعن والضرب ، الى ان ظفر به ابن حفصون في تلك المسالك وصار عنده اسيراً هنالك ، ففداه العرب منه بمال جسيم ومشي من طاعة الأمير على منهاج قويم .

وثار العرب باشبيلية ثورة وقبضوا على عاملها عنوة ، وانتهبوا طارفه ومتلده ولم يتركوا الا اهله وولده ، وقتلوا كثيراً من اعوانه وعاثوا ما شاؤوا من سلطانه ؛ فاجتمعت العساكر من قرمونة وسائر الأقطار واحاطت باشبيلية احاطة الفلك الدوار ، فغلبوا على القائمين فيها وقتلوا منهم فرقة فكانت الوقعة المعروفة بالدعكة .

وتغلّب ابراهيم بن حجاج على اشبيلية تغلّباً ونصب لأحواز قرطبة منها حرْباً وحرَباً ، وارتبط مع ابن حفصون على العيث العام والاحتلال بقرطبة في ذلك العام ، وتغلّبا على الحصون والقلاع وجدّا في الكفاحة والقراع ، الى ان انتقض ما بينهما من السلم المنتظم والعهد المحكم المبرم ،

وصالح ابن حجاج الأمير عبد الله فاقرّه باشبيلية وصرف اليه زمامها ووقف عليه اعمالها واحكامها .

وثار دَيْسَم بن اسحاق وغلب على مدينتي لورقة ومرسية وما يليهما من كورة تدمير ، وكان مودوداً من طبقات الناس ، رفيقاً برعيته جواداً منتجَعاً ، له افضال على الشعراء والأدباء .

وثار عبيد الله بن أميّة وملك كورة جيان ودخل حصن قسطلونة وغيره .

ومنهم عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي ، اقتعد مدينة بطليوس وماردة ، ففارق الجماعة وجاور اهل الشرك ووالاهم على اهل القبلة .

ومنهم عبد الملك بن ابي الجماعة، اقتعد مدينة باجة وملكها وتحصن بحصن مارتلة ، وله حظ من المنعة تشييداً وعدة، وكان معاقداً لابن مروان صاحب بطليوس في هذا التاريخ وابن بكر صاحب اكشونبة ، فكانوا متألفين على من خالفهم .

وثار ابن السليم، وهو منذر بن ابراهيم بن محمد بن السليم، بمدينة ابن السليم المنسوبة الى جدّه من كورة شذونة ، فاقتصد في سيرته ولم يظهر نبذ الطاعة ، الى ان قتله مملوك يسمى غلنده وخلفه وليد بن وليد وصار الى الطاعة عند هبوب ريحها بالخليفة عبد الرحمن الناصر .

ومنهم محمد بن عبدالكريم بن الياس ، امتنع بقلعـة ورد من كورة شذونة وسعى للفتنـة سعيه وتمادى حتى استـنزله الناصر فيمن استنزل من الثوار ومات بقرطبة .

وثار خير بن شاكر بحصن شوذر من كورة جيان ، وظاهر زعيم الثوار عمر بن حفصون ، ففُتِك بخيرٍ المذكور وأُرسل برأسه الى الأمير عبدالله .

ومنهم عمر بن مضم البنزوتي المعروف بالملاحي، وكان جندياً متدرباً عند العامل بحضرتها ، فوثب عليه وغدره وضبط القصبة .

ومنهم سعيد بن هذيـل ، كانت ثورته بحصن المنتـلون من كورة جيان، فبنى قصبته وحصنها واعلن بالخلاف ، حتى استنزله الناصر فلحق بقرطبة الى ان مات .

وثار سعيد بن مستنة بكورة باغة واقتعد حصونها فاستفحل امره وشره وعم أذاه ، واصطفى من حصونها التي ظهر عليها اربعة لا مثيل لها في الحصانة والمنعة .

وثار بنو هابل الاربعة ، اكبرهم منذر بن حريز بن هابل واخوه ابو كرامة هابل بن حريز واخوه عـامر واخوه عمر ، ثاروا ببعض حصون جيان في ايام الأمير عبدالله، وخلعوا طاعته واطلقوا الغارة واطلعوا اهـل الفساد ثم استنزلوا، فنزلوا عـلى حكم الأمان ، فحسنت طاعتهم وخدمتهم .

وثار اسحاق بن ابراهيم بن عطاف العقيلي بحصن منتلشة ، فبناه وحصنه وامتنع بـه ، الى ان استنزله الخليفة الناصر الى قرطبة وبها توفي .

ومنهم سعيد بن سليمان بن جودي أمَّرَتْه عرب غرناطة والبيرة فضبط امرهم حتى دبر عليه كبيران منهم بحيلة فقتلاه بها، فلم ينتظم للعرب هناك امر بعده .

وثار عمر بن اضحى بن عبداللطيف الهمداني من أكابر ابناء العرب بكورة البيرة ، الى ان هلك الامير عبدالله ، فاستنزله الناصر لدين الله عن حصنه فيمن استنزله من الثوار ، وكان ابن اضحى هذا مع رجوليته اديباً بيّناً يقوم بين ايدي الخلفاء في المحافل فيحسن القول ويطيب الثناء ، وله اخبار معروفة .

وثار بكر بن يحيى بن بكر واقتعـد مدينة شنت برية من كورة اكشونبة ، وبناها حصناً اتّخذ عليها ابواب حديد، وكان له ترتيب وأُهبة ورجـال شجعان وعدة موفورة ، وكان يتشبه بزعمه في سلطانـه بابراهيم بن حجاج ، وكان له أصحاب للرأي وكتّاب للعمل ، وكان له عقد مؤكد الى جميع من في طاعته باضافة ابناءِ السبيل وقراءِ النزيل، وحفظ المجتازين فكان السالك بناحيته كالسالك بين اهله واقاربه .

وثار ابنا مهلب من وجوه قبائل البربر بكورة البيرة، وهما

خليل وسعيد، ثارا ثورة نظرائهما بجهتهما، فاقاما على سبيلهما الى ان استنزل الناصر اولادهما بعد وفاتهما .

وثار سليمان بن محمد بن عبد الملك الشذوني بشريش وشذونة، وهو الذي بنى نبريشة وحصنها .

وثار ابنـا جرج بحصن بكور ففسدت سيرتهما فاخرجا عن الحصن، فمات عبد الوهاب ولحق محمد بن عبد الرحمن بن جرج بابن الشالية، وكان مصافياً له، فتقبّله واستخدمه وبنى له حصن مورينة من كورة جيان، فأقام فيه الى ان استنزله الناصر ونقله الى قرطبة .

وثار أبو يحيى التجيبي المعروف بالانقر بمدينـة سرقسطة واعمالها ، وقتـل احمد بن البرّاء القرشي عامـل الأمير على سرقسطة واستولى عليها ، واظهر التمسك بطاعة الامير عبد الله وخاطبه وهو ينسب ابن البراء الى الخلاف، فأظهر الأمير تصديقه وسجل له على سرقسطة فثبت بها قدمه .

وفي سنة ٢٨٣ اخرج الامير عبد الله على العسكر هشام بن عبد الرحمن بن الحكم الى كورة تدمير في أواخر ربيع الاول، وكان القائد معه على الجيش احمد بن أبي عبدة ، ولما احتـلّ بوادي بلون تقدّم قطيع من الخيل فافتتح هنالك حصناً وغنم ما كان فيه . وتوافت على العسكر حشود أهل الكور، ثم انتقل

وطوى المراحل حتى حلّ بمرسية ، ثم انتقل الى لورقة فخرج اليه ديسم بن اسحاق فحاربه، فهزم ديسم ورجع الى لورقة وأقام محاصراً حتى قفل عنه العسكر . ثم خرج ديسم بمن معه فضرب في الساقة، فرجع اليه فهُزم واتُّبع حتى استغاث بالوعر ونجا راجلاً وأُخذ فرسه؛ وقفل العسكر سالماً، وفقد في هذه الغزاة الماء ومات فيها اثنان وثلاثون رجلاً عطشاً ، وهلكت دواب كثيرة .

وفي سنة ٢٨٤ اخرج الأمير عبد الله ابنه ابان الى لبلة، وكان ابن خصيب بحصن منت ميور، وكان قد ثار به، فحاصره ونصب عليه المجانيق ورماهم بها حتى ضجُّوا ودعوا الى الطاعة وانعقد امانهم .

وفي خلال ذلك دخل ابن حفصون استجة الدخلة الثانية ، فورد كتاب الامير باستعجال القفول بسبب استجة ، فقفل العسكر. وكانت مدة هذه الحركة شهرين ونصفاً وهي اولى حركات أبان .

وفي سنة ٢٨٥ غزا ابان ابن الامير عبد الله الى ابن حفصون والقائد ابن أبي عبدة. وفيها ايضاً غزا عباس بن عبد العزيز الى حصن كركي وجبل البرانس ، وقتل ابن يامين وابن موجول واخذ حصونهما . وفيها تقدّم لب بن محمد من طليطلة الى حيز

جيان ونازل حصن قسطلونة، وكان فيها نصارى يحاربون عبيد الله ابن امية المعروف بابن الشالية، فاخذ الحصن وقتل العجم؛ ووافاه فيه قتل ابيه محمد بن لب في محاصرته لسرقسطة. وفيها كانت المجاعة الشديدة التي سميت السنة بها : سنة لم اظن .

وفي سنة ٢٨٦ اظهر ابن حفصون النصرانية، وكان قبل ذلك يسرّها، وانعقد مع أهل الشرك وناظمهم ونفر عن اهل الاسلام ونابذهم، فتبرّأ منه خلق كثير ونابذه عوسجة بن الخليع ، وبنى حصن بنيط وصار فيه موالياً للامير عبد الله محارباً لابن حفصون، واتّصلت عليه المغازي من ذلك الوقت ، ورأى جميع المسلمين ان حربه جهاد، فتتابعت عليه الغزوات بالصوائف والشواتي لا يَني القواد عنه في الحل والترحال، وفي ذلك قال ابن قلزم لابن أبي عبدة :

ففي كل صيف وفي كل مَشْتًى
غزاتان منك على كل حال

فتلك تبيد العدو ، وهذي
تفيد الامام بها بيت مال

وفي سنة ٢٨٧ كانت الصائفة متجولة ما بين كورة مورور وكورة شذونة وكورة رية . وفيها قتل القائد ابن أبي عبدة طالب بن مولود المروري. وفيها صلب اسحاق وصاحبه وكانا من

رجال ابن حفصون . وفيها جرى المثل في الناس : غررْتَ بي يا اسحق ؛ وذلك ان احدهما قال هذه الكلمة لصاحبه وهو يرفع في الخشبة .

وفي سنة ٢٨٨ قبضت رهائن ابن حفصون وتحولت الصائفة لشذونة وغيرها من الكور . وفيها عظم السيل بقرطبة وانهدم رِجل من قنطرتها . وفيها خرج من قرطبة احمد بن معاوية ابن الامام هشام الى فحص البلوط ، ثم تقدّم الى ترجيلة فأقام فيها مدة يسيرة ، وانحشدت اليه الحشود فدخل الى سمورة وقُتِل بها في شهر ربيع الأول .

وفي سنة ٢٩١ كان غزو ابان ابن الامام عبد الله ، رحمه الله ، الى رية ، وقاد الخيل احمد بن محمد بن ابي عبدة وفصل يوم الخميس لخمس خلون من جمادى الآخرة ، ونهض حتى احتلّ بوادي نسقانية ، واضطرب في هذه المحلة ، وخرج اليه عمر بن حفصون ، ثم التقيا فوقعت بينهما حرب شديدة ، ثم انكشفت الهزيمة على اصحاب ابن حفصون ، فقتل منهم عدد كثير ، ثم اضرم قرى وادي نسقانية وما حواليها ناراً .

ثم انتقل وحلّ على وادي بينش المجاورة لببشتر ، ووقعت الحرب بين اهل العسكر وبين ابن حفصون ، فانهزم ابن حفصون وقتل له رجال وعقرت له خيل . واتصل الحريق في جميع قرى تلك الناحية .

ثم انتقل الى محلّة طلحيرة فأقام بها أياماً يحارب فيها ابن حفصون كل يوم وينال منه .

وفي هذه الايام احرقت منية لجعفر بن عمر بن حفصون ، وفي هذه الغزاة[1] حوز (سطرُش) والرجل[2] وقُتِل اخو (زسى) وجماعة من حماة ابن حفصون، ونصب المنجنيق على الرِجل فاثر فيه وثلم في سوره. ثم تقدَّم القائد احمد بن محمد بن أبي عبدة من حصن لوشة الى حصن الخشن في جرائد الخيل وابقى ابان ابن الامام عبدالله رحمه الله معسكراً بمحلّة لوشة، فحارب حصن الخشن وقتل عدداً من اهله واسر منهم جماعة وانصرف بالرؤوس والاسرى الى لوشة، ثم قفل بالعسكر ودخل قرطبة يوم الجمعة لخمس بقين لرمضان، فكانت هذه الغزاة ثلاثة اشهر وعشرين يوماً.

وفيها خرج لب بن محمد الى بايش من احواز ألبة، وذلك في رمضان ، فافتتح حصن بايش وما يليه ، والعلج اذفنش يومئذ على حصن (عرمون) محاصراً لاهله ، فلما بلغه دخول لب بن محمد بحصن بايش ولى هارباً .

وفيها ثم في ذي الحجة خرج لب بن محمد الى ناحية بليارش فافتتح حصن (لحرونفة) وحصن ايلاس وحصن قشتيل شنت وحصن مولة ، وقتل بهذه الحصون نحواً من سبع مائة علج وسبى بها نحواً من ألف سبية .

---

[1] هنا كلمة ناقاصته ، لعلها : هدم [2] الرجل : المراد به أسفل السور .

وفيها توفي جعفر بن يحيى بن مزين الفقيه من اهل قرطبة، وكانت له رواية عن أبيه وغيره .

وفيها توفي احمد بن هاشم القائد بمدينة غرناطة ودفن هنالك وهو ابن اربع وسبعين سنة . وفيها توفي اسحق بن عبد الله الطبيب . وفيها مات عامر بن موصل الاصبحي بحصن ناجرة .

وفي سنة ٢٩٢ كان خروج الصائفة الى عمر بن حفصون ، وتجوّل العسكر على حصونه فهتك بعضها ، وقوطع البعض على وظيف يؤدونه .

وفيها كانت الوقعة العظيمة على عمر بن حفصون بوادي بلون من جيان ، وكان قد توافى اليه أهل الخلاف والخلعان وخرج مغيراً على المسلمين ، فهزمه الله وقتل كثير ممن كان معه ، وأدبر في شرذمة قليلة ، وافني اكثر رجاله في ذلك المعترك .

وفيها خرج لب بن محمد لمحاصرة مدينة سرقسطة واخذ في ردم القَرِق[1] المجاور لسورها ، وشرع في البنيان عليها ، فلما كمل له ردم القرق وبنيان ما فيه رحل عنه وادخل ندبة فيه من رجاله .

وفيها توفي عبد الله بن قاسم بن هلال وكانت له رحلة ، وادخل الاندلس كُتُب داود القياسي وغيره .

---

١ القرق : المكان المستوي .

وفيها توفي الوزير سليمان بن محمد بن وانسوس وعبد الرحمن
ابن اميّة بن عيسى بن شهيد المعروف بدحيم ، وتوفي اخواه
عثمان بن امية وعيسى بن امية .

وفي سنة ٢٩٣ كان خروج الصائفة الى فهر بن اسد ، وهو
بحصن تش من كورة جيان ، فافتتح الحصن واخذ فهراً
أسيراً وقدم به الى قرطبة فأمر الامام عبد الله رحمه الله
بصلبه عند القصابين في ربيع الآخر .

وفيها عزل محمد بن امية بن شهيد عن المدينة ووليها محمد
ابن غانم ، فكانت ولايته شهوراً ، ثم عزل وولي مكانه موسى
ابن محمد بن حُدَيْر . وفيها حبس حزمير القومس وعذب
وأرهق حتى مات .

وفي جمادى الآخرة دخل القائد احمد بن محمد بن ابي
عبدة حصن قنيط من تاكرنا وندب فيه جيشاً واستنزل من
كان فيه من بني الخليع وادخل فيه غلاماً .

وفيها توفي يونس بن هاشم بن عبد العزيز . وفيها توفي ديسم
ابن اسحاق صاحب تدمير . وفيها قتل يحيى بن قطام ومحمد بن
اسمعيل وايوب بن سليمان بطليطلة .

وفي سنة ٢٩٤ كان غزو ابان ابن الامام عبد الله رحمه الله
بالصائفة الى الجزيرة ، وقاد الخيل احمد بن محمد بن أبي عبدة ،

وحلّ بالجزيرة يوم الجمعة لتسع بقين من رجب ، ثم تقدّم الى حصن لوزة يوم السبت لانسلاخ رجب، فحارب الحصن وحاصره وقتل جماعة ممن فيه، ثم تقدّم الى حاضرة رية، وفيها مشاور بن عبد الرحمن ، فاحرقت ارباض الحاضرة وحوصر من كان فيها ، فدعا مشاور الى السلم وبذل الرهائن ، فاجيب الى ذلك وقبضت رهائنه، ثم تقدّم القائد الى الساحل فجال عليه اجمع وخرج على حصون البيرة وقفل منصرفاً الى قرطبة فدخلها يوم السبت لليلتين خلتا من ذي القعدة .

وفيها خرج لب بن محمد الى جانب بنبلونة فنزل في نهورة وشرع في البنيان بحصن هرين، فحشد اليه العلج شانجة جميع اهل بلده وكايده بالمكامن، ثم وجّه اليه خيلاً يسيرة ؛ فلما سمع الصيحة بدر الى الركوب فبلغ بكمين فهزمه ثم بكمين فهزمه ، ثم احدقت به الكمائن فقُتِل وقُتِل من كان معه ممن آثر الشهادة ، وذلك في ذي الحجة لاثنتي عشرة ليلة بقيت منه ، فنزل تطيلة اخوه عبد الله بن محمد ، وكان لب يوم قُتِل ابن ثمان وثلاثين سنة . وفيها ظهر محمد بن عبد الملك الطويل في الثغر، ودخل حصن بربشتر وحصن القصر وحصن بربطانية .

وفي سنة ٢٩٥ كان غزاة ابان ابن الامام عبد الله رحمه الله بالصائفة الى جهة رية، وقاد الخيل ابو العباس احمد بن محمد بن

أبي عبدة ، فقصد ببشتر وحارب ابن حفصون ونكاه وانزل به ، وحارب ما حواليه من الحصون .

وفيها غدر سعيد بن الوليد المعروف بابن مستنة وتخلّى عن حصن بلدة الى عمر بن حفصون وظافره وأبدى ما كان بضميره من العصيان .

وفيها ولي المدينة محمد بن عبيد الله بن أبي عثمان ، وذلك يوم خميس ، فاستعفى عنها فأعفي يوم الجمعة ثاني ولايته ، وولي مكانه علي بن محمد المعروف بالباسه ، وكان عليها ثلاثة ايام ، ثم عزل واعيد اليها موسى بن حُدَيْر ، فكان والياً عليها الى آخر أيام الامام عبد الله واقرّه أمير المؤمنين رحمه الله الى سنة ٣٠٢

وفيها دخل محمد بن عبد الملك الطويل حصن منتشون ومدينة لاردة في المحرم .

وفيها دخل محمد بن عبد الرحمن التجيبي مدينة ( شيبه ) .

وفيها خرج محمد بن عبد الملك الطويل الى برطانية ، فافتتح حصوناً جمة وسبى سبياً كثيراً .

وفيها توفي الفقيه يحيى بن عبد العزيز بن الجرار ، والفقيه محمد بن غالب بن الصفار ، ومحمد بن يحيى بن أبي غسان صاحب السوق ، وولي أحكام السوق يحيى بن سعيد بن حسان .

وفيها توفي موسى بن محمد بن موسى بن فطيس الخازن .

وفي سنة ٢٩٦ كان غزو ابان ابن الامام عبد الله بالصائفة الى حصون رية وغيرها ، وقاد الخيل معه احمد بن محمد بن أبي عبدة، فقصد ناحية ببشتر ونازل ابن حفصون وحاربه ونكاه ؛ وتحرّك عيسى بن احمد القائد غازياً الى حصون سعيد بن مستنة، فنازله أيضاً حتى قفل القائد احمد بن محمد من ببشتر، ثم نازل حصن لك من حصون ابن مستنة فاقام عليه حتى افتتحه .

وفيها خرج محمد بن عبد الملك الطويل الى بليارش في شهر رمضان، فقتل هنالك مقتلة عظيمة ، ووفد عليه رسول اهل حصن روطة يرغبون الصلح ويسمحون بالرهائن والجزية ، فلم يُجِبهم الى ذلك فخرجوا هاربين من الحصن وأخلوه وتقدّم اليه فهدمه .

وفيها تغلّب على حصن منت بطروش وهو المعروف بجبل الحجارة .

وفيها توفي محمد بن سليمان بن تليد المعافري قاضي مدينة وشقة .

وفيها توفي عبيد الله بن محمد بن أبي عبدة ، وكان حج قبل وفاته بثلاثة اعوام هو ويحيى بن سعيد بن حسان صاحب السوق .

وفيها توفيت السيدة ابنة مطرف ابن الامير عبد الرحمن ابن الحكم رحمهما الله .

وفيها توفي احمد بن حفص بن ( رفاع ) الفقيه المقري .

وفي سنة ٢٩٧ كان غزو العاصي ابن الامام عبدالله رحمه الله الغزاة المعروفة بغزوة رية وفريرة ، وقاد الخيل أحمد بن محمد ابن أبي عبدة ، وفصل يوم الخميس لتسع بقين من شعبان ، فتقدّم الى بلدة فحاربها ثم احتلّ على نهر طلبيرة فدارت بينه وبين أصحاب ابن حفصون حرب عقرت فيها خيل السلطان وقتل عدد من اصحاب ابن حفصون ، ثم تقدّم الى حصون البيرة فنزل على حصن شبيلش فكانت هنالك حرب شديدة ، ونالتْ بعضَ حماة العسكر جراحٌ ، وتجوّل في كورة البيرة وحلّ بمحلّة بجانة ، ثم قفل على كورة جيان فنازل حصن المنتلون يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من ذي القعدة ، فاقام عليه محاصراً اياماً ثم ضحى فيه يوم الاحد ، وقفل يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة ، ودخل قرطبة يوم الاربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة . وفيها افتتحت بياسة واستُنزل منها محمد بن يحيى بن سعيد بن بُزَيْل .

وفيها كان سيل عظيم غرقت منه اركان بيت الله الحرام ، وفاضت بئر زمزم ، ولم يرَ مثل هذا السيل في قديم الازمان .

وفيها اجتمع عمر بن حفصون وسعيد بن مستنة وسعيد بن هذيل وضمّهم عسكر واحد ، فضربوا بناحية جيان ، وأغاروا فأصابوا وغنموا وانصرفوا الى حصن جريشة ، فاتبعهم القائد

احمد بن محمد بن أبي عبدة ، فلحقهم وهزمهم وقتل جماعة منهم ، فيهم : تسريل العجمي من قواد ابن حفصون .

وفيها افتتح القائد احمد بن محمد بن أبي عبدة حصن الزبيب وابتنى حصن ترضيض تضييقاً على ابن هذيل ، وحصّن قلعة « الأشعب » ووضع فيها نَدْباً من الرجال ؛ وسبى القائد هذه السنة بجبل « ارهش » من كورة قبرة ، وكانت له في هذه السبوة حركات بالغت في نكاية أهل النفاق .

وفيها خرج محمد بن عبدالملك الطويل الى بار بليارش فافتتح حصن اوريوالة وأصاب من المشركين ثلثمائة سبية ، وقتل كثيراً منهم ، وهدم الحصن وحرقه وتقدّم الى حصن «غلتمر» و «الغران» فهدمهما؛ وكان مبلغ الفيء في هذه الغزاة ثلاثة عشر ألفاً .

وفيها قتل ابرهيم بن حجاج ابن عمّه احمد بن سيد بن عمر ابن عمير وهو ابن خمس واربعين سنة .

وفيها ، وذلك يوم الخميس لسبع بقين من ذي الحجة ، اعتقل موسى بن محمد بن جدير صاحب المدينة ابراهيم ومحمداً وسعيداً بني الأمير محمد ، رحمه الله ، وابن أخيهم محمد بن عبدالملك ابن الامير محمد رحمه الله ، وحبسهم في دار مطرف ابن الامير عبدالله ؛ وكان سبب ذلك ان الامام عبدالله رحمه

الله عهد اليه ألاّ يترك احداً يجوز القنطرة، اذا كان له خروج للصيد ، وكان يصيد الامام في تلك الجهة بعدوة النهر ، فخرج الامام في هذا اليوم متصيداً وخرج هؤلاء من المدينة متروّحين، فردّهم واعتقلهم ، فلما انصرف الامير رحمه الله من صيده انهى اليه امرهم وما فعله فيهم ، فاستحسن ذلك منه وشكر له وعهد اليه باطلاقهم .

وفي سنة ٢٩٨ كان غزاة العاصي ابن الامام عبد الله رحمه الله بالصائفة ؛ وقاد الخيل احمد بن محمد بن أبي عبدة ، فتقدّم الى حصن ببشتر وغيره من حصون الساحل بكورة رية ، ثم تقدّم بالعسكر الى كورة البيرة فحطم زرعها وهشم ثمارها .

وفيها اقام عيسى بن احمد بن أبي عبدة في قطيع من الخيل بمدينة بيانة ، فاغار عمر بن حفصون وسعيد بن مستنة في بسيط قبرة وقرى قرطبة واخذوا الغنائم ، فخرج عيسى بن احمد طالباً لهما فالتقى بهما على نهر ألية فدارت بينهم حرب شديدة وانهزم عمر بن حفصون وابن مستنة فقتل من اصحابهما خلق كثير وافترقوا ايدي سبا، وبعث عيسى بن احمد من رؤوسهم عدداً كثيراً .

وفيها غزا الوزير عباس بن عبد العزيز الى مدينة قلعة رباح ، وكان اهلها قد خالفوا وخلعوا الطاعة ، فافتتحها ؛ وكان فضل

ابن سلمة ختن سعيد بن مستنة قد خالف بحصن اشر فتقرّب أهل حصن اشر بقتله الى الامام عبد الله رحمه الله ، فقدم منهم قوم برأسه الى باب السدّة فشكر لهم ذلك .

وفيها خرج عباس بن احمد بن أبي عبدة قائداً على خيل كثيفة الى المنتلون لحرب سعيد بن هذيل .

وفيها تداعى البربر الطنجيون ، الذين كانوا غزوا مع القائد احمد بن محمد بن أبي عبدة ، الى النزوع الى مدينة بلدة الى ابن حفصون ، وتداعى الطنجيون ، الذين كانوا مع عباس بن احمد على المنتلون ، الى النزوع الى ابن هذيل ، فخرجوا عن العسكر ولحقوا بأهل الكفر والخلعان ، ثم دارت الدائرة على هؤلاء وهؤلاء في الموضعَيْن جميعاً لأمور احدثوها واستدرجهم الله عزّ وجلّ بها ، فقُتلوا في ببشتر والمنتلون وعاد من بقي منهم الى الطاعة ، وكان صاحب الصائفة العاصي ابن الأمير عبد الله ، وكان فصوله لهذه الغزاة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان ، وهو يوم النصف من ابريل ، وكانت في هذه الغزاة امراض ووباء .

وفيها خرج محمد بن عبد الملك الطويل الى ارغون يريد بنبلونة وان يجتمع هنالك مع عبد الله بن محمد بن لب ، فانتهى الى حصن البربر فأحرق ما حواليه ، وهدم كنائس

تلك المواضع، وذلك في شهر رمضان ، وعرج عن ملاقاة ابن لب وعن القصد الى بنبلونة ، وانصرف فاحتل حصناً من حصونه يعرف بشارة قشتيلة ، فأنذر بان ابن شانجه يريد الهجم عليه، فخرج في بعض أصحابه متسللاً .

فلما أيقن أهل العسكر بهروب ابن الطويل تخاذلوا ، فكان سبباً لانهزام أهل الحصن. فلما بلغ عبد الله بن لب الخبر وان ابن الطويل كعّ عن ملاقاة شانجه نزل بمن معه من المسلمين على حصن لوازة من حصون شانجه ، فقتل جماعة منهم و كرّ راجعاً ، فالتقى ببعض الخيل التي كان فيها شانجه فقتل فيهم وسبى .

وفيها استشهد ابن أبي الحصيب التطيلي واسمه نعم الخلف ، وكان نبيلاً اديباً وفقيهاً محدثاً .

وفيها مات ابراهيم ابن الامام محمد رحمه الله .

وفيها توفي معاوية بن محمد بن هشام القرشي وعثمان ابن الامير محمد رحمه الله ومطرف بن احمد بن مطرف ابن الامير عبد الرحمن رحمه الله وابان بن عبد الملك ابن الامير عبد الرحمن رحمه الله .

وفيها توفي محمد بن أمية بن عيسى بن شهيد الوزير صاحب المدينة .

وفيها توفي سعيد بن عبد الرحيم الشذوني الكاتب وأبو يحيى يزيد بن محمد التجيبي الخازن وموسى بن العاصي بن ثعلبة وأبو مروان عبيد الله بن يحيى بن أبي عيسى واصبغ بن عيسى بن فطيس وابراهيم بن حجاج صاحب اشبيلية، وهو ابن ثلاث وستين سنة، وعمر بن قومس الكاتب وريان الفتى صاحب الطراز وافلح الوصيف .

وفي سنة ٢٩٩ كان غزاة القائد احمد بن محمد بن أبي عبدة الى حصن فنتجالة من حصون ابن هذيل بالقرب من جبل المنتلون، وذلك في صدر المحرم، فحاصره اشدّ الحصار حتى افتتح الحصن .

وفيها غزا بالصائفة ابان ابن الامام عبد الله رحمه الله، وقاد الخيل عباس بن عبد العزيز الوزير، وفصل يوم الاثنين لتسع بقين من شعبان، وقصد حصن ببشتر وحارب ابن حفصون واوقع به؛ ثم خرج باثره احمد بن محمد بن أبي عبدة فتولى القيادة مكانه ، واستقدم عباس بن عبد العزيز الى قرطبة فقصد القائد حصون ابن حفصون وحارب من كان فيها .

وفي هذه السنة كسفت الشمس جميعاً قبل وقت الغروب ، وذلك يوم الاربعاء لليلة بقيت من شوال ، وظهرت النجوم وبدر اكثر أهل المساجد فأذنوا لصلاة المغرب وصلوا ، ثم انجلى ذلك وعادت الشمس مضيئة ثم توارت للمغيب .

وفيها خرج محمد بن عبد الملك الطويل الى وادي برشلونة فأغار بوادي طراحة فخرج عليه العلج سنته فأخذ عليه المضائق ، فلما كثر عسكر المسلمين ألفوا اعـداء الله على تلك المضائق ، ففتح الله للمسلمين عليهم وقتلوا فيهم مقتلة عظيمة .

وفيها توفي عبد الله بن أبي زيد صاحب الخيل .

وفيها توفي اصبغ بن ملك الزاهد الفقيه .

وفيها هلك العلج اذفنش ، وكانت مدة أيامه أربعاً واربعين سنة ، وولي ابنه غرسية مكانه .

### شأن ابني الأمير عبد الله محمد ومطرف

كان الأمير عبد الله قد رشح ابنه محمداً لولاية عهده وآثره بما عنده ، فعظم الأمر على أخيه مُطرّف ، وبعد ما بينهما كل البعد ، وقابل الواحـد الثاني بالهجران والصد ، فوجد محمد يوماً فارساً من فرسان مطرف فاغتاله وقتله ، ثم فرق من ابيه عبد الله وحذر سطوته ولم يأمن صولتـه ، فسار الى السجن ففتقه وحَلّ مَنْ شدّه أبوه وأوثقه ، وخرج بمن فيـه من أهل الدعارة والفساد ولحق ببربشتر قاعدة أهل الضلال والعناد ، وصار عند ابن حفصون في حرز من الامن مصون .

ثم ان الامير عبد الله أباه خاطبه بالامان ، وقال : بئس

الاثم الفسوق بعد الايمان ، فقبل من ابيه وانصرف الى أهله وذويه ، ولم يزل بعد ذلك مطرف يغري بحمد اغراء ويطوي له عداوة وبغضاء ، ويزعم انه يخاطب ابن حفصون ويداخله ويداهنه على القيام على ابيه ويواصله ، فسجن الامير عبد الله ابنه محمداً في دار البقيقة وامتحن خلال ذلك عين الحقيقة ، فلما واصل في البحث صباحه ومساءه لم يقرع سمعه من جهته ما ساءه ، فاسرع اطلاقه وحلّ وثاقه ، فدخل مطرف اليه واجهز في الحين عليه ، وتركه متخبطاً في دمه ملقى على يده وفمه . فلما علم ذلك الامير عبد الله اعظم ذلك منه وهمّ بقتله عنه ، فلم يعدم من كسّر عليه لذلك فتركه ، وقيل قتله فيه ، والله اعلم . وكان ذلك في سنة ٢٧٧ .

شأن القاسم اخي الامير عبد الله

كان الامير عبد الله قد اتّهم اخاه بالقيام عليه في الملك وايراده موارد الهلك ، فلما كثر بذلك الرفع اليه وتتابع الكلام فيه عليه ، رأى بمقتضى الرئاسة وحكم التدبير والسياسة ان يحبسه في دار البقيقة من القصر حتى يكشف من هذا الامر ، ثم نقله منها الى حبس الدُّوَيرة فمُنِع النوم هناك ، فارسلت له أمُّه مُرقِداً لذاك ، وامرَتْه ان يقسمه على ثلاثة ايام ، فشرب الجميع في يوم واحد فاصبح رهن الحِمام .

وفي سنة ٣٠٠ كان وفاة الامام عبد الله بن محمد رحمه الله ليلة الخميس مستهل ربيع الاول، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، وكانت خلافته خمساً وعشرين سنة وخمسة عشر يوماً، ودفن في قصر قرطبة مع اجداده الخلفاء رضي الله عنه وعنهم، وصلى عليه امير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد (رضه).

صفة الامام عبد الله بن محمد

كان ابيض اصهب مشرباً بحمرة ازرق اقنى، يخضب بالسواد، ربعة الى الطول، عظيم الكراديس.

تسمية اولاد الامام عبد الله

فممن وُلد له قبل الخلافة محمد ابو امير المؤمنين عبد الرحمن ابن محمد رحمهما الله. امه در، واحمد امه تمام، ومطرف وسليمان امهما غزلان، وابان لأم ولد تسمى شان، وعبد الرحمن وعبد الملك والسيدة وعائشة والسيدة أخرى امهن غزلان، وهشيمة امها قريش، واسماء امها فتيان، وحكيمة امها ملك، والبهاء امها در، وفاطمة وكانت أسنّ ولده. وممن ولد له بعد الخلافة العاصي لمستطرف، وعبد الرحمن لخديع، ومحمد الاصغر واحمد الاصغر امهما ملحة، ورقية وزينب لملحة، وفاطمة لماجن، وزينب لشارق، وفاطمة الصغرى لدر.

ذكر حجابه ووزرائه وكتابه واصحاب شرطه

ألفى الامام عبد الله على الحجابة وقت وفاة الامام المنذر رحمهما الله عبد الرحمن بن امية بن شهيد، فامضاه عليها، ثم عزله وولى مكانه سعيد بن محمد بن السليم. ثم عزله ولم يولّ بعده الحجابة احداً.

والوزراء براء بن مالك القرشي، عباس بن عبد العزيز القرشي، سعيد بن محمد بن السليم، عبد الملك بن عبيد الله ابن امية.

وقاد الخيل بالصوائف عبيد الله بن محمد بن أبي عبدة؛ وولي الكتابة احمد بن محمد بن أبي عبدة؛ وقاد بالصوائف سلمة بن علي بن أبي عبدة، عبد الرحمن بن حمدون بن أبي عبدة، حفص بن محمد بن بسيل.

ولي المدينة مع الوزارة محمد بن وليد بن غانم؛ وولي المدينة مع الوزارة اصبغ بن عيسى بن فطيس، عبد الله محمد الزجالي؛ وكان كاتباً ووزيراً سليمان بن محمد بن وانسوس، احمد بن هاشم؛ وقاد الخيل جعفر بن عبد الغافر؛ وقاد الخيل العاصي بن عبد الله بن ثعلبة، تمام بن عمرو بن علقمة؛ وكان وزيراً لثلاثة من الخلفاء: عبد الله بن حارث بن بزيع، ابراهيم بن حمير، محمد بن أُمية بن شهيد؛ وولي المدينة نصر بن سلمة؛ وولي

القضاء موسى بن زياد ؛ وولي الكتابة والشرطة والقضاء ؛ ومن اصحاب الشرط: موسى بن زياد،ثم ولي مكانه لما ولي القضاء يحيى ابن زياد عمه ، ثم مات يحيى بن زياد وبقيت الشرطة دون وال سنتين ، ثم وليها قاسم بن وليد الكلبي ، فبقي عليها حتى توفي الامام رحمه الله .

ومن كتّابه عبد الله بن محمد الوزير ، عبيد الله بن محمد ابن أبي عبدة ، موسى بن زياد ؛ ومن قضاته : النضر بن سلمة القيسي ، ثم موسى بن زياد ، ثم محمد بن سلمة اخو النضر، ثم اعيد النضر بن سلمة ثانية، ثم عزل وولي محمد بن سلمة ، ثم مات وولي بعده احمد بن محمد بن زياد اللخمي .

ذكر فضائله رحمه الله

كان الامام عبد الله رحمه الله مقتصداً يظهر ذلك في ملبسه وشكله وجميع احواله ، وكان حافظاً للقرآن كثير التلاوة له ، وكانت له صدقات كثيرة ونوافل جزيلة، وكان متقدماً في ورعه وفضله، محبّاً للخير وأهله، كثير الصلاة دائم الخشوع والذكر لله عز وجل، شديد التواضع منكراً للسرف ومبعداً لاهله وشديد الوطأة على ذوي الظلم والجور، وكان متفنناً في ضروب العلوم بصيراً بلغات العرب فصيح اللسان حسن البيان، وكان لا يخلو

في اكثر ايامه من مقاعدة وزرائه ووجوه رجاله ، فاذا انقضى خوضهم في الرأي والتدبير لاسباب مملكته وما كان يحاوله من حسم علق الفتنة خاض معهم في الاخبار والعلوم ، ولم يكن ممن اشتغل بلذّةٍ أو قارف شيئاً من الانبذة في ايام خلافته ولا قبلها .

وهو ابتنى الساباط بين القصر والجامع بمدينة قرطبة رغبة في شهود الجمعة ومحافظة على الصلوات وحبّاً للصالحات ، وكان يقعد في الساباط قبل صلاة الجمعة وبعدها ، فيرى الناس ويشرف على أخبارهم وحركاتهم ، ويسرّ بجماعاتهم ، ويسمع قول المتظلم ، ولا يخفى عليه شيء من أمور الناس .

وكان يقعد أيضاً على بعض أبواب قصره في ايام معلومة فترفع اليه فيه الظلامات وتصل اليه الكتب على باب حديد قد صنع مشرّباً لذلك ، فلا يتعذر على ضعيف ايصال بطاقة بيده ولا انهاء مظلمة على لسانه .

وكان أهل المكانات وذوو المنازل والاقدار يتحفظون من كل أمر يوجب الشكوى بهم ، وينقبضون عن التحامل على من دونهم ، ويهابون عقابه ويحذرون انكاره ويتحرّون موافقة مذاهبه .

وكانت اللذات مهجورة في أيامه واللهو غير مقترف من

جميع خاصة وعامة ، واعمال الخير واظهار البر والتقوى فاشٍ في كل طبقة من رجاله ورعيته .

وكان رحمه الله كثير الاستغفار لله عزّ وجلّ ومتحفظاً من اليمين باسمه ، فاذا حلف له حالف بالله صدقه ، واذا شفع به اليه شافع شفّعه، أو خائف امّنه،او مذنب صفح عنه. ومآثره كثيرة وفضائله محفوظة مذكورة .

وكان قد فتح باباً في القصر سماه باب العدل ، وكان يقعد فيه للناس يوماً معلوماً في الجمعة ليباشر أحوال الناس بنفسه، ولا يجعل بينه وبين المظلوم ستراً .

وكان بصيراً باللغات ، حافظاً لاشعار العرب وأيامها وسير الخلفاء، راوية للشعر ، وكانت اللذات في أيامه مهجورة ، فانه لم يشرب قط نبيذاً ولا مسكراً ؛ واعتذر اليه يوماً بعض مواليه فقال له : ان مَخائِل الأمور لتدلُّ على خلاف قولك وتنبيء عن باطل تنصُّلك ، ولو أقررت بذنبك واستغفرت لجرمك لكان اجمل بك واسدل لستر العفو عليك .

قال : قد اشتمل الذنب عليّ وحاق الخطاءُ بي ، وانما انا بشر وما يقوم لي عذر . فقال : مهلاً عليك ، رويداً بك ، تقدَّمَتْ لك خدمة وتأخَّرَتْ لك توبة، وما للذنب بينهما مدخل، وقد وسعك الغفران .

وأملى كتاباً الى بعض عُمّاله :

اما بعد فلو كان نظرك فيما خصصناك به، واهتبالك به على حسب متوتوك بالكتب واشتغالك بذلك على مهمِّ أمرك ، لكنتَ من أحسن رجالنا غناء وأتمِّهم نظراً وافضلهم حزماً ، فأقللْ من الكتاب فيما لا وجه له ولا نفع فيه ، واصرفْ همّتَكَ وفكرتك وعنايتك الى ما يبدو فيه اكتفاؤك ويظهر فيه غناؤك ان شاء الله.

وكتب احد الوزراء اليه كتاباً في أمر فوقّع فيه :

أنت يا نضر آبِدَهْ ، لستَ تُرْجى لفائِدَهْ
انما انت عدّةٌ لكنيف ومائدَهْ

وكان رحمه الله تقياً نقياً بنى الساباط من القصر الى الجامع محافظة منه على الصلوات والتزام الصلاة مع الجماعة الى جانب المنبر دَأباً حتى لقي ربّه .

وكان رحمه الله شاعراً مطبوعاً له اشعار حسان ، فمن قوله يتغزّل في صباه :

ويحي على شادنٍ كحيلٍ ، في مثله يُخلَع العذار
كأنما وجنتاه ورد ، خالطه النّور والبهار
قضيب بانٍ اذا تثنّى ، يدير طرفاً به احورار
فصَفْوُ ودّي عليه وقف ، ما اطّرد الليل والنهار

ومن قوله أيضاً في مثل ذلك رحمه الله :

يا مهجة المشتاق ما اوجعك ؛
ويا اسير الحب ما اخضعك

ويا رسول العين ما لحظها ،
بالردّ والتبليغ ما أسرعك

تذهب بالسر فتأتي به
في مجلس ، يخفى على من معك

ومن قوله في الزهد :

يا من يراوعه الأجل ، حتى مَ يلهيك الأمل ؟
حتى مَ لا تخشى الردى ، وكأنه بك قد نزل ؟
أغفَلت عن طلب النجاة؟ ولا نجاة لمن غفل
هيهات يشغلك المنى ولا يدوم لك الشغل
فكأنّ يومك لم يكن ، وكأنّ نعيك قد نزل

وله أيضاً في الزهد :

ارى الدنيا تصير الى فناء ، وما فيها لشيء من بقاء
فبادرْ بالانابة غير وانٍ على شيء يصير الى فناء
كأنك قد حُمِلتَ على سرير ، وغُيّب حسن وجهك في الثراء
فنافسْ في التقى واجنحْ اليه ، لعلك ترضيَنْ رب السماء

ولم يزل رحمه الله عليه يرفع منار الدين ويسلك سبيل

المهتدين ، لم تمنعه الفتن عن النظر لنفسه والعمل ليوم فاقته وحلول رمسه ، وكانوا يعدّونه من أصلح خلفاء بني أميّة بالأندلس وأمثلهم طريقة واتمهم معرفة وامتنهم ديانة ، لكنه كان منغص الحال بدوام الفتنة وتضييق نطاق الخطة ونقصان مقدار التزكية ، حتى كان يتخلله الرياء تحت قناع تقية والبخل يطوقه طبيعة ليست له تحط من قدره، وغطى دينه لما كان من هوان الدماء عليه ، بسبب الفتن الطارئة حتى من ولديه ، أخْذاً لأكبرهم بالظنّة .

وقد صرح الفقيه أبو محمد بن حزم بذمّ هذا الامير وقال : انه كان قتّالاً تهون عليه الدماء مع كثرة اقباله على الخيرات وترك المنكرات ، فانه احتال على اخيه المنذر على ايثاره له وواطأ عليه حجامه بان سمّ له المِبْضع الذي فصده به، وهو نازل بمعسكره على ابن حفصون ، ثم قتل ولدَيه معاً بالسيف واحداً بعد واحد: قتل محمداً والد الناصر لدين الله، وقتل اخاه المطرف، ثم قتل اخوين له معاً ايضاً : قتل هشاماً منهما بالسيف والقاسم بالسمّ ، الى غير ذلك .

# خلافة عبد الرحمن الناصر لدين الله

نسبه : عبد الرحمن بن محمد الذي قتله اخوه مطرف ابن الامير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الربضي بن هشام الرضا بن عبد الرحمن الداخل .

كنيته : أبو المطرف .

لقبه : الناصر لدين الله .

أمه : ام ولد تسمى مُزْنَة .

عمره : ثلاث وسبعون سنة وسبعة اشهر .

ولي في اليوم الذي توفي فيه جدّه الامير عبد الله ، وبويع فيه ، وذلك يوم الخميس مستهل ربيع الاول سنة ٣٠٠ ، وتوفي يوم الاربعاء لليلتين خلتا من شهر رمضان المعظم سنة ٣٥٠ ، فكانت خلافته خمسين سنة وستة اشهر وثلاثة ايام .

صفته : ابيض ربعة اشهل حسن الجسم جميل بهي يخضب بالسواد .

قضاته : احمد بن محمد بن زياد ، ثم عزله وولى اسلم بن عبد العزيز بن هشام ثم احمد بن محمد بن زياد ثانية ثم احمد ابن بقيّ ثم منذر بن سعيد البلوطي .

نقش خاتمه : عبد الرحمن بقضاء الله راضٍ .

وكان أبوه وليّ عهد ابيه عبد الله وأكبر بنيه ، فقتله اخوه مطرف وقتله أبوه به ، وقيل في ذلك كلام كثير .

وكان مولد الناصر قبل قتل أبيه محمد بواحد وعشرين يوماً ، وذلك يوم الخميس لثمان بقين من رمضان سنة ٢٧٧ .

وكان جدُّه الأمير عبد الله يحظيه دون بنيه ويومىء اليه ويرشحه لأمره ، ربما أقعده في بعض الأيام والأعياد مقعد نفسه لتسليم الجند عليه، فتعلّقت آمال أهل الدولة به ولم يشكُّوا في مصير الأمر اليه . فلما مات جدّه اجلسوه مكانه في الخلافة دون ولد لصلبه لما اراد الله من ضخامة الملك ونصر الاسلام وابادة الشرك، اتفق له في ذلك ما لم يتفق لملك قبله ولا بعده.

وكان يسكن القصر مع جدّه دونهم فتهيّأ إجلاسه دونهم مكانه بغير منازعة . وقيل ان جدّه رمى بخاتمه اليه ابانة منه لاستخلافه، فكان أول من بايعه أعمامه أولاد الامام عبد الله ، وهم ابان والعاصي وعبد الرحمن ومحمد واحمد ، وتلاهم اخوة جدّه ، وهم العاصي وسليمان واحمد ، وكان احمد متكلمهم فلما بايعه اثنى عليه بكل جميل .

والناصر هذا هو أول من تسمّى منهم بأمير المؤمنين وتلقّب بأحد الألقاب السلطانية وهو الناصر ، ثم تسمّى منهم من كان بعده من خلفائهم بامرة المؤمنين ؛ وآثر اللقب السلطاني

وذلك حين هاجت الخلافة العباسية وضعفت وظهرت الدولة التركية والديلمية ، فصارت امرة المؤمنين لائقة بمنصبه وكلمة باقية في عقبه ، فاستهلّ الخطيب بجامع قرطبة أحمد بن بقيّ بن مخلد بذكر هذا الاسم المخلد يوم الجمعة من سنة ٣١٦

وفي يوم ولايته يقول احمد بن عبد ربه من قصيدة :

بدا الهلال جديدا ، والملك غض جديد
يا نعمة الله زيدي ، فما عليك مزيد

وولي والاندلس جمرة تُحْدِم ونار تضطرم شقاقاً ونفاقاً ، فاخمد نيرانها وسكن زلازلها ، وغزا غزوات كثيرة ، وكان يشبَّه بعبد الرحمن الداخل ؛ ومن وقت دخوله الاندلس سنة ١٣٨ الى ولاية عبد الرحمن الناصر مات من بني أُمية سبعة خلفاء وعبد الرحمن ثامنهم ، ومات في المدة المذكورة من بني العباس اثنان وعشرون ملكاً .

وفي سنة ٣٠٠ استُخلف الامام الناصر لدين الله امير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد رحمه الله يوم الخميس مستهل ربيع الاول سنة ٣٠٠ ، وهو ابن ثلاث وعشرين سنة وخمسة اشهر وثلاثة وعشرين يوماً ، وكنيته ابو المطرف ، وأُمه ام ولد تسمى مزنة ، وجلس في محراب المجلس الكامل بقصر قرطبة ، وتولى اخذها له على الخاصة والعامة بدر بن احمد مولاه وموسى

ابن محمد بن جدير صاحب المدينة؛ واحضر اعمامه واعمام ابيه وطبقات قريش وصنوف الموالي وعامة الناس ، فبايعوا مبايعةَ رِضًى واغتباطٍ بوجوه متهللة وصدور مشرحة وألْسِنة داعية شاكرة لله عز وجل على ما قلده من امرهم واصاره اليه من رعايتهم والذبّ عن حرماتهم ، قد استبشر جميعهم بيمن نقيبته واعتلاء همّتهِ ورجوا ما قد حقّقه الله لهم من بركة دولته وصلاح الاحوال على يديه وتجرُّده لاستئصال علق الفتنة والتمهيد للطاعة .

وكان الخلاف قد عمّ اقطار الاندلس وطبق القاصي والداني منها ، واستولى اهل النفاق على كورها ومعاقلها بفترة طاولَتْهم وهمل تراخت ايامه بهم ، فحسم الله عزّ وجلّ منه على يديه ما سيأتي الخبر عنه وتتصل الحكاية له .

وعهد رحمه الله بالكتاب ببيعته الى الكور والاطراف، وولى في يوم مبايعته بدراً مولاه الحجابة مع الوزارة وخطة الخيل الى ما كان اليه من خطة البُرد؛ وولى موسى بن محمد الوزارة الى ما كان اليه من خطة المدينة؛ وكان على الكتابة عبد الله بن محمد الزجالي فأقره عليها وأقر احمد بن محمد بن ابي عبدة على القيادة، واقر قاسم بن وليد الكلبي على الشرطة العليا، وكان مع ذلك خازناً، فصرف الخزانة عنه وولاها عبد الملك بن جَهْور،

وولى الخزانة ايضاً محمد بن عبيدة بن مبشر ومحمد بن عبدالله ابن ابي عبدة ، وعزل عنها عيسى بن شهيد وولى مكانه سعيد بن سعيد بن جدير؛ وولى عمر بن محمد بن غانم وعبد الرحمن بن عبد الله الزجالي ومحمد بن سليمان بن وانسوس خطة العرض ؛ وولى محمد بن عبد الله الخروبي خزانة السلاح مع العقل ، وحسين بن احمد الكاتب خزانة السلاح ايضاً ويحيى بن اسحق ومسلمة بن عبد القاهر المعروف بابن الشرح .

ثم ولى (رضه) عيسى بن احمد بن ابي عبدة الشرطة العليا وصرف عنها قاسم بن وليد الكلبي ؛ وولى فطيس بن اصبغ خطة البيازرة وصرفها عن الحاجب بدر بن احمد الى اعمال وخطط ولاها من استحق عنده من مؤمّلته ووجوه مواليه .

واخرج رحمه الله عباس بن عبد العزيز القرشي في قطيع من الجند الى برابر كركي وجبل البرانس ، واخرج القائد احمد ابن ابي عبدة في من ضمّ اليه من الجند الى كورة قبرة لمعاجلة من كان في هاتين الجهتين من اهل الشر والفتنة، فالتقى عباس ابن عبد العزيز بالفتح بن موسى بن ذي النون بقلعة رباح ، فهزمه وقتل كثيراً ممن كان انضوى اليه .

وورد كتاب عبيد الله بن فهر عامل قلعة رباح يذكر ظفره بمحمد بن ارذبلش بناحية عمله ، وكان من العصاة المفسدين ،

قتله وبعث برأسه ، وكان اول رأس رفع لمارق في دولة امير المؤمنين رحمه الله ، وذلك يوم الأحد لعشر خلون من ربيع الآخر ، وبدت تباشير الصنع ودلائل الاقبال على اوائل نظره رحمه الله ؛ ولثمان بقين من ربيع الآخر ولّى امير المؤمنين ( رضه ) احمد بن محمد بن جدير الوزارة والقيادة ، وكان قبل ذلك يلي الشرطة الصغرى ، وولّى هذه الشرطة محمد بن محمد بن ابي زيد ، وأجرى الرزق على عبدالرحمن وعبدالله ابني بدر الحاجب ، وذلك لكل واحد منهما ثلاثون ديناراً وازنة ؛ وولّى اسماعيل بن بدر كتابة خاصة أرتبه لها ؛ وولى رحمه الله جهور بن عبد الملك الوزارة ، وولاها ايضاً عبدالله ابن مضر ؛ وولى عبدالرحمن بن بدر الخيل ، وعبدالله بن محمد بن عبد الخالق بن سوادة قضاء كورة البيرة ، وهو اول قاضٍ خرج الى كورة في ايامه رحمه الله .

ولأربع بقين من ربيع الآخر عزل احمد بن محمد بن أبي عبدة عن الوزارة والقيادة وابنه عيسى بن احمد عن الشرطة العليا ، وصرف اليها قاسم بن وليد الكلبي ، وعزل محمد بن وليد بن غانم عن الوزارة وعمر بن محمد بن وليد عن العرض .

وفي يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقين من جمادى الأولى افتتحت مدينة استجة ودخلها الحاجب بدر بن احمد والوزير

احمد بن محمد بن جدير ، وكان أول موضع افتتح في ايام الناصر رحمه الله ؛ وضبطت المدينة وهدم سورها وبقي احمد ابن محمد الوزير قائداً بهـــا ومسكناً لأحوال اهلها ؛ وولي عمالتها حمدون بن بسيل .

وفي يوم السبت لسبع بقين من جمادى الاولى منهـــا ولي الوزارة محمد بن عبد الله بن أميّة ؛ ولست خلون من جمادى الآخرة طلب رجل من المفسدين يعرف بمحمد بن يونس الحياني، كان محبوساً في ايام الامام عبد الله رحمه الله ، فأطلقه امير المؤمنين الناصر ( رضه ) بعد ان عاهد الله ألا يواقع منكراً ، فنكث وخرج يبغي الفساد في ايامه رحمه الله .

ولتسع بقين من جمادى الآخرة عزل احمد بن محمد بن زياد عن قضاء الجماعة بقرطبة وعن الصلاة لامور انكرت عليه، وتولى القضاء اسلم بن عبد العزيز والصلاة محمد بن عمر بن لبابة الفقيه .

وفيها كانت غزاة أمير المؤمنين رحمه الله الى معاقل جيان وهي اولى غزواته : برز الناصر ( رضه ) من قصر قرطبة يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ٣٠٠ ، وفصل غازياً الى كورة جيان يوم السبت لسبع خلون من رمضان بعد بروزه بثلاثة وعشرين يوماً، واستخلف في القصر موسى بن محمد

ابن جدير الوزير صاحب المدينة وعبد الرحمن بن بدر ؛ ونهض ( رضه ) في جيوش كثيفة وعدد كاملة ، وكان قد نزع اليه قبل فصوله محمد بن فروة صاحب ابذة في جملة فرسانه، فتقبلهم أحسن قبول وانزلهم أتمّ انزال وصاروا في جملة رجاله ومن يضمه عسكره .

وسار رحمه الله لوجهه، فلما احتل بحصن مارشن من عمل جيان ورده الخبر بمضايقة عمر بن حفصون لأهل حاضرة رية ، وانه اطمع نفسه عند تخاذلهم بانتهاز الفرصة فيهم ، فوجه لتلافي ذلك سعيد بن عبد الوارث في قطيع من الجند وأمره ان يُغذِ السير ويطوي المراحل حتى يحتلّ مدينة مالقة ، ويقطع بابن حفصون عما كان رامه منها واطمع نفسه فيها ، فتوصّل القائد الى الموضع وضبطه وحمى تلك الجهة عن ابن حفصون وحزبه .

ونهض أمير المؤمنين رحمه الله الى حصن المنتلون واحتلّه يوم الأحد للنصف من شهر رمضان وحارب سعيد بن هذيل فيه حتى افتتحه يوم الثلثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت منه ، وانزل سعيد بن هذيل من الحصن واوسعه الأمان ، وولى عمله محمد ابن عبد الوهّاب، ثم تقدّم رحمه الله الى حصون شمنتان فاستأمنه عبيد الله بن اميّة بن الشمالية، واسحاق بن ابراهيم صاحب منتيشة، وعكاشة بن محصن صاحب وادي بني عبد الله، وسلمة بن

عرام صاحب بجيلة ، ومنذر بن حزم صاحب بختوبرة ، وافلح
ابن عروس صاحب بكور، وفحلون بن عبد الله صاحب سسانة،
ونزلوا عن معاقلهم اليه، وكلهم مذعن بطاعته ومحكم في نفسه،
فاوسعهم أمير المؤمنين رحمه الله فضله والبسهم عفوه وأخلى
تلك المواضع منهم وقدم أولادهم ونساءهم الى قرطبة، واستعمل
في الحصون ثقات رجاله، واستنزل عبد العزيز بن عبد الأعلى
من حصن الشارة ودحون بن هشام .

ثم انتقل رحمه الله منها الى كورة البيرة، فلمّا احتلّها
تداعى اهل حصون تاجلة وبسطة ومربيط والبراجلة والاسناد
الى النزول والطوع ، واخلوا حصونهم، فأحكم الناصر رحمه الله
امر ذلك الجانب كله وضبط المعاقل برجاله واتقن الجميع بنظره ؛
ثم انتقل رحمه الله الى حصون وادي اش، فأخلي اكثرها رهبة
له ؛ ونزل على حصن فنيانة يوم الخميس لأربع خلون من شوال،
وكان فيه من شيعة ابن حفصون من اغوى اهله واضلهم
فتمنّعوا من النزول ورجوا ان يعتصموا بوعر الحصن ، فأحاطت
العساكر بهم واضرمت ارباضهم ناراً، فضرعوا في قبول الانابة
على ان يسلموا من كان عندهم من شيعة ابن حفصون ، فاجيبوا
الى ذلك، وتُقبض على اصحاب ابن حفصون وشدوا وثاقاً .

ثم انتقل امير المؤمنين يتقرى تلك المعاقل بجهة بشيرة واجبلها،

حتى توغل بالعساكر في جبل الثلج ، وهو ممتنع السلوك ، فجازه الناس ويسر الله ذلك عليهم وسهله لهم . وافتتحت حصون تلك الجهة ولم يبق بها معقل ممتنع .

واتصل بامير المؤمنين رحمه الله أن ابن حفصون أقبل في جماعة اصحابه الى حاضرة البيرة طامعاً في انتهاز الفرصة فيها ، فاخرج عباس بن عبد العزيز قائداً نحوه ، فلما قرب من مدينة غرناطة أقبل ابن حفصون لما كان رجاه وطمع به ، فخرج اهل البيرة واثقين بالمدد الذي وردهم والقائد المصرخ لهم ، فهزموا ابن حفصون وقتلوا جماعة من رجاله واسروا عمر بن ايوب حفيده ، وجرح احد اولاده جراحاً اثخنته .

وتقصى امير المؤمنين رحمه الله ما كان بقي من معاقل تلك الجهة حتى احتل بحصن شبيلش ، وكان من أعظم حصون ابن حفصون منعة واصعبها مراماً واوعرها مكاناً ، واليه كان انضوى كل مشرك تفلّت من الحصون المتقدمة الذكر ، فاحتلت العساكر عليه يوم الاربعاء لاربع عشرة ليلة بقيت من شوال ، فقطعت ثمارهم واستهلكت زروعهم ومعايشهم وحوصروا خمسة عشر يوماً حتى نادوا بالطاعة وضرعوا في قبول الانابة ، واسلموا اصحاب ابن حفصون الذين كانوا عندهم ، فتلقى ذلك امير المؤمنين رحمه الله بالقبول ، وأخرج اليه جميع من كان في

الحصن من المشركين ، فأمر بضرب رقابهم حتى ابيحوا من آخرهم .

ثم أمّ رحمه الله مدينة شلوبنية وفعل فيها مثل فعله فيما تقدم ذكره ، وضبط برجاله كل حصن افتتحه ، وانحسم الداء في كورة البيرة وتألّفت كلمتهم واستقامت طاعتهم .

وصدر رحمه الله قافلاً على طريق حصن استين وحصن ابنة فراطة ، وكانا قد اضرّا باهل غرناطة وحاضرة البيرة ، وهما في غاية الحصانة والمنعة ، فنزلت الجيوش عليهما وأحدقت بهما وحوربوا أشدّ محاربة وانكاها عشرين يوماً . ثم اتخذت عليهم الحصون وشحنت بالرجال ، وقفل امير المؤمنين رحمه الله بعد ايعابه النظر في كل ما شخص له من استصلاح أمر كورة جيان والبيرة وما والاهما ، ودخل القصر بقرطبة يوم الأضحى وقد استتمّ في غزاته اثنين وتسعين يوماً . وفي هذه السنة توفي هشام بن محمد القرشي المعروف بابن الشبانسية .

وفي سنة ٣٠١ توفي باشبيلية عبد الرحمن بن ابراهيم بن حجاج صاحبها في المحرم ، فاجتمع اهلها على تقديم احمد بن مسلمة مكانه ، وكان من الشجعان ، فأخرج امير المؤمنين الناصر رحمه الله احمد بن محمد بن جدير الوزير قائداً نحوها ، فكان اول من حاربها واوقع بأهلها .

وكان محمد بن ابراهيم بن حجاج عنـد ذلك بمدينة قرمونة فقصد باب السدّة وعرض نفسه على أمير المؤمنين لمحاربة اهل اشبيلية، فاخرجه لذلك مع قاسم بن وليد الكلبي ، وحاصراها شهوراً ، ثم خرج اليها الحاجب بدر بن احمد، فدخلها يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ٣٠١ ، وهدم اسوارها واستصلح امور اهلها واخرج مع نفسه سعيد بن المنذر عاملاً عليها .

وفيها ولي محمد بن سليمان بن وانسوس الوزارة ، ووليها ايضـاً عيسى بن احمد بن ابي عبدة ، وولي محمد بن عبد الله الخروبي ومحمد بن احمد بن جدير وقند الكبير ودُرّي مولى الناصر خطة العرض ، وعزل عمر بن احمد بن فرج عن السوق وصرف النظر فيها الى محمد بن عبد الله الخروبي، وذلك في ربيع الآخر، وولي احمد بن مسلمة الشرطة العليا، واستقدم محمد بن ابراهيم بن حجاج من مدينة قرمونة وولي الوزارة وقعد مع الوزراء يوماً واحداً ، واستقدم سعيد بن المنذر من اشبيلية ووليها فطيس بن اصبغ في شعبان، واعيد الى الشرطة العليا قاسم بن وليد الكلبي، وولي خزانة المال موسى بن سليمان الخولاني المعروف بأبي الكوثر وعبد الملك بن سليمان اخوه خزانة السلاح .

وفي هذه السنة افتتح اهل الثغر حصن قلهرة وكان بايدي المشركين ، وذلك يوم الاربعاء لثاني عشرة ليلة خلت من ذي القعدة .

وفيها كانت محاصرة لب بن محمد مدينة سرقسطة وبنيان الردم عليها . وفيها قتل محمد بن عبد الملك الطويل .

غزاة امير المؤمنين الى كورة رية والجزيرة وقرمونة وهي الثانية من غزواته

برز رحمه الله من قصر قرطبة يوم الخميس لثمان خلون من شهر رمضان، وفصل غازياً لثمان خلون من شوال ، وتخلف في القصر موسى بن محمد بن جُدير صاحب المدينة، وكانت الكتب تنفذ الى هشام الولد (رضه) ، وهو صغير ، فكان اول مقصده حصن طرش ، بعد ان قدم حاجبه بدر بن احمد في قطيع من الجند الى حصن بلدة ، فألفى اهله على غرة ، وقتل منهم وسبى واسر جملة كثيرة، واحتلّ الناصر ( رضه ) بجيوشه على حصن طرش يوم الاربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من شوال ، فحصر من كان فيه ، واقام عليه خمسة ايام يغاديهم الحرب ويماسيهم ويقطع ثمارهم ويحطم معايشهم ويقتل من تظاهر منهم ، ثم ابقى عليها من يحاصرها وتنقّل الى حصون رية ومعاقل ابن حفصون يتتبّعها معقلاً معقلاً ، وينزل ناسه ومعرّة جيوشه بكل ما ينزل

به منها ؛ واوقع بابن حفصون ومن انحشد اليه من النصرانية ، في حصن طرش ، وقيعة عظيمة ذهب فيها كثير منهم وبعث برؤوسهم الى قرطبة ، والفِيَتْ للمشرك عمر بن حفصون مراكب في البحر كانت تميره من العدوة فاحرق جميعها ، وسارع كل من كان بتلك الناحية من اهل شانو وفج وسيم وقلبيرة والقصر وما انتظم بها من احواز الجزيرة الى الدخول في الطاعة والاعتصام بها من الهلكة ، فقبلهم الناصر ( رضه ) وامّنهم وسكن احوالهم .

وتنقّل منها الى حاضرة الجزيرة ، ثم الى كورة شذونة ، ثم الى كورة مورور ، حتى اوفى على مدينة قرمونة فاحتلّها يوم الثلثاء مستهل ذي الحجة ، وكان حبيب بن سوادة قد اظهر الخلاف فيها عند قدوم محمد بن ابراهيم بن حجاج قرطبة ، فنازلته جيوش امير المؤمنين رحمه الله ، وحوصر بها عشرين يوماً حتى عضّته النكاية وأخذت بمخنقه المحاصرة ، ثم استأمن فأمّن ، وسأل ان يمهل لانتقال اهله وثقله الى قرطبة ، فاجابه الناصر رحمه الله الى ذلك ولم يرهقه من امره عسراً .

وقفل الى قرطبة فدخلها يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجة ، وقد استتم في غزاته اثنين وثمانين يوماً ، وفي هذه الغزاة بعث في قاسم بن الوليد الكلبي صاحب الشرطة ، وكان

قد خلف بقرطبة ، فسُجِن وسجن معه محمد بن ابراهيم بن حجاج ومحمد بن وهيب وعبيد الله بن محمد الرقباني وسكن بن جديدة ، وعُزل ابن مسلمة عن الشرطة العليا ووليها عباس بن احمد بن ابي عبدة .

وفيها استقود الناصر عيسى بن احمد بن أبي عبدة وأعاده الى كورة اشبيلية .

وفي هذه السنة توفي عبد الله بن محمد الزجالي الوزير الكاتب في ربيع الاول ، فولي اسم الكتابة عبد الله بن بدر ، وكان سكن بن ابراهيم وعمر بن تاجيت كاتبا بدر الحاجب يقيمان خدمة الكتابة .

وفيها توفي العاصي ابن الامام محمد رحمه الله في ربيع الاول ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ؛ وتوفي عباس بن عبد العزيز القرشي في جمادى الاولى ؛ وتوفي الوزير أبو الحارث سلمة بن علي ومحمد بن الوليد بن غانم الوزير وايوب بن سليمان بن صالح الفقيه وسعيد بن خُمَيْر الفقيه .

وفيها قتل ببوشلونة عبد الملك بن عبد الله بن شبريط ؛ وأغار المشركون بوادي الحامة في الثغر ، وكانت ملحمة ارنيط يوم الاحد لعشر بقين من شعبان وهلك فيها غرسية بن اذفنش صاحب جليقية ، وصار الأمر الى أخيه اردون بن اذفنش .

وفي سنة ٣٠٢ كان ولادة امير المؤمنين الحكم المستنصر بالله اطال الله بقاءه ابن امير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد (رضه)، وذلك يوم الجمعة مستهل رجب وقت اذان الظهر .

وفيها اغزى امير المؤمنين الناصر رحمه الله في الصائفة عمّه أبان ابن الامام عبد الله ففصل في شوال الى كورة رية وتردّد بالجيوش فيها ونازل حصونها وحطم زروعها وقطع ثمارها .

وفيها امحل الناس وتوالى القحط وعمّ، فبرز الى مصلى الربض محمد بن عمر بن لبابة صاحب الصلاة، واستسقى بالناس خمس مرات في ايام مختلفة، فلم تكن سقياً، وغلت الاسعار وقلّت الميرة في الاسواق؛ ثم برز احمد بن احمد بن زياد للاستسقاء بالناس يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال، وهو اول شهر مايو، فنزل رذاذ تماسك به بعض الزرع وذهب الاكثر، وكان القحط عامّاً شاملاً بالاندلس واطرافها وثغورها وغلت الاسعار في جميع جهاتها .

وفي هذه السنة قدّم الناصر رحمه الله محمد بن عبد الله الخروبي من ولاية السوق الى ولاية المدينة، وعزل عنها موسى ابن محمد بن جدير، وولى السوق احمد بن حبيب بن بهلول، وذلك يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شوال .

وفي هذا اليوم عُزل عبد الله بن بدر عن الكتابة ووليها

عبد الملك بن جهور ؛ وعزل محمد بن محمد بن أبي زيد عن الشرطة الصغرى ووليها يحيى بن اسحق .

وفيها عزل عبد الرحمن بن بدر عن خطة الخيل ووليها عبد الله بن مضر .

وفيها ولي المواريث قند ودرّي موليا اميرالمؤمنين الناصر.

وفي يوم الاحد مستهل ذي الحجة قتل عباس بن احمد بن محمد ابن أبي عبدة صاحب الشرطة العليا ، وكان امير المؤمنين الناصر رحمه الله قد أَرتبه على محاصرة منت روى فواقعته ضربة في حرب باشرها وغرر بنفسه فيها ، فولّى الناصر اخاه عبد الله بن احمد بن محمد الشرطة العليا ، وولى محمد بن محمد بن أبي عبدة خزانة المال .

وفيها توفي مروان بن المنذر ابن الامام عبد الرحمن بن الحكم ، رحمه الله ، يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة ، وكان قد توفي قبله عمر ابن الامام عبد الرحمن لست بقين من جمادى الاولى .

وفيها توفي سعيد بن السليم ، وكان حاجباً في ايام الامام عبد الله رحمه الله ، وكانت وفاته لاربع خلون من ربيع الآخر .

وتوفي النضر بن سلمة وكان قاضياً في أيام الامام عبد الله ، وذلك يوم الثلاثاء لسبع خلون من جمادى الآخرة .

وفيها توفي عبيد الله بن محمد بن أبي عثمان لثلاث خلون من شهر رمضان .

وتوفي حمدون بن بسيل في شعبان وعبد الله بن محمد بن عبد الخالق الغساني قاضي اشبيلية لست بقين من جمادى الاولى .

وتوفي الفقيه خالد بن وهب يوم الاحد لاربع خلون من ربيع الآخر .

وفيها توفي محمد بن يحيى النحوي المعروف بقلفاط في جمادى الآخرة ، وكان من العلماء الحفّاظ والشعراء الفصحاء ، وكان هجّاءً للناس سبّابة للاشراف كثير البذاء والسفه في شعره .

وفي سنة ٣٠٣ كانت المجاعة بالأندلس التي شبهت بمجاعة سنة ستين ، وبلغت الحاجة بالناس مبلغاً لا عهد لهم بمثله ، وبيع قفيز قمح بكل سوق قرطبة بثلاثة دنانير دخل اربعين ؛ ووقع الوباء في الناس و كثر الموتان في أهل الفاقة والحاجة حتى كاد يُعجز عن دفنهم ، و كثرت صدقات أمير المؤمنين الناصر رحمه الله على المساكين في هذا العام وصدقات أهل الحسبة من رجاله، فكان الحاجب بدر بن احمد اكثرهم صدقة وأعظمهم بماله مؤاساة ، ولم يمكن في هذا العام لضيق الاحوال فيه ان يكون غزاة او اخراج جيش، غير ان الناصر (رضه) اخذ بالجد والحزم

في ضبط اطرافه والتحفظ بالمسلمين من عادية اهل الخلاف والخلعان ، اذ كانوا مع استيلاء الجوع يغاورون مَنْ قرب منهم ويغدرون على من مرّ بهم من رفاق المسلمين وطالبي المعاش ومستجلبي الميَر .

وفي هذه السنة ولي اسحق بن محمد القرشي الوَزارة وكان ذا رأي وغَناء .

وفيها ولي محمد بن محمد بن أبي زيد الشرطة العليا وكان يلي الشرطة الصغرى من قبل .

وفي هذه السنة توفي أبان ابن الامام عبد الله رحمه الله يوم الثلثاء لليلتين خلتا من جمادى الآخرة ، وهو ابن خمس وخمسين سنة ، ودفن بمقابر قريش في الربض . ومات فيها لامير المؤمنين الناصر ( رضه ) ولد يسمى هشاماً ويكنى بأبي الوليد ، وكان بِكْرَ ولده .

وتوفي فيها احمد بن هشام ابن الامام عبد الرحمن بن الحكم رحمه الله يوم الجمعة لعشر بقين من شوال ، والقرشي العثماني الطارىء من المشرق في ايام الامام عبد الله بن محمد رحمه الله ، وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رمضان . وتوفي القرشي العبدي لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر شعبان . وتوفي يحيى بن اسحق بن يحيى بن أبي عيسى الفقيه وكانت له

رحلة روى فيها الحديث ، ولم يكن بالثقة غير انـه كان نبيلاً مفوهاً . وتوفي فيهـا الفقيه النميري واسمه احمد بن عبد الله ابن فرج . وتوفي احمد بن بيطر الفقيـه يوم الخميس لليلتين خلتـا من ذي الحجة . وتوفي فيهـا مفور بن عريب . وفيهـا اسر مطرف بن محمد بن لب بن قسي ، اسره العدو بالثغر .

وفيها توفي بالثغر عبد الله بن محمد بن لب بن قسي وكان من أهـل البأس والشجاعة والنكاية للعدو ، وقتـل ابنه محمد ابن عبد الله عمه مطرفاً ، ووقعت بين بني لب فتون وحروب واختلف أمرهم .

ومات في هـذا العام بقرطبة جملة من وجوهها وبيـاض أهلها يطول الإخبار عنهم والاجتلاب لهم الى من مات في الكور والمواضع البعيدة ممن لم يأخذه إحصاء ولا عد، وكانت للعدو مع بني قسي جولات في الثغر هذا العام .

وفي سنة ٣٠٤ كان اغزاء امير المؤمنـين الناصر لدين الله ( رضه ) احمـد بن محمد بن أبي عبدة القائد الى ارض الحرب ، وفصل يوم السبت لأربـع عشرة ليلة بقيت من المحرم وهو اليوم الثامن عشر من يوليه ، وضُم اليه من الموالي والاجنـاد عدد كثير ؛ ودخل أرض المشركين فنكى وغنم وسبى وخرج من ارض العدو بالمسلمين سالمين غانمين .

وفيها ولي عبد الحميد بن بسيل الخزانة .

وفيها غزا اسحق بن محمد القرشي الى كورة تدمير فافتتح حصن اوريولة واستصلح احوال أهل الكورة .

وفيها ولي فطيس بن اصبغ الخزانة ولايته الاولى .

وفيها غزا الحاجب بدر بن احمد الى مدينة لبلة فحاصرها وافتتحها يوم الاثنين لعشر بقين من شهر رمضان .

وفيها عُزِل عبد الملك بن جهور عن الكتابة ووليها عبد الحميد بن بسيل ، ولم يطل امد ولايته ثم اعيد اليها عبد الملك بن جهور .

وفيها ولي اسمعيل بن بدر العرض .

وفيها نقل علي بن حسين عن خزانة السلاح الى خطة العرض لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر .

وفيها ولي العرض محمد بن عبد الله بن مضر .

وفيها توفي منذر ابن الامام المنذر رحمه الله سلخ شعبان ، وكان مولده بعد موت ابيه الى ستة اشهر ؛ وعبد الملك بن حوزة القرشي يوم الثلثاء لتسع خلون من ربيع الآخر ، واخوه الاحدب ، وكان يتنجم ، في عقب ربيع الآخر ؛ والعارض صاحب المواريث قند مولى امير المؤمنين الناصر يوم الثلثاء لثلاث خلون من رجب ، فولي مكانه المواريث اسمعيل بن بدر . وتوفي المؤدب محمد

ابن ارقم يوم الجمعة لست خلون من رجب ؛ وفيه توفي الولد محمد ابن امير المؤمنين الناصر رحمه الله والولد سليمان الاكبر.

وفي عشر خلون من شوال من هذا العام ولد الولد أبو مروان عبيد الله شقيق أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله أيّده الله. وفيها توفي الفقيه الزاهد أبو عبد الله محمد بن أحمد الزراد لاربع خلون من جمادى الاولى، مولده سنة ٢٤٢، وكان قد روى عن ابن وضاح. وتوفي الفقيه المحدث طاهر بن عبد العزيز الرعيني. وتوفي أبو القاسم محمد بن عبد السلم بن قلموق ليلة الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر، وكان نبيلاً مرسلاً حسن الخط، وولي الخزانة، وكان له لسان وبيان.

وفي سنة ٣٠٥ غزا بالصائفة الى دار الحرب احمد بن محمد ابن أبي عبدة الوزير القائد، وفصل يوم الاثنين لعشر خلون من صفر، وخرج معه طبقات الناس من المجاهدين وأهل الديوان، وحشد اليه رجال الثغر، فدخل ارض العدو في جمع كبير ونازل حصن قاشتر مورش لاربع عشرة ليلة خلت من ربيع الاول ؛ وجدّ المسلمون في محاربة المشركين حتى كانوا قد اشرفوا على الظفر بمن كان في الحصن، فانحشدت النصرانية من جميع جهاتها ممدّين لكفرتهم ومجلبين على المسلمين بخيلهم ورَجْلهم، فتداعى بعض أهل المداهنة في الدين من أهل الثغر الى اظهار الهزيمة،

وجرّوها على المسلمين ، فانهزم كثير منهم ، وثبت القائد أحمد
ابن محمد بنفسه ، وأظهر الصبر ودافع مدافعة الموطّن ، وقيل
انه كان قد اعتقد مذهباً في طلب الشهادة ، فاستشهد لأربع
عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ؛ واستشهد من المسلمين معه
من آثر الشهادة ورغب عن خزي الفرار ، ولم يولّ المشركين
دبراً ولا أراهم نكوصاً ولا فراراً ؛ وانعقد سائر أهل الجيش
وصاروا يداً واحدة ، فسلموا وخرجوا الى أرض المسلمين
بدوابهم واثقالهم وابنيتهم .

وفيها غزا اسحق بن محمد الوزير الى مدينة قرمونة ، فحاصر
فيها حبيب بن عمر وضايقه واخذ بخنقه ، ثم خرج اليها الحاجب
بدر بن احمد فتمادى على حصارها حتى فتحها قسراً ودخلها يوم
الخميس لخمس خلون من ربيع الآخر .

ذكر موت اللعين عمر بن حفصون

وفي هذه السنة هلك عمر بن حفصون عميد الكافرين ورأس
المنافقين وموقد شعل الفتنة وملجأ أهل الخلاف والمعصية ،
فعُدّ هلكه من أسباب الاقبال وتباشير الصنع وانقطاع
عَلق المكروه .

وفيها افتتحت ابذة البيرة ، وهي المعروفة بابذة فروة ،

وكان فيها سليمان بن عمر بن حفصون ، فاستُنزل عنها وقدم به قرطبة يحيى بن اسحق في شوال ، فأنزل وتُوسع له .

وفيها ولي الوزارة عبد الملك بن جهور يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من شوال .

وفيها توفي سعيد بن عثمان بن سليمان الفقيه العناقي في عقب المحرم بفويش .

وفيها توفيت البهاء بنت الامام عبد الرحمن بن الحكم رحمه الله في رجب فلم يتخلف احد عن جنازتها .

وتوفيت للناصر (رضه) ابنة تسمى بعائشة .

وفيها توفي سعيد بن عبد الوارث الايسر وكان من اهل الشجاعة والغَنَاء في الخدمة . وتوفي الفقيه محمد بن ابرهيم المحدث الحجازي . وتوفي عمر بن احمد بن فرج وكان كاتب الرأي وولي السوق .

وفي هذه السنة حشد اردون بن اذفنش وشانجه بن غرسية صاحب النصرانية بجليقية وبنبلونة وخرجا في جموعهم واحتفال من كفرتهم الى مدينة ناجرة بالثغر الاقصى، فنزلا عليها في عقب ذي الحجة واقاما عليها ثلاثة ايام ، وعاثت النصرانية في ذلك الثغر وافسدت الزروع، ثم تنقلتْ الى تطيلة وبلغ العدو الى نهر كالس وجوائز مسقيرة ووادي طرسونة، وخلف شانجه نهر ابره ، وقاتل

حصن بلتيرة وقهره على أهل الربض ، واحرق المسجد الجامع فكان ذلك مما احفظ النـــاصر ( رضه ) وحركه لمجاهدتهم والانتصار منهم على ما سيأتي ذكره .

وفي سنة ٣٠٦ كان غزاة الحاجب بدر بن احمد الى دار الحرب، وهي غزاة مطونية،وكان امير المؤمنين الناصر(رضه) لما اتصل به تطاول المشركين الى من كان بازائهم من أهل الثغور بامتناع الصوائف عن غزوهم والايغال في بلادهم بالحرب المتقدمة الذكر احفظه ذلك وأذكى عزمه واكد بصيرته في مجاهدة اعداء الله واعداء دينه في هذا العام ، فأمر بالاحتفال في الحشد وجمع الرجال والتكثير من الاجناد والفرسان الابطال ، وعهد الى حاجبه بالغزو بنفسه في الصائفة ، ونفذت كتبه الى أهل الاطراف والثغور بالخروج اليه والدخول في معسكره والجد في نكاية أهل الكفر والايقاع بهم في واسطة بلدهم ومجتمع نصرانيتهم .

ففصل الحاجب بالجيوش يوم الثلاثاء لخمس بقين من المحرم، وتتامّت اليه العساكر في أقرب ثغور المسلمين ودخل بهم دار الحرب ، وقد انحشد المشركون وتجمعوا من اقاصي بلادهم واعتصموا بأمنع اجبلهم ، فنازلهم الحاجب بدر بن احمد بأولياء الله وأنصار دينه ، فكانت له على اعداء الله وقائع

اشتفتْ فيها صدور المسلمين وانتصروا من اعداء الله المشركين، وقتل في هذه الغزاة من حماتهم وابطالهم وصُلاة الحروب منهم جُمَلٌ عظيمة لا يأخذها عدّ ولا يحيط بها وصف؛ وكان الفتح يوم الخميس لثلاث خلون من ربيع الاول ويوم السبت لخمس خلون من ربيع الاول في معارك جليلة لم يكن اعظم منها صنعاً ولا أكثر من أعداء الله قتيلاً واسيراً؛ وورد الكتاب بذلك على أمير المؤمنين الناصر ( رضه ) يوم الجمعة لاحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول، فأكثر من شكر الله عز وجل على ما منّ به وفتح فيه، وقُرىء كتاب الفتح في الجوامع وكتب به الى الاطراف.

وفي يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول في العام المؤرخ ولد أبو الاصبغ عبد العزيز بن عبد الرحمن شقيق امير المؤمنين المستنصر بالله ايّده الله.

### غزاة الناصر لدين الله الى بلدة

وفي شهر ذي الحجة من هذه السنة غزا الناصر (رضه) بنفسه مدينة بلدة من كورة رية، فبرز لها يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة وفصل يوم الثلثاء للنصف من ذي الحجة بعد بروزه بستة وعشرين يوماً، وتخلّف في القصر بقرطبة

ولي عهده وقبلة الآمـال من بعده امير المؤمنين المستنصر بالله ابقاه الله، ومن الوزراء موسى بن محمد بن جدير، فلما قرب الناصر (رضه) من مدينة بلدة قدّم من ثقات رجاله واخفّاء اجناده من يمتحن امكان زرعها وموضع المضطرب عليها، فالفى الزرع متأخراً وأتَتْه الانباء بامكان زروع فحص رعين، فرأى التعريج اليه، بعد ان أمر بابتناء صخرة عوزان لتكون موفية على بسيط بلدة، ثم ارتحل رحمه الله الى حصن دوس امانتش فنازله وحاربه حتى افتتحه، ثم نهض (رضه) الى حصن بلدة فاحتلّها يوم الثلثاء لليلة بقيت من ذي الحجة، واحاطت العساكر بها، فتداعى من كان من المسلمين فيها الى النزوع بانفسهم وذراريهم، وذكروا انهم كانوا مغلوبين على امرهم، فامّنهم الناصر وقاتل الكفرة المنغلقين في المدينـة حتى اظفره الله بهم وقتلوا من آخرهم، ومُلكت المدينة وندب فيها الرجال.

ثم انتقل الى حصون رية يتقراها معقلاً معقـلاً، ويفتتح ما مرّ به منها. ونزل على جبل ببشتر فحاصر أهله وقطعُ ثمراتهم واستبلغ في نكايتهم، فسأله جعفر بن عمر بن حفصون قبض رهائنه استيثاقاً من طاعتـه على ان يؤدي من الجباية ما فرض عليه، فأجابه الناصر الى ذلك، وقبضت رهائن جعفر وشيعته وصارت في قبضته وداخل معسكره. ثم قفل الناصر لدين الله

عن جبل ببشتر ودخل القصر لثلاث بقين من المحرم سنة ٣٠٧ وقد استتمّ في غزاته أربعين يوماً .

وفي هذه السنة عهد الناصر بعمل الفوارة ازاء باب القصر المعروف بباب العدل واقامة محراب مصلّى المصارة بقرطبة .

وفيها توفي عبد الله بن كليب بن عبد السلم لخمس خلون من ربيع الآخر .

وفيها توفي للناصر ابن يسمى بمحمد ويكنى بأبي القاسم .

وفيها توفيت رقية ابنة الامام محمد .

وتوفي فيها موسى بن ازهر الفقيه الاستجي لثلاث خلون من ربيع الاول ، وكان من أهل الفصاحة والبيان والخط الحسن .

وتوفي فيها حزب الله بن رباعي بن عبد الله الحشني الزاهد وكانت له رواية .

وفي سنة ٣٠٧ كان احتلال الناصر أمير المؤمنين ( رضه ) بمدينة ببشتر على ما تقدّم ذكره في العام قبله ودخوله قرطبة قافلاً من غزاته في التاريخ المتقدم ذكره .

وفي هذه السنة افتتح حصن طرش ، وكان فيه عبد الرحمن ابن عمر بن حفصون فأسلم الحصن الى رجال أمير المؤمنين الناصر لدين الله ( رضه ) ، ودخل قرطبة فأنزل ووسع عليه ، وكان غير داخل في الحرب والفتنة مدخل ابيه واخوته وانما كان

صاحب كتب ، وكان حسن الخط ضعيف العقل . قال عريب : وقد صار بعد ذلك ورّاقاً .

وفيها ولّى امير المؤمنين الناصر رحمه الله محمد بن عبد الله ابن محمد الزجالي خزانة المال لتسع خلون من شهر رمضان .

وفيها توفي محمد بن احمد بن زياد يوم السبت لاربع عشرة خلت من رجب، وكان جاراً لمحمد بن وضاح الفقيه فاوصى أن يصلي عليه فقام له بذلك ذكر .

وفيها مات محمد بن سليمان بن وانسوس الوزير يوم الجمعة لعشر خلون من شهر رمضان .

وفيها مات حمدون بن بسيل .

وفيها امر الناصر بقتل موسى بن زياد ليلة السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر، وكان قد ولي الوزارة في ايام الامام عبد الله وكثرت مطالبته للناس ورفعه عليهم وتحكّكه بهم ، وكان يجاهر بكراهة امير المؤمنين الناصر ويرفع عليه الى جدّه رحمهما الله ويغري الامام عبد الله برجاله، فحبسه امير المؤمنين الناصر رحمه الله في يوم بيعته ولم يزل محبوساً الى ان امر بقتله، وقُتِل معه حبيب بن عمر بن سوادة وولداه ومحمد بن وليد المعروف بالغليلي، وكانت لهم ذنوب وجرائم أحْرَدَتْه عليهم .

وفي سنة ٣٠٨ كان غزاة امير المؤمنين الناصر (رضه) الى

دار الحرب، وهي غزاة موبش، فبرز رحمه الله لهذه الغزاة يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة سنة ٣٠٧، ثم فصل غازياً من قصر قرطبة يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ٣٠٨، وهو اليوم الثالث من شهر حزيران، وذلك بعد بروزه بثلاثين يوماً، وتخلّف في القصر ولي عهده الحكم أمير المؤمنين المستنصر بالله ايّده الله، ومن الوزراء موسى بن محمد بن جدير، فلما كان في اليوم الرابع من فصوله ونزل بمخاضة الفتح، ورد عليه بها كتاب فتح من قِبَل عامل مدينة الفرج يذكر ان المشركين من أهل جليقية أتوهم في جمع كثير فأغاروا على ما ألفوه في بسيطهم من الدواب والسوام، ثم عرجوا على حصن بقربهم يعرف بالقليعة، فأحدقوا به طامعين في التغلب عليه، فانحشد اليهم جميع أهل المدينة بفارسهم وراجلهم، وواضعوهم القتال بأثبت بصائرهم، فمنحهم الله عز وجل اكتاف الكفرة وأطال أيديهم عليهم، فقتلوا وأسروا كثيراً منهم واتّبعوهم من أول النهار الى آخره، والسيف يعمل فيهم، وبعثوا بجملة من رؤوسهم فاستبشر الناصر رحمه الله بما ورده وتفاءل باسم المحلة التي كان فيها عند ورود الفتح عليه.

ونهض أمّاً لوجهته، والحشود والعساكر تتلاحق به من سائر أقطار الأندلس وجميع جهاتها، ونزل رحمه الله على مدينة

طليطلة، وخرج اليه لب بن الطربيشة صاحبها مبادراً اليه وغازياً معه ، وكان يظهر طاعة وتحتها معصية .

ثم تنقّل رحمه الله في مناقله حتى نزل بمدينة الفرج فنظر لأهلها وعزل بني سالم عنهم اذ شكوا بهم ، واستوزر (رضه) في هذه المحلة سعيد بن المنذر وقدّمه قائداً وضابطاً لمدينة الفرج وأغزاه مع نفسه ، واستعمل على الموضع ابن غزلان القرشي صهره واستقضى عليهم محمد بن مسور الفقيه ، فصلحت احوالهم وعمّ الرضا جميعهم وخرج للجهاد اكثرهم .

ونهض امير المؤمنين الناصر رحمه الله في جيوش تغصّ بها السبل ويضيق بها الفضاء الاوسع حتى احتلّ بثغر مدينة سالم، واظهر رحمه الله التوجُّه الى الثغر الاقصى ، وقدمت المقدمة نحوه ، ثم عرج بالجيوش الى طريق ألبة والقلاع ، وطوى من نهاره ثلاث مراحل حتى احتلّ بوادي دوير، واضطربت العساكر فيه وباتت عليه ، ثم اخرج في صباح تلك الليلة سعيد بن المنذر الوزير في جرائد الخيل وسرعان الفرسان الى حصن وخشمة ، فأغذّ السير حتى قرب من الحصن وسرح الخيل المغيرة يمنة ويسرة ، والمشركون في سكون وغفلة ، اذ كان العلج الذي يلي امورهم قد كاتب امير المؤمنين رحمه الله مكايداً له في ازاحته عن بلده بمواعيد وعدها من نفسه ، فاظهر امير المؤمنين رحمه

الله قبول ذلك منهم واضمر الكيد بهم ، فغشيتهم الخيل المغيرة على حين غفلة واصابوا نعمهم وسوامهم ودوابهم مسرحة مهملة ، فاكتسحوا جميع ذلك وانصرفوا الى العسكر سالمين غانمين .

فلما كان في صباح يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر اندفعت الخيل في اكمل تعبئة واهذب ترتيب واوكد ضبط وابلغ حزم الى حصن وخشمة ، ففرّ عنه الكفرة واخلوه ولاذوا بالغياض الأشِبَة والصخور المنقطعة ، ودخل المسلمون الحصن وغنموا جميع ما فيه واضرموه ناراً ؛ وبات أمير المؤمنين رحمه الله في محلّته على وخشمة ليلة السبت ، ثم رحل عنها في اليوم الثاني الى حصن قاشتر مورش وهي شنت اشتيبن بيضة الكفرة وقاعدتهم والموضع الذي كانوا تعوّدوا فيه الاستطالة على من وردهم ، فلما رأوا ان انصار دين الله قد اطلّوهم واولياءه قد صمدوا نحوهم اخلوا الحصن وخرجوا هاربين عنه ، فدخله المسلمون وغنموا جميع ما فيه ، وخربوا حصن القبيلة المجاور له ، ولم يترك لأعداء الله في تلك الجهة نعمة يأوون اليها ، واضطرب العسكر بشرقي حصن قاشتر مورش .

وبات المسلمون ليلة الاحد بأسرّ ليلة كانوا بها والحمد لله ،

ثم انتقل امير المؤمنين ( رضه ) في صبيحة اليوم الثاني من مكان المضطرب شرقي الحصن الى غربيه ، ولم يكن بين الموضعين الا قدر ميل ، فكسر العسكر في ذلك المكان يوم الأحد متقصّياً لآثار الكفرة ومستميحاً لنعمهم ، ثم ارتحل الى مدينة لهم أولية تعرف بقلونية ، وكانت من امهات مدنهم ، فلم تمرّ الجيوش اليها الا على قرى منتظمة وعمارة بسيطة ، فغنمت جميع ما كان بها وقتلت من ادركت فيها حتى أوفت العساكر على المدينة ، فألفيت خالية قد شرد عنها اهلها الى الاجبل المجاورة لهم ، فغنم المسلمون جميع ما اصابوا فيها وعملت الأيدي في تخريب ديارها وكنائسها ، وكسر الناصر رحمه الله عليها ثلاثة ايام مطاولاً لنكاية المشركين وانتساف نعمهم .

ثم ارتحل رحمه الله من مدينة قلونية يوم السبت لخمس بقين من صفر الى ثغر تطيلة لغياث صريخ المسلمين به ، اذ كان العلج شانجه قد ضايقهم وتردّد بكفرته عليهم ، فاخذ الناصر رحمه الله بالرفق في نهوضه لِئَلا يعنف على المسلمين بحثّ السير مع اتصال سفرهم ، فاستقبل بالجيوش قطع المفاز الاعظم مسايراً لوادي دوير ، وقطع في ذلك خمس محلات حتى احتلّ حوز تطيلة ، ثم قدّم الخيل مع محمد بن لب عاملها الى حصن قلقرة الذي كان اتّخذه شانجه على أهلها ، فلما قصدته الخيل اخلاه من كان فيه وضبطه المسلمون .

ثم نهض رحمه الله الى حصن قلهرة وكان شانجه قد اتخذه معقلاً وثواه مسكناً ، فلما فجأته العساكر اخلاه العلج وزال عنه ، فغنمه المسلمون باسره ، وكسر الناصر رحمه الله عليه يومين حتى خرب جميعه وانتسف كل ما كان حواليه .

ثم رحل بالجيوش يوم الاحد لاربع خلون من ربيع الاول الى دي شره واجاز اليها وادي ابره ، فخرج شانجه من حصن ارنيط في جموعه وكفرته متعرضاً لمن كان في مقدمة العسكر، فتبادر اليه شجعان الرجال تبادُرَ رشق النبال ، فانهزم الكفرة وركبتهم الخيل تقتل وتجرح حتى تواروا في الجبال ولاذوا بالشعاب، وحيز كثير من رؤوس المشركين، فتلقّوا بها امير المؤمنين رحمه الله ولا علم عنده للمعركة التي دارت بينهم وبين اعداء الله ، واضطرب العسكر بهذا الموضع ، وبات المسلمون ظاهرين على عدوهم ومنبسطين في قراهم ومزارعهم .

وورد الخبر على الناصر رحمه الله باجتماع العلجَين اردون وشانجه واستمداد بعضهما ببعض طامعين في اعتراض المقدمة او انتهاز فرصة في الساقة، فأمر الناصر رحمه الله بتعبئة العساكر وضبط أطرافها ، ثم نهض بها موغلاً في بلاد الكفرة ، فتطلّعوا على كدى مشرفة وأجبل منيعة ، ثم تعرّضوا مَنْ كان في أطراف الجيش وجعلوا يتصايحون ويولولون ليضعفوا من

قلوب المسلمين ، فعهد الناصر رحمه الله بالنزول والاضطراب واقامة الابنية ، ثم تبادر الناس الى محاربة الكفرة، وقد اسهلوا من تلك الاجبل ، فواضعوهم القتال واقتحم عليهم حشم أمير المؤمنين ورجاله وأبطال الثغر وحماته يضعون اسلحتهم فيهم ويمطرون رماحهم عليهم حتى انهزم المشركون لا يلوون على مكان مضطربهم ولا يهتدون لوجه منقلبهم ، والمسلمون على آثارهم يقتلون من أدركوا منهم حتى حجز الظلام بينهم .

ولجأ عند الهزيمة أزيد من الف علج الى حصن مويش ، ورجوا التمنع فيه ، فأمر الناصر بتقديم المظلّ وابنية العسكر الى الحصن ، فأحيط به من جميع جهاته وحوربوا داخله حتى تُغلّب عليه واستُخرج جميع العلوج منه ، وقدّموا الى الناصر رحمه الله ، فضربت رقاب جميعهم بين يديه ، واصيب في الحصن والمحلّة التي كانت للكفرة بقربه من الأمتعة والأبنية والحلية المتقنة والآنية ما لا يحصى كثرة ، وأصيب لهم نحو الف وثلثمائة فرس .

وكسر أمير المؤمنين رحمه الله بهذه المحلة أربعة أيام يغير جميع ما حواليها من نعم المشركين وثمراتهم ومزارعهم ، ثم انتقل رحمه الله يوم الاحد لاحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول الى حصن كان اتخذه شانجه على أهل بقيرة ، فألفاه خالياً قد فرّ عنه أهله ، فعهد بهدمه ، ولم يبرح امير المؤمنين رحمه الله

من محلته هذه حتى انتقل الى حصن بقيرة من أطعمة الكفرة الف مُدْي[1] تقوية لأهله .

ثم انتقل الى حصون المسلمين يشكّها وينظر في مصالح اهلها ، فكلما الفى بقربها معقلاً للمشركين هدمه واحرق بسيطه حتى لقد اتصل الحريق في بلاد المشركين عشرة اميال في مثلها ، واجتمع عند الناس من الاطعمة والخيرات ما عجزوا عن حمله ولم يجدوا لها ثمناً تباع به ، وكان القمح في العسكر تبذل ستة اقفزة بدرهم فلا يوجد من يشتريه ، فجمعت الاطعمة وادخلت النار اليها حتى احرقت من آخرها .

وقفل الناصر رحمه الله يوم الثلثاء لثلاث بقين من ربيع الاول حتى انتهى الى مدينة انتيسة ، فكسر رحمه الله بها يوماً ووصل رجال الثغر وكساهم وحملهم واذن لهم في الرجوع الى مواضعهم ، وبعث الى قرطبة من رؤوس الكفرة التي اصيبت في المعارك المذكورة اعداداً عظيمة حتى لقد عجزت الدواب عن استيفاء حملها .

ودخل رحمه الله القصر بقرطبة يوم الخميس الثالث عشر من ربيع الآخر وقد استكمل في غزاته هذه تسعين يوماً .

وفي هذه السنة بعد القفل عزل الناصر رحمه الله محمد بن محمد بن أبي زيد عن الشرطة العليا وولاها درّياً مولاه .

---

١ المدي مكيال غير المد .

وفي هذه السنة قُتِل جعفر بن عمر بن حفصون بجبل ببشتر، قتله اصحابه غيلة ، ودخله اخوه سليمان وضبطه .

وفيها ولي العرض عبد الرحمن بن عبد الله الزجالي .

وفيهـا افتتحت المندات (بحرو) قرطبة من كورة رية وبنى حصن قاشتره ذكوان والزمه الرجال والقوة .

وفي هـذه السنة توفي أبو عمرو سعد بن معاذ بن عثمان بن حسان بن يخامر الشعبـاني الفقيه بقرطبة في جمادى الاولى ، وكان معظماً في أهل العلم .

وفيها توفي عبد الغافر بن هاشم بن عبد العزيز .

وفي سنة ٣٠٩ كان غزاة أمير المؤمنين الناصر رحمه الله الى كورة رية ، وهي غـزاة طرش ، وبرز لها رحمه الله يوم الخميس لسبع خلون من ذي الحجة سنة ٣٠٨ ، وهو اليوم العاشر من ايار ، وفصل من قصر قرطبة غازياً يوم السبت لثمان خلون من المحرم سنة ٣٠٩ ، وهو اليوم العاشر من حزيران ، بعد بروزه الى واحد وثلاثين يوماً ، وتخلّف في القصر وليّ عهده أمير المؤمنين المستنصر بالله أطـال الله بقاءه ، فسار ( رضه ) في احتفال من جيوشه وطبقات من رجاله حتى احتلّ على حصن طرش ، وكانت النصرانية قد انحشدت اليه وتحصّنت فيه ، فأحدقت العساكر به من جميع جهاته ، وعهـد بمحاربتهم والتضييق عليهم ونصب

المجانيق على مرتقى تصل منه حجارتها الى الكفرة ، وكانوا في اول المنازلة لهم يبرزون للحرب ويظهرون المدافعة حتى مزقتْهم الحرب وقلّلتْ عددهم وفلّتْ حدَّهم فعاذوا بالاستغلاق في داخل حصنهم .

ثم تمادى التضييق عليهم والحصار لهم حتى اخذهم الجهد واشفوا على الهلاك فخاطبوا أمير المؤمنين ضارعين اليه في تأمينهم على ان يسلموا الحصن ويخرجوا عنه ، فأجابهم الى ذلك وقبل انابتهم ، ودخل رجاله الحصن وخرج عنه جميع من كان من النصرانية داخله ، وهدمت قصابه وألقيت احجارها في النهر ، وبني في موضع الكنيسة مسجد جامع . ونظر الناصر رحمه الله ايام محاصرته بحصن طرش في توجيه القواد والاجناد الى حصن ببشتر وحصن اقوط وجبل الحجارة لمحاربة سليمان وحفص ابني عمر بن حفصون والتضييق عليهم والانتقاص لعددهم ، ثم قفل الناصر رحمه الله من محلّته على حصن طرش يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الاول ، ودخل قصر قرطبة يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت منه ، وقد استتمَّ في غزاته تسعة وستين يوماً .

وفي هذا العام استنزل بنو سعيد بن ناصح بن مستنة من حصون باغة المعروفة بعالية وربرش ، واستنزل موسى

ابن يزيد اخو حمصي من الصخرة التي كان بها، واستنزل بنو مهلب من حصونهم المعروفة بقرذيرة واشبرغيرة وغيرهما وهدم جميعها .

وفي هذه السنة امر الناصر رحمه الله بقتل العاصي ابن الامام عبد الله ومحمد بن عبد الجبار ابن الامام محمد رحمهما الله اذ شهد كل واحد منهما على صاحبه بمطالبة الخلافة ونقض البيعة، وكثرا في ذلك ، وكان لهما غليان، فقتلا ليلة الاربعاء لثلاث خلون من رجب .

وفي ليلة الجمعة لست خلون من رجب مات الحاجب بدر ابن احمد وولي الحجابة موسى بن احمد بن جدير .

وفيها مات محمد بن عبد الله بن أمية الوزير ، وعبد الواحد ابن محمد بن عبد الواحد بن يزيد الاسكندراني في شوال .

وفيها توفي الفقيه محمد بن احمد المعروف بابن الزراد ليلة الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة .

وفي سنة ٣١٠ كان غزو امير المؤمنين الناصر رحمه الله الى كورة البيرة ، وهي غزاة منت روبي ، وبرز لهذه الغزاة يوم الخميس لثلاث خلون من ذي الحجة سنة ٣٠٩، وهو الرابع من نيسان ، وفصل غازياً من قصر قرطبة يوم السبت لعشر خلون من المحرم ، وهو اليوم الحادي عشر من ايار ، بعد بروزه بسبعة وثلاثين يوماً ، وتخلّف في القصر ولي عهده

الحكم المستنصر بالله أبقاه الله ؛ ومن الوزراء أحمد بن محمد ابن جدير . وغزا معه في هذه السنة الحاجب موسى بن محمد ، فسار ( رضه ) حتى احتـــلّ بحصن منت روبي يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة بقيت من المحرم . وكان جبلاً ممتنعاً بعيد المرام كثير السكان من عجمة قد لاذت به وامتنعت فيه ، وهو متوسط بين كورة البيرة و كورة جيان وعلى طريق مدينة بجانة ، فكان من سلك تلك السبيل من وارد أو صادر لا يسلم من عادية ذلك الحصن . وكانوا يسفكون الدماء ويسلبون الأموال ويُخيفون السبل ، فأقام عليهم أمير المؤمنين رحمه الله خمسة وثلاثين يوماً محاصراً حتى أباد كثيراً منهم وقطع ثمراتهم وغيّر نعمهم .

ثم أبقى على الحصن من رجاله وأجناده من استمرّ على محاصرتهم حتى كان لا يدخل اليهم داخل ولا يخرج عنهم خارج . وتقدّم عنه الى حصون كورة البيرة ، فعمّ جميعها بالنكاية ، ثم عرج منها الى كورة رية ونزل على جبل ببشتر يوم السبت لسبع خلون من ربيع الاول ، فحاربهم اشدّ محاربة ونكاهم ابلغ نكاية وقطع ما كان بقي في اسناد الجبل من الثمار وارتب لمحاصرتهم أكابر القواد .

وقصد رحمه الله كورة تاكرنا فاستصلح أحوال أهلها

واستوثق من طاعتهم ونقـل من رأى نقله الى قرطبـة من وجوههم ، ثم وصل نظره فيها بالنظر في كورة موررور ، وطالع في طريقه كورة اشبيلية وقرمونة ، وقفل بعد احكامه جميع الامور في تلك الجهات فاحتـل قصره يوم السبت لست خلون من ربيع الآخر ، وقد استكمل في غزاته هذه خمسة وثمانين يوماً .

وفي هـذه السنة ولي الوزارة ابو سعيد عبد الملك بن محمد الشذوني يوم الاربعـاء لثلاث عشرة ليـلة بقيت من شهر ربيع الآخر ، وولي فيها الوزارة ايضاً يحيى بن اسحق وكانت بيده الشرطة الصغرى ، فوليها مكانه محمد بن محمد بن أبي زيد وذلك يوم السبت لخمس بقين من شوال .

وفيها عزل افلح بن عبد الرحمن عن الخيل ، ووليها صاحب المدينة محمد بن عبد الله الخروبي اياماً يسيرة ثم اعيد اليها افلح .

وفيهـا ولي احمد بن موسى بن جدير ونُمارة بن سليمان الخزانة في شوال .

وفيها ولي احمد بن عبد الله الخروبي العرض .

وفيها مات سالم بن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن أبي الفقيه وعبد الله بن أبي الوليد ابن اخت محمد بن الصفار الفقيه ، وكانت له رواية عن سحنون ومحمد بن عبد الحكم .

وفيها توفيت علية بنت الامام عبد الرحمن بن الحكم رحمه الله .

وفي سنة ٣١١ كان غزو امير المؤمنين النـــاصر لدين الله (رضه) الى مدينـة ببشتر وحصون رية، فبرز لغزاته هذه يوم الخميس لست خلون من ذي الحجة سنة ٣١٠ وهو اليوم السابع والعشرون من آذار، وفصل غازياً يوم الاثنين مستهل المحرم وهو اليوم الثاني والعشرون من نيسان بعد بروزه بخمسة وعشرين يوماً، فسار رحمه الله حتى احتلّ على حصن ببشتر، وبدر سليمان بن عمر بن حفصون بمكاتبتـه راجياً لصرف عزمه عنه، فأعرض الناصر عن مجاوبته وقبول ما تعرّض له من مكايدته، وأخذ بالجدّ والعزم في محاصرته وقَطْع باقي ثمراته وكرماتـــه واصطلام معايشه، وأقام عليه سبعة أيام يصل الغـدو بالرواح في التغيير والتدمير والنكاية والاستبلاغ، وفعل كذلك فيما بقي من حصونه، كحصن قرذارش، وحصن بجـارش، وحصن الجش، وشنت بيطر، فخرج اليه حفص بن عمر بن حفصون وتبرّأ من حصن قامرة، فأمّنه أمير المؤمنين الناصر رحمه الله، وأقرّه في بعض حصونه لما رآه من السياسة ووجه المصلحة فيه وفي سليمان أخيه، ثم تقدّم الى مرسى شاط والمنكب وحصن مشكريـل ونهض بعساكره في وعر لم يقتحمـه جيش قبله، فاستنزل جميع أهل تلك الحصون واستصلح تلك الجهات.

ثم قصد جبل ببشتر، وقد كان اهله أرادوا الفتـك بسليمان

ابن حفصون وضبطوا القصبة دونه واطلقوا من كان في حبسه وانتهبوا أكثر أمتعته ، ثم انه احتال مع بقية أصحابه حتى دخلوا المدينة وفتحوا له بابها ، فدخل منه متلثّماً واطمع السواد في أموال القائمين عليه ، فثاروا معه وبادروا الى قتل من ظفر به منهم ، فأفنى اكثرهم ، وسلط الله بعض الكفرة على بعض ليمحو آثارهم ، وبقي سليمان بجبل ببشتر مشغولاً بنفسه مرتاباً بمن حوله ، فاحتلّ به أمير المؤمنين مرة ثانية في غزاته هذه ، وذلك يوم الأحد لأربع خلون من ربيع الأول ، فلم يكن لاحد من الكفرة ... عند اضطراب العسكر على ما كانوا تعوّدوه من قبل ، وارتب على الجبل امير المؤمنين من وثق به من رجاله والزمهم مواضع في جميع جهاته ، ثم قفل ودخل القصر بقرطبة يوم السبت لعشر خلون من ربيع الاول ، وقد استتمّ في غزاته تسعة وستين يوماً .

وفي هذه السنة كانت وقيعة بقيرة ومحاصرة اهل بنبلونة لعبد الله بن محمد بن لب حتى تغلّب عليه وعلى من كان معه ، واسرهم العلج شانجه ثم قتلهم ، وكان مع ابن لب في حصن بقيرة مطرف بن موسى بن ذي النون ومحمد بن محمد ابن عمه ووجوه رجالهم ، فذهبوا في هذه الوقيعة باجمعهم ، وشنع الحادث فيها على الناصر رحمه الله ، فاخرج عبد الحميد بن بسيل قائداً الى

الثغر الاقصى بعد ان استوزره، وكان على خزانة المال، فنهض حتى احتلّ الثغر بجيوش كثيفة اخرجت معه وحشدت اليه من الثغر وغيره، فدخل مدينة تطيلة وملكها .

وفيها افتتحت قصبة موررور .

وفيها ولي محمد بن احمد بن جدير خطة العرض وعزل محمد بن محمد بن أبي زيد عن الشرطة الصغرى ووليها يحيى ابن يونس ( القبرني ) .

وفيها توفي عبد الرحمن ابن الامام المنذر رحمه الله، وتوفي جهور بن عبد الملك وهو قائد شذونة .

وفيها قتل عبد الله بن محمد بن مروان الجليقي صاحب بطليوس ، دخل عليه بعض أهل الموضع فقتلوه .

وفيها هلك ارذون بن اذفنش صاحب جليقية وولي مكانه فلويرة .

وفي سنة ٣١٢ كان غزاة أمير المؤمنين الناصر لدين الله ( رضه ) الى دار الحرب الغزوة المعروفة ببنبلونة ، فبرز رحمه الله لهذه الصائفة مبكراً قبل ميقات الصوائف ، اذ احفظه ما دار على بني لب وبني ذي النون بحصن بقيرة، فبرز لغزاته هذه يوم الخميس لليلتين خلتا من ذي الحجة وهو اليوم الثاني عشر من شباط سنة ٣١١ ، وفصل من قرطبة يوم السبت لأربع عشرة

ليلة بقيت من المحرم سنة ٣١٢ وهو اليوم السابع والعشرون من نيسان وذلك بعد بروزه بثلاثة وأربعين يوماً ، فاحتلّ أول خروجه بمحلّة بالش ، وكسر بها يومَيْن متلوّماً على المجاهدين معه من أجناده ورعيته والمحشودين من أقطار كورة ، وتخلّف بالقصر بقرطبة ولي عهده الحكم المستنصر بالله أبقاه الله ، ومن الوزراء أحمد بن محمد بن جدير .

وأمّ الناصر ( رضه ) في أول خروجه كورة تدمير و كورة بلنسية واستصلح أحوال أهلها، واستنزل عبد الرحمن بن وضاح ويعقوب بن أبي خالد التوبري وعامر بن أبي جوشن وغيرهم من مواضعهم التي كانوا متأمرين فيها ومتعاصين عن النزول منها ، وارتب القواد والجيوش على محمد بن عبد الرحمن ابن الشيخ اذ تمنّع من النزول اليه والغزو معه ، وكان بمدينة العسكر من احواز بلنسية ؛ ثم نهض امير المؤمنين الناصر رحمه الله في عساكر كعدد الحصى حتى دخل ثغر تطيلة ، وخرج اليه التجيبيون وغيرهم وتلقّاه عمال الثغر في جنود عظيمة وعدة كاملة ، فدخل رحمه الله بلاد المشركين يوم السبت لاربع خلون من ربيع الآخر بانفذ عزم واوكد حزم واقوى نية في الانتقام لله عز وجل ولدينه من الارجاس الكفرة الانجاس ، فحلّ من اول بلدهم حصن قلقرة ، وكان العلج شانجه قد اخلاه ، فامر بهدمه واحراق جميع ما فيه .

ثم تنقل عنه الى موضع يعرف ببيطرة ألتة ، وكانت حوله حصون مانعة ، فاخلاها الكفرة وخلـَّفوا في بسيطها جميع امتعتهم واطعمتهم اذ عوجلوا عن انتقالها ، ولجأ علوج منهم بأهلهم وولدهم الى ثلاثة غيران في شفير جرف على النهر ، فلم يزل اهل العسكر يتعلقون اليهم فيها ويتسورون عليهم من اعاليها حتى فتح الله تلك الغيران عليهم ، فقتلوا العلوج وسبوا الذراري وغنموا الامتعة . وكان ذلك اول ما افاءَ الله عز وجل على اهل العسكر وغنـَّمهم اياه ، وهدمت حصون الكفرة التي كانت في تلك الجهة ولم يبق منها صخرة قائمة .

ثم تنقـَّل رحمه الله من هذه المحلـَّة بعد ان كسر بها يوماً الى حصن فالجش ؛ فاضرمت ارباضه ناراً واستقصيت زروعه ونعمه انتسافاً وتغييراً ، ثم ارتحل ( رضه ) الى حصن بقالية ، وكان من حصونهم الشريفة ، فالفيت الاطعمة به كثيرة والنعم فيه فائضة ، فانتهب المسلمون جميع ذلك ودأبوا في تخريب الديار وتغيير الآثار . ثم ارتحل منه الى حصن قرقستال على وادي ارغون ، ثم استعزم الناصر ( رضه ) على الايغال في بلدهم والتوصـُّل الى موضع قرارهم ومجتمع كفارهم ونكايتهم في عقر دارهم ومكان امنهم ، فأخذ في الحزم ، وعهد بضبط مجنبات العسكر ، وتقدَّم من فج المركوير في اتمّ تعبئة واهذب

ترتيب ، وذلك يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر ، فدخلت الجيوش مواضع لم تُدخَل قبل ذلك، وأحرقت الحصون وهدمت الديار، حتى نزل بقرية بشكونسة التي اليها ينسب العلج ومنها أصله ، فهدمت مبانيها واحرق كل شيء كان فيها، فجمع العلج شانجه كفرته واستمدّ بنصرانيته من كل مكان طمع أن يغاث منه ، حتى توافى له جمع رجا ان يكافح المسلمين به ، فتطلعت له خيل على بعض الاجبل المنيفة على العسكر وذلك ليلة الاربعاء للنصف من شهر ربيع الآخر .

فأمر الناصر رحمه الله بالتعبئة للرجال وشكّ العسكر واتقان النظر، وصابح النهوض والتقدّم لوجهته واثقاً بالله عزّ وجلّ ومتوكلًا عليه ، فسلكت الجيوش بين اجبل شامخة وشواهق منقطعة ، ورجا اعداء الله مع ذلك بانتهاز الفرصة والاعتراض للمسلمين في مجنبة أو ساقة ، فلما توسّط الجيش بعض تلك المواضع المتضايقة ، على واد يعرف بوادي هيغة ، هبطت للمشركين خيل من الاجبل ، فجالت بينهم وبين أهل العسكر مناوشة يسيرة ، فعهد أمير المؤمنين رحمه الله برفع المظلّ والتعبئة للحرب ، ونهض المسلمون الى اعدائهم نهوض الاسود ، فعبروا النهر اليهم وصمموا بالحملة عليهم حتى اقتلعوهم عن موضعهم وهزموهم ووضعوا سيوفهم ورماحهم فيهم ، حتى

اضطرّوهم الى مرتقى وعر وجبل منقطع ، فتقحّم المسلمون عليهم وسهل الله وعره لهم فقتلوا جملة منهم وبُسطت الارض باجسادهم ، واستمرّت الخيل المغيرة في بسيطهم فاصابت الغنائم والسوام وضروب النعم ، وانصرفوا سالمين لم يصب منهم غير يعقوب بن أبي خالد التوبري ونفر يسير من الحشم فازوا بالشهادة وختم الله لهم بالسعادة ، واجتمع من رؤوس المشركين عدد عظيم مُنع من البعثة بها الى قرطبة بمنع الطريق وبعد المسافة .

ثم ارتحل امير المؤمنين ( رضه ) الى محلّة لنبيرة ثم الى محلة لغين ، والجيوش لا تمرّ بموضع الا اصطلمته وتعلّفت زروعه وهدمت قراه وحصونه ، الى ان بلغ ( رضه ) مدينة بنبلونة فوجدها خالية مقفرة ، فدخلها رحمه الله وجال بنفسه عليها وأمر بهدم جميع بنيانها وتخريب كنيسة الكفرة بها التي كانت بيعتهم وموضع نسكهم ، حتى لقد جعلت قاعاً صفصفاً .

ثم تنقّل ( رضه ) منها الى صخرة قيس وكانت بها كنيسة قد شيّدها العلج واتقنها وطاول الايام بالتأنّق فيها والتحصين لها ، فلما حلّت بها الجيوش واخذت في هدمها تطلّع الكلب من جبل كان أسند اليه طامعاً في حمايتها ، فداخله اولياء الله باسرع من لحظة الطرف حتى اقتلعوه مهزوماً مولياً ، وصرع

من فرسانه ووجوه أصحابه من كان عنه محامياً ودونه مستهلكاً، وأخربت الكنيسة وما أحاط بها ، وعادت القرية ناراً موقدة .

ثم تنقّل منها الى محلّة أسارية ، وكان في ممره اليهـا فج يقال له هرقلة ضيق المسلك وعر المجاز ، فرام الكفرة انتهاز فرصة من المسلمين فيـه ، فأمر الناصر رحمـه الله بالتعبئة والاحتراس ونهـض على اتمّ التحفّظ والضبـط حتى جاوزت العساكر ذلك المضيق وخرجت عنه .

وتظاهر اعداء الله لأهل الساقة متسنّمين لأعلى جبل، فنهضت الخيـل اليهم وهزمتهم وقتلت طائفة منهم وانقشعوا مدبرين لا يلوون ولا يعرجون ، وتقدّم المسلمون بغرة القهر وسرور النصر حتى نزلوا محلة اسارية .

ثم ارتحل الناصر رحمه الله منها الى محلته بقرية منير ، ثم تنقّل الى محلة بذي شره المجـاورة لشنت اشتيبن ، وكان موضـع استركاح[1] العلج شانجه ومكان طمأنينته ، فحلّت الجيوش بهذه المحلة يوم الأربعاء لثمان بقين من ربيع الآخر . وتظاهر الكلب في أعلى الجبل قد جمع جموعه وحشد رجاله واستجاش بمدود أتَتْه من ألبة والقلاع طامعاً في معارضة المسلمين، يقيم بها عذره عنـد كفرته وأهل ملـّتـه ، فناشبهم المسلمون الحرب والتحم بينهم القتال ، فهزم الله جموع المشركـين وانقبضوا الى اعلى

---

[1] استركاح : استناد واعتماد .

جبلهم وتفرّقوا في شَعْراء[1] متّصلة بهم ، وبات اهل العسكر في محلتهم ، وانبسطت العلاقة في القرى فانتسفت ما فيها .

ثم انتقل الناصر الى محلته بموضع يعرف بربية سرته وهو يريد قلهرة ، وتظاهر العلج بجموعه مرة ثانية في الموضع الذي كان مشرفاً فيه ومعتصماً به ، فتبادر اليه الفرسان ، فانهزم اقبح انهزام وقتل له رجال وعقرت له خيل .

وتنقّل الناصر رحمه الله الى حصن قلهرة فألفاه خالياً وامر بهدمه . ثم تنقّل الى حصن بلتيرية ، وهو من حصون المسلمين المجاورة للمشركين ، فعهد بادخار الاطعمة عندهم وتفريق الاموال فيهم ، واحتَلّ بمدينة تطيلة وكسر بها ، وذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من ربيع الآخر ، ورحل عنها قافلاً ، وجعل مروره ببني ذي النون . وكان يحيى بن موسى قد استراب وتوقّف عن الجهاد ، فدارت عليه معرّة الجيش حتى اذعن منقاداً وخرج خائفاً وجلاً ، وتلقّى امير المؤمنين معترفاً بذنبه فاوسعه عفوه . وفعل مثل ذلك يحيى بن أبي الفتح ابن أخيه . ودخل امير المؤمنين رحمه الله قرطبة يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الاولى ، وقد استتمّ في غزاته هذه اربعة اشهر .

وفي سنة ٣١٣ كان غزاة أمير المؤمنين الناصر رحمه الله الى كورة البيرة ومنازلته حصن اشتبين واستصلاحه الاحوال بكورة

---

١ الشعراء : الارض الكثيرة الشجر .

جيان وما والاهـا ، فبرز رحمه الله لهـذه الغزاة يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ٣١٣، وهو اليوم السابع من نيسان ، وفصل غازياً يوم الخميس لثمان بقين من صفر، وهو اليوم السابع من ايار ، وذلك بعد بروزه باثنين واربعين يوماً ، وتخلّف في القصر بقرطبة ولي عهده الحكم المستنصر بالله ، ومن الوزراء احمد بن محمد بن جدير، وعلى المدينة محمد بن عبد الله الخروبي، واستقدم سعيد بن المنذر الوزير من كورة تدمير ليغزو معه ، واخرج محمد بن اسحق مديلاً له ، فاحتلّ في طريقـه بحصن المنتلون من كورة جيان ، وأنزل عنه عبد الله بن سعيد ابن هذيل، وعزله عن سائر الحصون التي كانت بيده، واستعمل على الجميع عبد العزيز بن مسلمة وعبد الله بن عمرو بن مسلمـة ، وعهد بهدم أكثر حصون جيان وقصابهـا ، اذ كانت مستركَحاً لاهل الشر والخلاف وضرراً على أهل الطاعة والاستقامة .

وكذلك ما فعل بحصون البيرة حتى احتل بحصن اشتيبن يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول ، وكان اهله على مكايدة باطنة وإظهار طاعة تحتها مداهنة، فعرض عليهم الناصر النزول عـن حصنهم الى البسيط حوله ، فاضطربوا في امرهم ولاذوا عن رشدهم ، فاحتلت العساكر بهم ، وأخذ بالجد والعزم في محاصرتهم ، واحيط بهم من جميع جهاتهم وبنيت عليهم

ستة حصون يقابل بعضها بعضاً حتى عادوا في مثل حلقة الخاتم ضيقاً وحصاراً .

وبقي الناصر على محاصرتهم خمسة وعشرين يوماً ، وهو يدأب مع ذلك في استصلاح امور رعيته وتأمين سبلهم وقطع المخاوف عنهم ، ويشخص بنفسه إلى كل جهة من جهاتهم ؛ وفي هذه الغزاة استجلب الناصر وليّ عهده وعماد انسه الحكم المستنصر بالله من قصر قرطبة إلى معسكره ، وهو في ذلك الوقت ابن عشرة أعوام وثمانية أشهر ونصف ، اذ استوحش له وتاقت نفسه الكريمة اليه ، فقدم عليه ابقاه الله بهذه المحلة مع ثقات رجاله وفتيانه ، واستخلف له في القصر اخوه عبد العزيز لتنفذ الكتب باسمه الى وقت منصرفه ؛ فأنس رحمه الله به وسرّ بقربه ، وقفل الناصر من هذه الغزاة يوم الجمعة لست خلون من ربيع الآخر ، بعد ان ارتب الوزيرَيْن سعيد بن المنذر وعبد الحميد بن بسيل على حصن اشتيبن محاصرين لاهله في كثف من الحشم ؛ ودخل القصر بقرطبة يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر ، وقد استتم في غزاته خمسين يوماً .

وفي هذه السنة ولي خلف الفتى الكبير الطراز ، وفي شوال منها ولي يحيى بن يونس ( القبرني ) السوق اذ اعتلّ احمد بن

بهلول علة ابطلته عن الحـركة ، ثم ولي يحيى بن يونس المواريث في ذي القعدة، وولي عبد الله بن محمد الخروبي خزانة السلاح .

وفيها صلب على الرصيف بباب قصر قرطبة الرامي المعروف بأبي نصر، وكان قد ذهب به الصوت في الرماية والاصابة ايام عمر بن حفصون ، فصلب ثم رمي بالنبل حتى اصيبت جوارحه ومقاتله ، وبقي في الجزع اياماً ثم احرق . وفيها توفي ابن للناصر يسمى بمحمد .

وفيها مات ثابت بن حزم العوفي من اهل سرقسطة في شهر رمضان، وكان كثير الرواية بصيراً باللغة ، وله رحلة سمع فيها من بعض الفقهاء بالمشرق .

وفيها هلك فلويرة صاحب جليقية ، وولي اذفنش ثم ترهب وولّى اخاه رذمير مكانه في سنة ٣١٩

وفي سنة ٣١٤ كان اغزاء الناصر رحمه الله قواده بالصوائف، ولم يكن له غزو بنفسه في هذا العام لمحل كان فيه وقحط شديد ، فاخرج عبد الحميد بن بسيل الوزير الى الثغر الذي كان به بنو ذي النون فاوقع بهم، اذ كانوا قد مرقوا عن الطاعة واكثروا الفساد في الارض والاستطالة على من جاورهم من المسلمين، فقتل منهم من استحق القتل ، وافتتحت مدينة سرتة،

وكان اهلها على خلاف وخلعان للطاعة، فدرّت جبايتها من ذلك الوقت ، وصارت بسبيل سائر الكور المستقيمة الاحوال .

ثم صدر عبد الحميد بن بسيل من ذلك الثغر وقد استقامت على يديه احوال اهله، فاخرجه الناصر الى مدينة ببشتر محاصراً سليمان بن حفصون في جملة القواد المحاصرين له، واخرج رحمه الله افلح صاحب الخيل مولاه الى سليمان بن حفصون ايضاً ، فنازله وحاصره وفتح حصن منت روبي ، وكان من أمنع معاقله .

### ذكر قتل سليمان بن حفصون

وفي هذه السنة قتل سليمان بن عمر بن حفصون ، وكان قد ركب وخرج عن مدينة ببشتر معارضاً لبعض المغاورين له من العسكر ، فتبادرت اليه الخيل من الجهة التي كان فيها عبد الحميد الوزير ، فصُرع سليمان عن فرسه واحتاز رأسه سعيد ابن يعلى العريف المعروف بالشفة، وكانت قد واقعته قبل ذلك مطاعنة على يدي محمد بن يونس العريف وبعض بني مطاهر العجم ، وقطعت يداه ورجلاه ، وذلك يوم الثلثاء مستهل ذي الحجة من سنة ٣١٤ ، وبعث الوزير عبد الحميد برأسه وجثته ويديه مبعضة مفترقة ، فرفعت على باب السدّة بقرطبة في خشبة عالية ؛ وكان الفتح فيه عظيماً ساراً لجميع المسلمين.

وفيها ورد الخبر بهلاك العلج شانجه صاحب بنبلونة .

وكان القحط في هذا العام شديداً والمحل عاماً ، واستسقى بالناس احمد بن بقيّ صاحب الصلاة مراراً، ونفذت الكتب الى الكور في الاستسقاء ، فوافى نزول الغيث رفع جثة سليمان بن حفصون على صليبه على باب السدة، فقالت في ذلك الشعراء اشعاراً كثيرة منها :

سحابٌ يمورُ الغيثُ منها ، وديمةٌ
دماءُ العدى تهمي بها ، وتمورُ

غياثان فينا واكفانِ من الحيا ،
ولكنّ ذا رجس وذاك طهور

وذاك نجيع ليس يقبله الثرى ،
وذا ناجع يسري به ويغور

تدنّست الدنيا به ، فتطهّرت
بطون لها من رجسه وظهور

وفيها ولي محمد بن عبد الله الزجالي الوزارة يوم السبت للنصف من جمادى الاولى .

وفيها عزل اسلم بن عبد العزيز عن قضاء الجماعة بقرطبة لعلّة اقعدته، وولي احمد بن بقي القضاءَ مع الصلاة . وفيها ولي

احمد بن عبد الوهـاب بن عبد الرؤوف خزانة المـال ؛ وولي عبيد الله بن عبد الله الزجالي العرض ؛ وولي خزانـة السلاح حسين بن محمد بن عاصم واحمد بن يحيى بن حسان وعبـد الوهاب بن محمد بن عبد الرؤوف .

وفيها توفي اصبغ ابن الأمير المنذر . وفيها توفي محمد بن عمر بن لبابة الفقيه ليلة الاثنين لخمس بقين من شعبان ، وكان مولده مستهل رجب سنة ٢٢٦، وكان عالماً بالفتيا ،حسن الدين مستقيم الحال من حداثته الى وقت وفاته .

وفيها توفي محمد بن عبد الله الحروبي صاحب المدينة مستهل صفر، وولي المدينة مكانه عيسى بن احمد بن ابي عبدة بعد وفاته الى ثمانية ايام .

وفي سنة ٣١٥ كان غزو أمير المؤمنين النـاصر (رضه) الى مدينة ببشتر لمحاربة حفص بن عمر بن حفصون ، فبرز لهـذه الغزاة يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة ٣١٥، وهو اليوم التاسع عشر من نيسان ، وفصل غازياً يوم الاثـنين للنصف من شهر ربيع الآخر، وهو اليوم الحادي عشر من ايار، وذلك بعد بروزه باثنين وثلاثين يوماً ، واغزى مع نفسه وليّ عهده الحـكم المستنصر بالله ، وهو ابن ثنتي عشرة سنة وتسعة اشهر ونصف ، وتخلف في القصر عبد العزيز شقيق ولي العهـد ،

ومن الوزراء احمد بن محمد بن جدير ، وعلى المدينة احمد بن عيسى مخلفاً لابيه عيسى بن احمد الوزير ، فنزل الناصر بجيوشه وخيله وعدده على مدينة ببشتر يوم الثلثاء لسبع بقين من ربيع الآخر ، وزاد عزماً في البنيان عليها والجد في محاصرتها ، وارتب بها من القواد من يلازمها .

وتنقّل عنها الى مدينة الخنش ، فاستنزل من كان فيها واخلاها من ساكنيها وامر بهدم اسوارها وتعفية آثارها ، وباشر ذلك ولي عهده مع الحاجب موسى بن محمد مولاه .

ثم امّ الناصر حصن شنت بيطر وما قرب منه من الحصون ، فنازلهم وقطع ثمارهم وكرومهم واصطلم معايشهم ؛ ثم تنقّل بجيوشه الى مدينة مالقة ، فنظر بمثل ذلك في الحصون المجاورة لها ، وولّى مدينة مالقة عبد الملك بن العاصي ، والزم معه جملة من الحشم لمغاورة أهل تلك الحصون ، وامره بحمل السيف على كل داخل اليهم او خارج عنهم .

ثم صدر الى مدينة ببشتر فاضطرب عليها ثانية من ناحية لماية ، ورأى ان البنيان بها من انكى الأمور للكفرة وأشدّها عليهم ، فأمر ببنيان صخرة للأول تعرف بالمدينة ، وقدّم لذلك احمد بن محمد بن الياس ، وصرف اليه كورة تاكرنا وما اتصل بها من لماية ، والزم عبد الحميد بن بسيل الوزير مكاناً يشرف منه على

مجمع الطرق ، ويحترس فيه بالمتيسرين من اهل العسكر في العلافات وطلب المرافق، والمختلفين اليه من كل موضع، واقام بمحلته هذه سبعة ايام لم يدع فيها للكفرة مرتفقاً ولا معاشاً .

ثم انتقل الى محلة طلجيرة ، فعهد بالبنيان فيها واقام بها حتى كمّل بها شأن مدينة الزمها سعيد بن المنذر الوزير. ورأى الناصر صرف وليّ عهده الى قصر قرطبة ايثاراً لصيانته ومعاودته الى تأدّبه ، فوجّهه مع ثقات رجاله وفيهم دُرّي بن عبد الرحمن صاحب الشرطة العليا ومحمد بن احمد بن جدير العارض، فبلّغوه القصر ، وانصرفوا عن باب السدة الى العسكر ، ولم يتقدم احد منهم الى داره ولا دخل منزله ولا رأى أحداً من اهله .

ثم قفل رحمه الله يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة ، ودخل قصر قرطبة يوم الثلثاء لعشر بقين من جمادى الآخرة ، وقد استكمل في غزاته هذه خمسة وستين يوماً .

وفي هذه السنة اغزى الناصر دري بن عبد الرحمن صاحب الشرطة مولاه الى ابنَ الزيات، فلما قرب منه خرج هارباً، وظفر دري في وجهته هذه بهائل قائد كان لابن حفصون وباصحاب له، فاسرهم واوثقهم بالحديد وقدم بهم قرطبة، فصلبوا في المرج الذي بين يدي القصر، وذلك يوم الاحد لسبع خلون من شهر رمضان.

وفيها ولي فطيس بن اصبغ الوزارة وعيسى ابنه الخزانـة وعبد الله بن محمد بن عبد الله الخروبي العرض وعبيد الله بن عبد الله الزجالي المواريث .

ذكر افتتاح مدينة ببشتر

ولما اشتـدّت المحاصرة عـلى حفص بن عمر بن حفصون بمدينة ببشتر،واحيط به بالبنيان عليه من كل جانب، ورأى من الجـدّ والعزم في أمره ما علم ألاّ بقاء له معه في الجبـل الذي تعلـّق فيه ، كتب الى امير المؤمنين الناصر يسأله تأمينه والصفح عنه على ان يخرج عن الجبـل مستسلماً لأمره راضياً بحكمـه ، فأخرج اليه الناصر الوزير احمد بن محمـد بن جدير وتولى هو وسعيد بن المنـذر انزاله من مدينة ببشتر ودخلها رجال أمير المؤمنين الناصر وحشمه يوم الخميس لسبع بقين من ذي القعدة من السنة، واستنزل حفص وآله وجميع النصارى الذين كانوا معه وقدم بهم احمد بن محمد الوزير الى قرطبة مع أهلهم وولدهم ، ودخلها حفص في مستهل ذي الحجـة ، وأوسعه أمير المؤمنـين صفحه وعفوه وصار في جملة حشمه وجنده . وبقي الوزير سعيد ابن المنذر بمدينة ببشتر ضابطاً لها وبانياً لما عهد اليه من بنيانـه فيها واحكامه منها .

وفيها مات احمد ابن الأمير محمد رحمه الله بمدينة استجة .
وتوفي الوزير محمد بن عبد الله الزجالي في شعبان، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ؛ وتوفي العارض محمد بن احمد بن جدير في آخر هذا العام ، وكان حدثاً قد توجه ذكره وتمكن محلّه ، فعظم اسف الحاجب عمه والوزير أبيه عليه، وولّى الناصر خطته اخاه موسى بن احمد بن جدير، وهو صغير لم يبلغ الحلم، تعزية لأبيه وعمه عن المفقود واحياء لذكره .

وفيها مات ابو سليمان داود بن هذيل بن منان من أهل طليطلة بقرطبة، وكان روايته للنسائي وغيره، وحمل عنه الحديث جماعة من أهل قرطبة .

وفي سنة ٣١٦ كان غزاة امير المؤمنين الناصر الى مدينة ببشتر بعد افتتاحها لتدبير أمرها واحكام ضبطها، ففصل من قرطبة، دون بروز، يوم الثلثاء للنصف من المحرم، وهو السابع من آذار، واغزى مع نفسه ولي عهده الحكم المستنصر بالله، وتخلّف في القصر ابنه عبد العزيز لتنفذ الكتب اليه، ومن الوزراء احمد بن محمد بن جدير ، وعلى المدينة احمد بن عيسى مخلفاً لابيه عيسى ابن احمد، وكان الحاجب موسى بن محمد عليلاً فلم يغز في هذا العام .

وكانت الطريق على مدينة استجة ثم الى اشونة ، واحتلّ

بحصن ببشتر يوم الاحـد لعشر بقين من المحرم ، فدخل المدينة
وجال في اقطارهـا وعاين من شرفها وحصانتها وعلو مرتقاها
وانقطاع جبلها من جميع جهاته ما ايقن معه ألاّ نظير لهـا في
الارض حصانة ومنعة واتـّساع قرارة ، فاكثر من حمد الله عز
وجل عـلىٰ ما افتتح له منها ويسر له فيها ، والتزم الصوم ايام
مقامه بها ، ثم دبر بنيان قصبتها على احسن ما دبره واحكمه في
غيرها ، وفرق رجاله على هدم كل حصن كان حواليها وعـلى
الديارات الخارجة عنها، وامر بنبش جيفتي عمر بن حفصون وابنه
فكشفت قبورهما ، والفيـا مدفونين على ظهورهما كما يتدافن
النصارى، وشهد ذلك عامة الفقهاء الغازين مع الناصر رحمه الله.
وايقن جميع من شهد ذلك بهلاك المشركين على دين النصرانية،
واستخرجا من لحودهما ، وأُتي بأعظـُمهما الرجسة الى باب السدة
بقرطبة ، ورفعت في جذوع عالية الى جنب الملحد سليمان بن
عمر ، وصاروا عظة للناظرين وقرّت بهم عيون المسلمـين .

وقلد الناصر أمر مدينـة ببشتر والضبط لها واكمال البنيان
فيها سعيد بن المنذر ، واستنزل أهل حصون شنت بيطر ويمارش
وحطرون وغيرها من المعاقل ، وهبطوا من أجبلهم وتفرّقوا في
بسيطهم ، واستقصيت الحصون خراباً ونسفاً، ولم يبق للنصرانية
بتلك الجهة حصن مذكور ولا معقل معمور ، وعادت كورة رية

على كثرة ما فيها من الحصون المانعة والمعاقل القائمة ليس فيها جبل مضبوط ، ولا بها عدو محذور .

واحتمل على مثل ذلك في حصون تاكرنا وحصون مغيلة الا ما وجب التمسك به منها، ونظر في ازعاج من وجب ازعاجه الى قرطبة ممن كانت نفسه تائقة الى الفتنة ليكون الناس أمّة واحدة ورعية ساكنة وادعة. وقدّم عبدالحميد بن بسيل الوزير الى كورة شذونة لهدم حصونها وتبسيط أهلها وجمعهم الى مدينة قلسانة التي هي قاعدة الكورة، وأمر باستنزال بني داود عن الحصون التي كانوا فيها وولاها من عماله وثقات رجاله من يحسن السيرة في رعية تلك الجهة ؛ وكانت سفرته ايمن سفرة واجمعها لكل خير وصلاح والحمد لله، ثم قفل يوم الأحد لخمس خلون من صفر فدخل منية الناعورة يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من صفر ، وقد استتمّ في سفرته هذه ستة وعشرين يوماً .

وفيها افتتح احمد بن اسحق القائد القرشي مدينة لقنت من تدمير ومدينة قليوشة ، واستنزل عنها وعن القصاب التي كانت حواليها بني الشيخ ، وقدم بهم الى قرطبة يوم السبت لاربع عشرة ليلة بقيت من شعبان .

واستنزل في هذا العام بنو أبي جوشن من معاقل بلنسية

وكانوا في نحو ستين رجلاً ، وقد اهملوا انفسهم في الفتنة وتعرضوا لما نزل بهم من النقمة، فامر الناصر بتمييز اهل الجزائر منهم والتشريد بهم، فقدّم من استحقّ القتل منهم الى المرج بين يدي قصر قرطبة وضربت رقابهم فيه يوم دخولهم .

وفي هذه السنة عزل فطيس بن اصبغ عن الوزارة وولي احمد بن عبد الوهاب بن عبد الرؤوف المدينة، وعزل عنها عيسى ابن احمد بن آبي عبدة، وقبل ذلك ما كان عزل جميع خزان المال ، وكانوا خمسة وهم : سعيد بن سعيد بن جدير واحمد بن موسى بن جدير واحمد بن عبد الوهاب المنقول الى المدينة وخالد ابن أُمية بن شهيد وعيسى بن فطيس، وولّى الناصر مكانهم اربعة خزان وهم : محمد بن جهور واحمد بن عيسى بن أبي عبدة وعبد الرحمن بن عبد الله الزجالي واحمد بن محمد بن أبي قابوس .

وفيها امر الناصر باقامة دار السكة داخل مدينة قرطبة لضرب الدنانير والدراهم، وولّى الخطة احمد بن موسى بن جدير يوم الثلثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان ، واقام الضرب فيها من هذا التاريخ من خالص الذهب والفضة، وصحح في ذلك احمد بن موسى وتحفّظ، وكانت مثاقيله ودراهمه عياراً محْضاً .

وفيها خرج احمد بن الياس القائد غازياً الى كور الغرب، فافتتح مدينة ماردة ومدينة شَنْترين بلا حرب ، ونزلوا اليه بالامان ، ووفاهم غاية الاحسان .

وفي هذه السنة رأى الناصر ان تكون الدعوة له في مخاطباته والمخاطبات عنه في جميع ما يجري ذكره فيه بامير المؤمنين ، لما استحقه من هذا الاسم الذي هو له بالحقيقة ولغيره بالانتحال والاستعارة، فهو أبرّ امراء المؤمنين والهداة الفاضلين والابرار المتقين من كل منتخب في المشرق والمغرب وقائم بالحق وسالك لسبيل الهدى والرشد ، فعهد الى احمد بن بقي القاضي صاحب الصلاة بقرطبة بأن تكون الخطبة يوم الجمعة مستهل ذي الحجة بذلك ، ونفذت الكتب الى العمال فيه بما اجتلبنا نسخته لما فيها من ايعاب القول واستيفاء الحجة وظهور الحقيقة .

ونسخة الرسالة النافذة في ذلك :

بسم الله الرحمن الرحيم

امّا بعد فانّا أَحقّ مَن استوفى حقّه، وأَجْدَرُ مَن استكمل حظه ، ولبس من كرامة الله ما ألبسه ، للذي فضّلنا به، وأظهر اثرتنا فيه ، ورفع سلطاننا اليه، ويسر على أيدينا دركه ، وسهل بدولتنا مرامه، وللذي أشاد في الآفاق من ذكرنا وعلو أمرنا ،

واعلن من رجاء العالمين بنا ، وأعاد من انحرافهم الينا واستبشارهم بدولتنا ، والحمد لله ولي الانعام بما انعم به ، وأهل الفضل بما تفضل علينا فيه ، وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين وخروج الكتب عنا وورودها علينا بذلك ، اذ كل مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له ودخيل فيه ومتسم بما لا يستحقه ، وعلمنا ان التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق أضعناه واسم ثابت اسقطناه ، فأمُر الخطيب بموضعك أن يقول به وأجرِ مخاطبتك لنا عليه ان شاء الله ، والله المستعان . و كتب يوم الخميس لليلتين خلتا من ذي الحجة سنة ٣١٦ .

وفيها عزل افلح ودري موليا الناصر عن الخيل والشرطة ، وولي الخيل عبيد الله الزجالي والشرطة احمد بن أبي قابوس ، ثم اعيد افلح الى الخيل ودري الى الشرطة بعد شهر .

وفيها تولى ابرهيم بن محمد بن اللبرقي خطة العقل .

وفيها عزل غالب بن محمد بن عبد الرؤوف عن خطة الضياع ووليها محمد بن عبيد الله بن مضر في انسلاخ جمادى الآخرة ، ثم عزل عنها ابن مضر ووليها خلف بن ايوب بن فرج الكاتب ، وكان يكتب للحاجب موسى بن محمد ، وذلك لاحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة .

وفيها توفي محمد ابن الامام المنذر ، وتوفي احمد بن يحيى بن

قاسم بن هلال الفقيه ، وكان متقبضاً خيّراً صالحاً بصيراً بالوثائق وعللها ؛ وتوفي سعيد بن ابرهيم الفقيه وكان يلي الصلاة بكورة رية ؛ وتوفي محمد بن هشام القرشي المعروف بابن الشبانسية بكورة شذونة ، وهو عاملها .

وفي سنة ٣١٧ كان ظهور المحل واحتباس الغيث وغلاءُ الاسعار ، فعهد الناصر بالاستسقاء بجامع قرطبة يوم الجمعة لليلة بقيت من المحرم ، وذلك في شهر آذار ، واتّصل الاستسقاء في الجامع ومصلى الربض ومصلى المصارة .

وفيها كانت غزاة الناصر الى مدينة بطليوس لمحاربة اهلها وابن مروان المنتزي عليه فيها ، فبرز رحمة الله عليه لغزاته هذه يوم الخميس لعشر خلون من ربيع الاول ، وهو اليوم الثالث والعشرون من نيسان ، وفصل من قصر قرطبة يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر ، وهو اليوم الرابع والعشرون من ايار ، وذلك بعد بروزه بواحد وثلاثين يوماً ، واغزى معه ولي عهده الحكم المستنصر بالله وابنه منذراً ، وتخلّف في القصر ابنه عبد العزيز لتنفذ الكتب اليه ، ومن الوزراء احمد بن محمد بن جدير ، وعلى المدينة احمد بن عبد الوهاب بن عبد الرؤوف . وكان احتلاله بالجيوش على مدينة بطليوس يوم الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر ، وواضعهم الحشم القتال في افنيتهم وعلى

أبواب دورهم، وتقحّموا عليهم داخل ارباضهم، وقتلوا منهم في ثاني احتلالهم عليهم جملة بعثت رؤوسهم الى قرطبة، وقطعت ثمارهم واحرق ما اخلوه من ديارهم خارج سورهم، وبقوا محصورين في المدينة.

وأقام عليهم الناصر عشرين يوماً، ثم أبقى عليهم احمد بن اسحق في قطيع من الجند، وانتقل الى جهة ماردة، فأصلح الأحوال بها، وولاها محمد بن اسحق وندب معه عدة من الحشم. ثم عاد رحمه الله الى مدينة بطليوس، فاضطربت عساكره عليها من غير الجهة التي كانت اضطربت فيها اولاً، وتولى من نكايتهم وأَليم محاصرتهم ما أذاقهم به وبال عصيانهم وعاقبة غيّهم وضلالهم، ثم ارتب عليهم احمد بن اسحق قائداً في جيش كثيف ورجال منتَقين وعدد كاملة، وأمره بالتشدد في حصرهم والاستبلاغ في مضايقتهم.

وانتقل ناهضاً الى مدينة باجة، فنزلها يوم الأحد مستهل جمادى الآخرة، واضطربت عساكره عليها، وتقدّم بالإعذار الى عبد الرحمن بن سعيد بن ملك الذي كان بها، ودعاه الى الطاعة فلاذ والتوى، فنصبت المجانيق عليه وحورب اشدّ محاربة، وقتل من رجاله عدد كثير، وانحطّت بعض ابراج المدينة بمن كان عليها، فضربت رقابهم بين يدي المظل، فاستأمن

عبد الرحمن بن ملك واهله وجميع اهل باجة امير المؤمنين الناصر وخضعوا لامره ونزلوا على حكمه ، فاوسعهم امانه وأُخرجوا عن المدينة ونقلوا الى قرطبة ، ودخلها الناصر وولاها عبد الله بن عمر بن مسلمة ، وندب معه فيها قوة وأكثف له الجمع والعدة، وامره بابتناء قصبة فيها ينفرد بها العامل ويسكنها.

وكان مقام الناصر على باجة خمسة عشر يوماً ، ثم انتقل منها قاصداً الى مدينة اكشونبة بقرب الساحل الغربي المحيط، فاحتلّ بها يوم الاثنين لسبع بقين من جمادى الآخرة ، وكان قد افتتح في طريقه حصن الوقاع ، واصاب فيه لخلف بن بكر صاحب اكشونبة اموالاً وعدة وسلاحاً ، فغنم ذلك الحشم واهل العسكر وصار لهم نفلاً . ثم تلقّى رسلُ خلف بن بكر امير المؤمنين مظهراً للانابة وملتزماً للطاعة ومتوسلاً ببعد الدار والقاصية، واخرج الى الناصر النزائل واقام له الوظائف والتزم إدْرار الجباية الكاملة، واظهر أهل ذلك الجانب فيه رغبة شديدة ووصفوه بسيرة حميدة ، فاقرّه الناصر عليهم وفرض عليه من الجباية ما التزم ايراده له في كل عام ، وعهد اليه بحسن السيرة والرفق بالرعية وألاّ يقبل نازعاً ولا يكتنف هارباً ، فالتزم جميع ما أُمر به ووقف عند ما حدّ له .

وقفل الناصر عن مدينة اكشونبة يوم السبت لليلتين بقيتا

من جمادى الآخرة ، ودخل القصر بقرطبة يوم الاحد لاربع عشرة ليلة خلت من رجب ، وقد استتمّ في غزاته ثلاثة وتسعين يوماً .

مطالعة أمير المؤمنين الناصر لببشتر في الشتاء

وفي هذه السنة كانت للناصر خرجة من قصر الناعورة مطالعاً لببشتر ومعايناً لما قام من البنيان بها وما تمّ من ترتيبه فيها، وكان خروجه من منية الناعورة يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال، ونزوله بجبل ببشتر يوم الخميس لعشر بقين منه، فدخل المدينة وجال فيها وأحكم ما له قصد من أمرها، ثم صدر عنها في اليوم الثاني، ودخل القصر بالناعورة يوم الثلاثاء لأربع بقين من شوال ، وكانت مدّة توجهه وانصرافه ثلاثة عشر يوماً .

وتردّدت الفتوحات في هذا العام بوقائع كانت على أهل بطليوس، وبعث احمد بن اسحاق من أهلها بسبعين أسيراً قتلوا صبراً بين يدي قصر قرطبة ؛ وافتتحت فيه مدينة شاطبة من بلنسية ، واستنزل عنها عامر بن أبي جوشن على يدي دري بن عبد الرحمن صاحب الشرطة ، واشترط عامر بسكنى شنت برية حتى يأخذ في انتقال ثقله وعياله الى قرطبة .

وفي هذه السنة ولّى الناصر عبد الملك بن عمر بن شهيد وعيسى بن احمد بن أبي عبدة الوزارة ، وسعيد بن سعيد بن جدير الشرطة الوسطى ، ولم تكن قبلُ هذه الخطة .

وفيها ولي خالد بن امية بن شهيد الخزانة ولاية ثانية ؛ وولي عبد الرؤوف بن احمد بن عبد الوهاب خطة العرض .

وفي سنة ٣١٨ كان افتتاح مدينة بطليوس، وذلك ان أهلها وابن مروان صاحبها لما أخذهم الحصار وطاولتهم الحرب وفني رجالهم واستميحت* نعمهم وقطعت ثمراتهم ورأوا عزماً لا فترة فيه وجدّاً لا بقاء لهم عليه ، استأمنوا الناصر وعاذوا بصفحه، فاوسعهم ما اوسع امثالهم قبلهم ، واستنزل ابن مروان الجليقي وأهله وذوي الشوكة من صحبه واسكنهم قرطبة والحقهم في الملاحف السنية، وملك المدينة وولاها عماله وصارت بسبيل كوَره .

وفيها اخرج الناصر لدين الله اهل الثقة من خدمته والامانة والتصحيح من فقهاء مصره الى اهل طليطلة معذراً اليهم وداعياً لهم الى الطاعة والدخول فيما صارت اليه الجماعة ، اذ كانوا لا *يؤدون جباية ولا يلتزمون طاعة ولا يتناهون عن منكر ولا معصية ، فلاذوا بمعاذير المخادعة وجاوبوا الناصر بما لم يصغ ِ اليه من غشّهم وتمريضهم، فاستعزم على غزوهم وشمر لمناهضتهم وانزال

بأسه بهم، وبرز للغزو في الصائفة اليهم، في صدر ربيع الآخر سنة ٣١٨، وفي شهر نيسان من العام المؤرخ، وقدّم الوزير سعيد بن المنذر الى مدينــة طليطلة في جيش كثير وعدد جمّ، وأمره بالاحتلال عليها والمحاصرة لها حتى يلحق الناصر بجيوشه وصنوف حشمه بهـا ، فخرج اليها الوزير يوم السبت لثمان بقين من ربيع الآخر واغذّ السير نحوها حتى نزل بساحتها، واخذ في ما حدّ له من محاصرتها بأبلغ عزم واتمّ حزم .

ثم فصل امير المؤمنين الى مدينة طليطلة يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الاولى ، وهو التاسع والعشرون من ايار ، واغزى مع نفسه ولي عهده الحكم المستنصر بالله ومنذراً ابنه ، وتخلف في القصر ابنـه عبد العزيز لتنفذ الكتب اليه ، ومن الوزراء احمد بن محمد بن جدير ، وعلى المدينة أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الرؤوف ، فلمّا احتـلّ رحمـه الله في طريقه بمحلّة الغدر ، وقرب من حصن مورة الذي كان اتخذه أهـل طليطلة شجاً على المسلمـين ومستركحاً للمفسدين ، وقدّموا عليه منهم مطرف بن عبدالرحمن بن حبيب، قدّم اليه من أنذره وخوّفه وأمره بالخروج عن الحصن واسلامه ، فبدر الى ذلـك بداراً لم يجد منه بُدّاً ولا في الامتنـاع طمعـاً ، ونزل عن الحصن ، وأمر الناصر بضبطه ، ثم نهض بجيوشه المؤيّدة وعزيمته

الماضية حتى احتلّ محلّتَه جرنكش بقرب طليطلة ، وذلك يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى ، فأشرف من محلّته هذه على سهلة طليطلة ونهرها واجنّتها وكرومها ، ودبّر رأيه في أمكن المواضع من محاصرتها وأقرب الجهات الآخذة بخنق أهلها ، فرأى النزول بمحلة المقبرة على باب المدينة أبلغ في النكاية وأشدّ في المضايقة ، فارتحل اليها في اليوم الثاني وأخذ في نكاية العصاة بما لم يجرِ لهم على ظنّ .

وأقام بهذه المحلّة سبعة وثلاثين يوماً يوالي فيها بنكايتهم وقطع ثمراتهم وتخريب قراهم وانتساف نعمهم وتحطيم زروعهم ، ثم امر بالبنيان في جبل جرنكش لمدينة سماها بالفتح ، وأرتب لبنيانها سعيد بن المنذر الوزير ، وأمر بنقل الاسواق اليها والتمدين لها لتكثر مرافق أهل العسكر بها ؛ وأرتب محمد بن سعيد بن المنذر على باب القنطرة في جمل من الحشم ، وعهد اليهما بالاستبلاغ في محاربة القوم .

وقدم على الناصر بمحلّته على طليطلة صاحب حصن قنيلش وصاحب حصن الفهمين معتصمين بطاعته ، فأمر بنقلهما الى قرطبة والتوسع عليهما ومكافأة نزوعهما وقصدهما ، ثم قفل الناصر عن مدينة طليطلة يوم الخميس لست بقين من جمادى الآخرة ، ودخل القصر بقرطبة يوم الاثنين لاربع خلون من رجب ، وقد استتمّ في غزاته واحداً وستين يوماً .

وفي هذه السنة ولي المواريث طرفة بن عبد الرحمن صاحب المطبخ ؛ وولي خزانة السلاح احمد بن أبان بن هاشم وحفص بن سعيد بن جابر .

وفيها مات للناصر ابن يسمى بمحمد .

وفيها مات أمية بن محمد بن أُمية بن عيسى بن شهيد .

وفيها توفي هاشم بن محمد التجيبي .

وفيها توفي محمد بن ابراهيم بن الجباب الفقيه صاحب الوثائق، يوم الاثنين لثلاث خلون من شهر رمضان ؛ وتوفي صهيب بن منيع قاضي اشبيلية؛ وتوفي أبو غالب مروان بن عبيد الله بن بسيل .

وفي سنة ٣١٩ ابرز السرادق والابنية الى المضطرب المعروف بفحص السرادق بجوفي النهر الاعظم ، ثم برز الناصر الى هذه المحلة لغزاة نواها الى مدينة طليطلة ، ولم يتمّ عزمه عليها اذ استغنى بالقواد المرتبين على المدينة المحاصرين لاهلها ، واكثف للقواد بها الخيل والعدة وأمدّهم بالسلاح واكدّ بصائرهم في الجدّ والعزم والاستبلاغ في نكاية المفسدين المغترين من أهلها .

وفي سنة ٣١٩ كاتب موسى بن أبي العافية صاحب الغرب أمير المؤمنين الناصر ورغب في موالاته والدخول في طاعته ، وان يستميل له اهواء اهل الغرب المجاورين له، فتقبّله احسن قبول وامدّه بالخلع والاموال وقوى ايده على ما كان يحاوله

من حرب ابن أبي العيش وغيره ، فظهر أمر موسى من ذلك الوقت في الغرب ، وتجمّع له كثير من قبائل البربر ، وتغلّب على مدينة جراوة، وأخرج عنها الحسن بن أبي العيش بن ادريس العلوي ، وجرت بينهما حروب عظيمة .

وفيها افتتح الناصر مدينة سبتة ، فشكّها بالرجال واتقنها بالبنيان، وبنى سورها بالكَذّان[1] ، وألزم فيها من رضيه من قواده واجناده ، وصارت مفتاحاً للغرب والعدوة من الأندلس وباباً اليها ، كما هي الجزيرة وطريف مفتاح الأندلس من العدوة ، وقامت الخطبة فيها باسم أمير المؤمنين الناصر لثلاث خلون لربيع الاول من العام المؤرخ .

وفيها اتّصل بالقواد المحاصرين لطليطلة ان العدو بذلك الجانب عملوا على الخروج لافتراص غرّة في بعض ثغور المسلمين ، فنفر اليهم الوزير احمد بن محمد بن جدير من قرطبة في جملة من الحشم ومن خفّ من المسلمين، فلما بلغ اعداء الله خروجه توقّفوا عن حركتهم وقرّوا في بلادهم، وكفى الله المؤمنين معرّتهم، فبلغ القائد احمد بن محمد بن جدير طليطلة ، ونازلها مع القواد المرتبين فيها .

وفيها خرج بالاسطول احمد بن محمد بن الياس ويونس بن سعيد قائدَيْن في البحر ، يوم السبت لليلتين خلتا من جمادى

---

[1] الكذان : حجارة رخوة كالمدر .

الاولى، في عدة ومراكب جملة ورجال كثير وصنوف من البحريين والمقاتلين، فجازا مرسى الجزيرة واحتلا العدوة، وحاصرا ابن أبي العيش ، اذ كان على مخالفة لمن دخل في طاعة أمير المؤمنين من أهلها ومحاربة لموسى بن أبي العافية وليّه ومقيم دعوته والداخل في طاعته ، ثم حال الشتاء بينهما وبين التمادي على الحصار والمطاولة، فقفلا بالاسطول ومن فيه .

وفيها عزل أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الرؤوف عن المدينة وقدم الى الوزارة ، وولي المدينة يحيى بن يونس ( القبرني ) ، وذلك في غرة جمادى الاولى ، ثم عزل يحيى بن يونس عنها ، وكانت فيه حدّة ومخارجة لاهل الحرم ، ووليها عبد الحميد بن بسيل الوزير في شوال .

وفيها ولي خطة العرض عبد الوهاب بن محمد بن عبد الرؤوف؛ وولي الضياع محمد بن عبد الله بن مضر وعبد الله بن معاوية بن بُزَيل مشتركين .

وفيها ولّى الناصر من تحت يدي ولي العهد المستنصر بالله احمد بن هاشم بن احمد بن هاشم مولاه عمالة عبلة وفنيانة من البيرة .

وفيها مات أبو الجعد اسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن خالد ابن عبد الله بن خالد بن عبد الله بن حسين بن جعد بن اسلم بن

ابان بن عمرو مولى عثمان بن عفـــان ( رضه ) ، وكان قاضي الجماعة بقرطبة ، وله رحلة وسماع ، وكانت فيه صلابة وانفاذ للحق على وجوهه ، وعزل عن القضاء قبل وفاته اذ اخذه الكبر وضعف عن القعود للاحكام ؛ وكانت وفاته يوم الاربعاء لست خلون من شعبان ، وهو ابن سبع وثمانين سنة .

ومات في هذا العام فضل بن سلمة الفقيه البجاني ، وكان له سماع وتأليف حسن؛ وتوفي محمد بن فطيس الفقيه المحدث بالبيرة؛ وتوفي احمد بن حامد الزجالي في جمادى الاولى .

وفيها ماتت السيدة ابنة الامام عبد الله لثمان بقين من ذي الحجة، وكانت قد نافرت أمير المؤمنين الناصر أيام حداثته وقبل افضاء الخلافة اليه ،وهو حينئذ ولد في القصر بين يدي الامـام عبد الله جدّه،وطالبته وأدَته عند أبيها عبد الله الامام، فلما ولي الناصر لم تشكّ في معاقبته لهـا ومجازاته لسوء معاملتها، فكان الامر على خلاف ظنّها ، وقرب الناصر مكانها ورفع منزلتهـا واختصّها في جملة من اختصّ من أهـله وبنات اعمامـه حتى صارت اقربهن محلاً منه .

وفيها توفي عبيد الله بن فهر ، وكان متصرفاً في العمالات والقيـادة ، وذلك يوم السبت لثماني عشرة ليلـة خلت من ذي الحجة .

وفي سنة ٣٢٠ كان غزو الناصر الى مدينة طليطلة غزاته الثانية التي فتحت فيها عليه ، فبرز لهذه الغزاة في صدر جمادى الآخرة سنة ٣٢٠، في شهر حزيران من العام المؤرخ ، وفصل يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من رجب ، وهو اليوم الحادي عشر من تموز، مع ولي عهده الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين ، وتخلّف في القصر ابنه عبد العزيز لتنفذ الكتب اليه، ومن الوزراء احمد بن محمد بن جدير وعبد الحميد بن بسيل وكان صاحب المدينة .

وكان اهل طليطلة لما أخذهم الحصار واشتدّ عليهم التضييق ولازمهم القواد قد استجاشوا بالمشركين واستنجدوهم ورجوا نصرهم لهم ، فلم يغنوا عنهم فتيلًا ، ولا كشفوا عنهم عذاباً ، ولا جلبوا اليهم الا خزياً وهواناً ، وخرج القواد المحاصرون لهم الى الكفرة فهزموهم وفرّقوا جموعهم وانصرفوا مولّين على أعقابهم ، خاذلين لمن انتصر بهم ورجا الغياث من قبلهم ، فلما يئس أهل طليطلة ان ينصرهم أحد من بأس الله الذي عاجلهم ، وانتقامه الذي طاولهم ، عاذوا بصفح أمير المؤمنين وسألوه تأمينهم وضرعوا اليه في اغتفار ذنوبهم ، فخرج لاستنزال أهل طليطلة وتوطيد طاعته فيها وإحكام نظره بها ، في التاريخ الذي قدمنا ذكره ، فنزل عليها بمحلة جرنكش يوم الاربعاء

لخمس بقين من رجب ، وقد كان بدر اليـه ثعلبة بن محمد بن عبد الوارث مقدمها، وتلقـّاه قبل نزوله بها معترفاً بجهله ومستقيلاً من زلـّته ، فعفا عنه الناصر وعـاد عليه بفضله ، ثم امـّن اهل طليطلة وخرجوا الى العسكر ونالوا المرافق فيـه ، وابتاعوا المعايش التي طالمـا اجهدهم عدمها ومنعهم الحصار منها ، فعرفوا غبطة ما صاروا اليه من الامن بعد الخوف ، والسعة اثر الضيق، والانبساط بعد طول الانقباض .

ثم ركب الناصر الى مدينـة طليطلة في اليوم الثـاني من نزوله بمحلته عليها ، ودخلهـا وجال في اقطارها ، فرأى من حصانتها وشرف قاعدتها وانتظام الاجبل داخل مدينتها وامتناعها من كل الجهات بواديها ووعرها وكثرة البشر بهـا ما اكثر له من شكر الله عز وجل على ما منحه فيها وسهل له منها ، وعلم انه لولا ما اخذ بـه من الجدّ والعزم في امرها لما ملكت مع حصانتها ومنعتها ، وما اعتاده اهلها من مداخلة المشركين وموالاتهم ، والاستمداد على الخلفاء بهم ، فكم اعيت الملوك وامتنعت من العساكر وانصرفت عنهـا الصوائف بغير نجـح ، ولكن فضل الله عز وجل الذي اعطاه أمير المؤمنين وصنعه له، وتأييده اياه اجرى افتتاحها على يديه .

ثم دبر فيهـا بناءً محكمـاً متقناً ليكون مستقرّاً للقـواد

الملازمين فيها وزماماً على ساكنيها ، وارتب على البنيان بها دري ابن عبد الرحمن قائده ، وملأها رجالاً وعدّةً وسلاحاً ، وركب اليها الناصر وأمر بهدم ما وجب هدمه في المدينة ، وتردّد عليها ثمانية ايام حتى اكمل فيها ما دبره وهذب ما اراده ، وفتحت اسس البنيان الذي أمر به ، واطمأنت بأهل المدينة الدار ، وفتحوا الحوانيت ، وانتشروا في الأسواق ، وانبسطوا في أفنيتهم وأبواب مساجدهم آمنين والحمد لله .

ثم قفل الناصر عن محلته بطليطلة يوم السبت لست خلون من شعبان ، ودخل القصر بقرطبة يوم السبت لعشر بقين منه ، وقد استتمّ في غزاته ستة وثلاثين يوماً .

وفيها صنع الناصر لضروب رجاله ومواليه وصنوف أجناده وحشمه ممن شاهد فتح طليطلة معه ، ووافق ذلك تطهيره لبعض بنيه الاصاغر .

وفيها عزل عن خزانة المال محمد بن عبد الله بن جدير وعبد الرحمن بن عبد الله الزجالي ،ونقل أحمد بن عيسى بن أبي عبدة عن الخزانة الى قيادة بجانة ، وأقرّ من الخزان خالد بن أميّة بن شهيد ومحمد بن جهور بن عبد الملك ، وولى مكان المعزولين عنها سكن بن ابراهيم واحمد بن محمد بن مستنير .

وفيها ولي الخال سعيد بن القاسم خطة العرض .

وفيها ولي المدينة فطيس بن اصبغ لاحدى عشرة ليلة خلت من شوال .

وفيها ولي العرض محمد بن قاسم بن طُملُس .

وفيها ولي السكة يحيى بن يونس (القبرني)، وذلك يوم السبت لأربع خلون من شوال، وعزل هذا النهار عنها احمد بن محمد ابن موسى بن جدير .

وفيها توفي احمد بن أبي نوفل القرشي، وهو أحمد بن محارب ابن قطن بن عبد الواحد بن قطن بن عصمة بن أنيس بن عبد الله ابن جَحْوان بن عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب ابن فهر ، وكان متقبضاً متزهداً ، وبلغ من السن خمساً وسبعين سنة .

وفيها مات الحاجب موسى بن محمد بن جدير للنصف من شهر صفر ليلة الاحد بعد صلاة المغرب، وبلغ من السن خمساً وستين سنة .

وفيها توفي عبيد الله بن عبد الله الزجالي، وكان على المواريث والبنيان ، في رمضان ، وهو ابن احدى واربعين سنة .

وفيها مات احمد بن محمد الزجالي ، وكان قد تصرّف في الخدمة وله ادوات وحركة .

وتوفي فيها عمران بن أبي عمر المتطيب ، وكان قد كُفّ

بصره، وهو من المتظرفين المتطيّبين وصحب الملوك وخفّ على أمير المؤمنين الناصر ، وكان يصله ويحضره مجالس راحته وهو اعمى .

وفي سنة ٣٢١ وصل الخبر الى قرطبة بولاية أبي المنصور ابن المعتز مدينة سجلماسة، وهو غلام ابن ثلاث عشرة سنة ، فمكث في ولايته شهرَيْن ، وقام عليه ابن عمه محمد بن الفتح واخرجه منها وتملّكها، وتسمّى بأمير المؤمنين، وتلقّب بالشاكر لله ، وذلك بعد مدة نحو من عشرين سنة ، وضرب الدنانير الشاكرية .

وفي سنة ٣٢٢ وصل الخبر الى قرطبة بوفاة أمير افريقية عبيد الله الشيعي الملقب بالمهدي، وتقديم ولده أبي القاسم المتلقب القائم بامر الله .

وفي سنة ٣٢٣ وصل الى مدينة فاس ميسور الصقلبي قائد أبي القاسم الشيعي أمير افريقية ، فحاربه اهل فاس سبعة أشهر، ولم يقدر عليهم، ثم حاصر ابن أبي العافية واستعان عليه ببني ادريس، فانجلى ابن أبي العافية الى الصحراء، وصار جميع ما كان لابن أبي العافية لبني ادريس ؛ وقد تقدّم خبر بني ادريس .

وفي سنة ٣٢٤ ظهر أبو يزيد مخلد بن كيداد بافريقية على أبي القاسم الشيعي ، وذلك في جبل اوراس وفيه قلاع كثيرة يسكنها هوارة وغيرهم ، وهم على رأي الخوارج .

وفي سنة ٣٢٥ امر الناصر ببناء مدينة الزهراء، وكان يصرف فيها من الصخر المنجور ستة آلاف صخرة في اليوم سوى التبليط في الاساس على ما اذكره بعد .

وفي سنة ٣٢٧ قام بالغرب الأقصى أبو الانصار بن أبي عفير البرغواطي بعد موت أبيه، وكان يفي بالعهد والوعد، وهو الذي بعث زمورا البرغواطي رسولاً الى الحكم المستنصر بالله ابن أمير المؤمنين الناصر .

وفي سنة ٣٢٩ استتمّ القائد احمد بن محمد بن الياس مدينة سكتان وشحنها بالرجال واتّخذ فيها الاطعمة والاسلحة، فأخرج الناصر اليها احمد بن يعلى قائداً في ضروب من الحشم ضمّهم اليه، فنفذ اليها في صفر من هذه السنة. فلما كان في غرّة جمادى الاولى منها وافى فتح من قتال احمد بن يعلى القائد بسكتان الحديثة بدخول كان له منها الى جهة من عمل الطاغية ردمير، فقتل وسبى وأسر، وأرسل مع كتابه الى قرطبة مائتي علج اسراء، وكان هذا أول فتح لابن يعلى اذلّ به الطاغية ردمير .

وفي سنة ٣٣٠ في المحرم من هذه السنة طلع كوكب الزبانيتَيْن في الافق الغربي بقرطبة ازاء العقرب منحرفاً عنها يكاد يتّصل بالفلكة العليا في رأي العين، وكان أول ليلة لاح فيها للابصار ليلة السبت لثلاث بقين من المحرم منها، وهي ليلة

ست عشرة خلت من اكتوبر ، وتمادى طلوعـه مستعلياً مكبراً في السماء حتى توارى .

وفي سنة ٣٣١ في يوم الخميس لخمس خلون من صفر منها دخل الوزير القائد احمد بن الياس الى قرطبة قافلاً عن غزاته الى الثغر ، التي خرج اليها في عقب شوال من سنة ٣٣٠ قبلها ، الى ثلاثة أشهر ويومَيْن من خروجه عنها، ودخل في سفرته هذه كورة تدمير ، فازال الالتياث الواقع من أهلها ازالة ، وقدم برهائن بعضهم ، وكان اثره جميلاً .

وفيها كان المدّ العظيم بنهر قرطبة الثالم لقنطرتها .

وفي سنة ٣٣٢ اغزى الناصر لدين الله القائد احمد بن محمد ابن الياس الى جليقية، فدخل دار الحرب، فغنم واحرق جملة من حصونهم هنالك وقفل راجعاً .

وفيها كانت زلزلة عظيمة بقرطبة ليـلة الاثنين لتسع خلون من ذي القعدة، فلم ير قط مثلها ولا سمع من قوتها، ووقعت بعد العشاء الآخرة، فدامت ساعة، ففزع أهل قرطبة لها فزعاً شديداً ولجأوا الى المساجد فيها، وضجوا بالدعاء الى الله تعالى في كشفها، حتى اغاثهم وصرفها عنهم. وفي صبح ليلة الزلزلة هبت ريح عاصفة ردفتها اخرى فاقتلعتا كثيراً من شجر الزيتون والتين وغيرهما من الاشجار والنخيل، واطارتا كثيراً من قرمد السقف ، ونزل

اثر ذلك مطر وابل طبق الارض، وبرد غليظ فقتل كثيراً من الوحش والطير والمواشي واتلف ما اصاب من الزرع واساء التأثير .

وفي سنة ٣٣٣ في المحرم هبت بقرطبة ريح عاصف من ناحية القبلة ونزل برد غليظ .

وفيها ظهر باشبونة رجل يزعم أنه من ولد عبد المطلب وان أُمه مريم ابنة فاطمة ، وادّعى مع النسب أنه نبي وان جبريل ينزل عليه، وسنّ لاتباعه سنناً وشرع لهم شرائع منها حلق الرأس وغير ذلك مما لا يعقل ، ثم وقع عليه البحث فخفي أثره .

وفيها اخرج الناصر قاسم بن محمد قائداً الى عدوة الغرب ، فحارب بني محمد الادارسة الحسنيين ، الذين بدا من خلافهم عليه في هذه السنة ونقضهم للطاعة ، بعدما قدم الكتب الى محمد بن الخير عظيم زناتة وغيره من ولاته بالغرب يأمرهم بالاستعداد لذلك والمعونة عليه، واجاز قاسم البحر الى سبتة في النصف من ربيع الأول، فلما تبين ذلك لكبير بني محمد، وهو أبو العيش بن عمر ابن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ( رضه )، اسرع الى تحقيق الطاعة للناصر، فعقد له الامان على نفسه، وانفذ عليه ابنه محمد بن أبي العيش الى قرطبة مؤكداً له طاعته ، فاحتفل السلطان لدخوله احتفالاً عظيماً ،

وركب الوافد محمد، مع مستقبله من قِبَل الناصر القائد احمد ابن يعلى، في اهبة راقت العيون وملأت الصدور، ووصل الى قصر الزهراء، وقعد له الناصر افخم قعود فأوصله الى نفسه وابلغ في تكريمه، ثم خرج عنه في مثل الهيأة التي دخل عليها، ودخلت بدخول محمد بن ابي العيش في هذا النهار على الناصر رسل لبني عمّه الادارسة امراء المغرب، وانعقد في هذا النهار كتاب أمان محمد بن ادريس.

ودعا الناصر أيضاً محمد بن أبي العيش فبالغ في تكريمه، وأقام بقرطبة بقية هذه السنة في تكرمة، وانصرف الوفد المذكور بعد التزامهم الطاعة للناصر، وذلك في خبر طويل.

وفي عقب شوال قدم رسول الخير بن محمد بن خزر الزناتي امير الغرب، ومعه رسول حميد بن يصل الزناتي، يعرفان الناصر بما كان من دخولهما مدينة تاهرت، وانهما اقاما فيها الدعوة له. وفي منسلخ شوال قدم على الناصر رسولان من أبي يزيد مخلد بن كيداد، المعروف بصاحب الحمار، القائم بافريقية على أبي القاسم الشيعي، برسالة منه يخبر بتغلبه على القيروان ورقّادة وعملهما، وايقاعه باصحاب الشيعي فيها، وما يعتقده من ولاية الناصر، ويأوي اليه من اعتقاد امامته، واتصلت كتب أبي يزيد ورسله على قرطبة من ذلك الوقت الى حين وفاته.

وفي سنة ٣٣٤ جلس الناصر لدين الله لوداع رسل أهل القيروان الواردين عليه من قِبَلهم وقِبَل ابي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني ، الناصح بارض افريقية في ذلك الوقت، محتسباً في جهاد ملوك الشيعة المتزين على افريقية من آل عبيد الله الداعي، وكان له في القيام عليهم وقائع شنيعة ، فوصلوا الى الناصر في هذا اليوم ، وهم ثلاثة نفر اوجههم تميم بن أبي العرب التميمي ، فكلمهم بما تقتضيه رسالتهم ، ودفع اليهم اجوبة من ارسلهم ، واذن لهم في الانصراف الى بلدهم ، ووصلهم و كساهم فانطلقوا لسبيلهم .

وفيها وصل الى قرطبة رسل ملك الروم الاكبر قسطنطين ابن ليون ، صاحب القسطنطينية العظمى، بكتب من ملكهم الى الناصر ، فقعد الناصر على سرير الملك بقصر قرطبة لدخولهم عليه ولمن تكامل بالباب من وفود البلاد، بعد ان أمر باستقبالهم بالعدد والأجناد، واستوى الناصر على سريره وقعد على يمينه ابنه الحكم وقعد سائر أولاده عن يمينه ويساره، وقعد الوزراء والحجاب على منازلهم صفوفاً، فدخل الرسل وقد قدموا الهدايا بين ايديهم، وقد دهشوا لهول ما عاينوه من جلالة الملك ووفور الجمع ، فصعقوا بين يدي الخليفة ، فأشار اليهم أن لا، ودفعوا اليه كتاب مرسلهم قسطنطين، وكان الكتاب مصبوغاً بلون سمائي مكتوباً بالذهب.

وفيها كان السيل العظيم بقرطبة، وبلغ الماء في البرج المعروف ببرج الأسد ، فهدم من آخر القنطرة وثلم الرصيف وغيره .

وفيها قدم على الناصر محمد بن محمد بن كليب من القيروان فحكى أن أبا القاسم بن عبيد الله الشيعي هلك بالمهدية ، وهو محصور من أبي يزيد، وان شيعته قدمت ولده اسماعيل مكانه ، وانه فارس شجاع أبيُّ النفس اقدم على أبي يزيد وجموعه ولاقاه بمدينة سوسة ، فانهزم أبو يزيد أمامه الى القيروان .

وفي عقب صفر منها ولي خزانة السلاح عبد الاعلى بن هاشم المتوفى في المحرم منها .

وفي سنة ٣٣٥ كان ابتداء بناء مدينة سالم بالثغر الاوسط .

وفي كتاب ابن مسعود في سنة ٣٣٥ ابتنى الناصر مدينة سالم القديمة التعطيل بالثغر الأوسط الشرقي، المواجهة لبلد قشتيلة، دمرها الله تعالى، وهي يومئذ خالية مقفرة، وأرسل لذلك غالباً مولاه في جيش جرده معه من الحضرة، وانفذ العهد الى قواد الثغر بالاجتماع اليه لبنيانها، فسارعوا الى أمره وبنيت أحسن بناء، ونُقل اليها البناؤون من بلاد الثغر للاختطاط فيها والرباط بها، فتمّ ذلك في صفر من هذه السنة واطمأنت الدار بمن نزلها من المسلمين، واكتمل بناؤها وعمرانها على مرور الأيام ، فنفع الله المسلمين بها وصيّرها شجاً في حلوق الكافرين .

قال: ووافى في أثر كتاب القائد ابن جدير وابن هاشم كتاب من قِبَل عامر بن مطرف بن ذي النون الى الناصر بما فتح الله له في المشركين ، وقتله العدد الكثير منهم وبعثه برؤوسهم ، فتمَّت الفتوح ، وعمَّت الفروح ، وعزّ الاسلام ، واستبشر الانام ، وطابت الأيام ، فحمد ولي الانعام ، الذي منه يرجى التمام ، عزّ وجهه !

وفيها كان القحط الكائن بقرطبة .

وفيها وصل الى قرطبة أيوب بن أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني الاباضي رسولاً من والده أبي يزيد، فقعد له الناصر قعوداً فأوصله الى نفسه وكرم لقاءه ، وأمر بانزاله في قصر الرصافة ، وقد أعدّ له فيه من الفرش والغطاء والآنية والآلة ما يعد لأمثاله ، فأقام هنالك تحت نزل واسع وكرامة موصولة .

وفي سنة ٣٣٦ في يوم الجمعة التاسع من المحرم منها ورد كتاب قند، مولى الناصر القائد يومئذ بطليطلة ، بفتح فتحه الله على يده في اعداء الله أهل جليقية، فقرىء في المسجد الجامع بقرطبة والزهراء ، وبعث برؤوس وخيل اصيبت لأعداء الله .

وفيها عزل الناصر عبد الله بن محمد عن السكة، وسخط عليه لتقصيرٍ ما كان فيه، وأمر بسجنه، وقدّم عبد الرحمن بن يحيى بن ادريس الاصمّ ، ونقل السكة من مدينة قرطبة الى الصحراء .

وفيها خرج الكاتب جعفر بن عثمان المصحفي الى ميرقة وذواتها لاصلاح ما فسد من حالها .

وفيها وصل حميد بن يصل المكناسي الى قرطبة قاصداً الى الناصر من بلده من الغرب، فاستقبل بالجيش والزينة وكرم الناصر مورده واجمل موعده .

وفي سنة ٣٣٧ في النصف من محرم قعد الناصر بقصر الزهراء قعوداً بهياً، فدخل اليه حميد بن يصل، ثم وصل بعده منصور وأبو العيش ابنا ابن أبي العافية، ودخل معهما حمزة بن ابراهيم صاحب جزائر مزغنا، فوصلهم وكساهم وأذن لهم في الانصراف الى بلادهم .

وفيها صلب بقرطبة علي بن عشرة من أهل أشبونة بعد ان قطعت يداه ورجلاه، وكان من المفسدين في الارض يقطع السبل .

وفيها كانت وقيعة ارتقيرة على العدو دمره الله .

وفي سنة ٣٣٨ كان قدوم رسل ملك الروم الاكبر صاحب القسطنطينية على الناصر راغباً منه ايقاع المؤالفة واتّصال المكاتبة، فتأهب الناصر لورودهم عليه وامر بتلقيهم في الجيش والعدة، وجلس لهم الناصر الجلوس المشهور، الذي ما تهيّأ مثله لملك قبله في جلالة الشأن وعزة السلطان؛ ووصف ذلك يطول، ودفعوا كتاب ملكهم في رق مسبوغ سمائي مكتوب بالذهب،

وكان على الكتاب طابع ذهب، وزنه اربعة مثاقيل، على الوجه الواحد منه صورة المسيح (ع.م)، وعلى الآخر صورة قسطنطين الملك وصورة ولده .

وفيها أمر الناصر احمد بن يعلى وحميد بن يصل المكناسي بالخروج الى بني محمد الادارسة الحسنيين امراء المغرب، ففصلا بمن ضمّ اليهما من الجيش الى الخضراء ؛ وكان خروجهما من قرطبة للنصف من رجب . وفي عقبه قدم على الناصر رسول من بعض الحسنيين يذكر طاعتهم له وانقيادهم لأمره في هدم مدينة تطاون، التي أنكر عليهم بناؤها، فقعد لهم في أول شعبان وأمر بمجاوبتهم ؛ ثم وصل محمد بن أبي العيش الحسني الى الناصر من أبيه أبي العيش ، فأقبل عليه الناصر وأبلغ في تكرمته ؛ ثم ورد الخبر بوفاة ابي العيش فأوصل الناصر ابنه محمداً الى نفسه وعزاه عن والده ، وعقد له على عمله ووصله وخلع عليه وعلى الوافدين معه وصرفهم، فخرج محمد مبادراً الى عمله بالغرب، وكان عند وفاة ابيه ابي العيش قصد ابن عمه قنون الى بلده، فاحتوى على ماله وأهله .

ولما بلغ البربر اقبال محمد بن أبي العيش الى بلده من قِبَل الناصر رجعوا الى عيسى بن قنون ، وقد خرج عن تيكيساس ، فقطعوا به وكسروه وسلبوه ما كان أخذه لابن

عمه ، وقتلوا أكثر أصحابه ، فلم يخلص الا في سبعة فوارس .

وفيها وصل الى قرطبة أحمد بن الاطرابلسي، رسول البوزي ابن موسى بن أبي العافية، بكتاب يذكر انه صحّ عنده ان الخير ابن محمد بن خزر الزناتي وصل الى تاهرت محاربها، فاستنصر أهلها بميسور قائد الشيعي، فالتقوا فدارت دائرة على ابن خزر أول نهارهم، ثم كانت الكرة لزناتة، ودخل الخير أميرهم مدينة تاهرت وملكها في غرّة ذي القعدة، وأخذ قائد الشيعي أسيراً في عدّة من أصحابه، ووقع في يده عبد الله بن بكار اليفرني الذي توجه الى الشيعي برأس أيوب بن أبي يزيد ، فأرسل بـه الى يعلى بن محمد بن صـالح اليفرني ليقتله بوالده، بعدما كان اخذ كل ما عنده ، فـلم يرض يعلى بذلك ولا رآه كفواً لعبـده فكيف لوالده ، ودفعه المذكور الى رجل من البربر كان قد قتل ابنه فقتله بـه ودخل يعلى بن محمد وهران فملكها .

وفيها جرت قصة الولد عبد الله بن الناصر، التي أراد الله بها ابتلاء أبيه فيه، فعجل الوثوب به وباصحابه آخر هذه السنة، عجل عليهم فيها بافظع العقاب، قتلهم وتأنّى بابنه عبد الله مُدَيدة الى ان طوّقه الحسام في آخر سنة ٣٣٨ ، وكان الحكم اخوه ذكر عنه انه يريد القيام على ابيه، فقبل قوله فيه، وكان عبد الله من أهل العلم والذكاء والنبل .

وفي سنة ٣٣٩ أخرج الناصر قائده احمد بن يعلى نحو جليقية رجاءً في انتهاز فرصة من العدو، فاعانه الله عليها، واقتحم على غفلة فافتتح ثلاثة حصون وسبى نحواً من ألف سبية وانصرف آخر رجب من السنة .

وفيها ورد الخبر بهلك ردمير بن اردون صاحب جليقية ، فملّكت الجلالقة ابنه اردون، ونازعه اخوه غرسية، فجرى بينهم اختلاف اظفر الله به المسلمين .

وفيها وصل الى قرطبة ابنا البوري بن موسى بن أبي العافية أمير الغرب؛ وورد الامير الخير أمير زناتة وكبير امراءِ الغرب الى الناصر، يذكر ما اتاح الله له من دخول مدينة تاهرت وظفره بميسور وعبد الله بن بكار اليفرني قواد الشيعي، فقرىء كتابه بجامع قرطبة والزهراء؛ ثم ورد كتاب عبد الرحمن بن عبد الله الزجالي من جهة شذونة يذكر ان بني محمد الادارسة بالغرب زحفوا الى حميد بن يصل قائد الناصر، ونزلوا عليه والتقوا به، فكانت الدائرة على بني محمد وانصرفوا مفلولين .

وفي سنة ٣٤٠ كانت للمسلمين غزوات على الروم نصرهم الله فيها، منها: فتح على يد قائد بطليوس بجليقية هزمهم اقبح هزيمة، قتل جملة من حماتهم ومقاتلتهم، وسبى من نسائهم وذراريهم نيفاً على ثلاث مائة رأس ، ووصل ذلك السبي الى قرطبة

لثلاث خلون من المحرم ؛ وفتح آخر على يدي احمد بن يعلى قائد الناصر ؛ وفتح آخر على يدي رشيق قائد الناصر على طلبيرة ؛ وفتح آخر على يدي يحيى بن هاشم التجيبي .

وفي غرة جمادى الآخرة، وهو الثامن من اكتوبر، هبّت بقرطبة ريح عاصف وتتابع البرق واشتدّ الهول ، ونزلت صاعقة في دار أحمد بن هاشم بن عبد العزيز ، فقتلت امرأة وابطلت أخرى .

وفي سنة ٣٤١ كان للمسلمين غزو في الروم نصرهم الله فيه وفتوحات ومنوحات .

وفي آخر جمادى الاولى وردت الأخبار بأن زيري بن مناد الصنهاجي، عامل الشيعي على تاهرت، أسر سعيد بن خزر زعيم زناتة وكبيرها .

وفي هذا الوقت ورد كتاب ابن يعلى قائد الاسطول بقبضه لرهن محمد بن ادريس الحسني كبير امراء الادارسة .

وفي آخر جمادى الآخرة وصل الى قرطبة فتوح بن الخير ابن محمد بن خزر، كبير أمراء زناتة بأرض الغرب، وافداً الى الحضرة ومعه وجوه أهل تاهرت ووهران، وادخلت بين يديه الرؤوس التي احتزّها القواد المشارقة ووجوههم من رجال اسماعيل الشيعي، يقدمها رأس ميسور الخصي ورأس محمد بن

ميمون وغيرهما من رؤوس اعلام الشيعة ، وعشرة من بنودهم ادخلت منكسة معها عدّة من طبولهم ، فرفعت هذه الرؤوس والبنود والطبول على باب قصر قرطبة ، وأقيمت له ولمن جاء معه الكرامات الواسعة .

وفي سنة ٣٤٣ قدمت رسل هونوا ملك الصقالبة على الناصر .

وفيها خرج القائد احمد بن يعلى غازياً الى جليقية فمنحه الله في الكفار القتل للرجال والسبي للذرية والعيال واحراق القرى وانتساف النعم ، فقرىء كتابه يوم الجمعة لليلتين بقيتا من ربيع الاول بقرطبة ، وقرىء معه كتاب القائد غالب يذكر عظيم ما فتح الله عليه ومنحه من نكاية المشركين ؛ ثم دخلت الرؤوس الى قرطبة ومعها النواقيس والصلبان ، فقرّتْ عيون أهل الاسلام .

وفي سنة ٣٤٣ ولّى الناصر مدينة طليطلة القائد احمد بن يعلى وصرف عنها محمد بن عبد الله بن جدير .

وفيها فصل القائد حميد بن يصل المستأمن الى الناصر بالجيش الذي ضمّه اليه الى بلاد الغرب ، وخرج معه القرشي السليماني المستأمن الى الناصر أيضاً ، الذي كان أميراً على مدينتي تونس وارشقول وما بينهما من ارض افريقية ، فاخرجه عنها قواد الشيعي ، واسمه علي بن يحيى ، ينتسب الى علي بن أبي طالب

( رضه ) ، فكان خروجهما من بين يدي الناصر بعد ان خلع عليهما خلع الوداع ، بعد خلع تقدّمت له عليهما بيوم قبل وصولهما من دراريع الديباج والخز وعمائم الشرب المذهبة وغير ذلك ، ودفع لحميد سبعة عشر الفاً للنفقة على الجند ، ومن احمال الكسوة سبعة احمال .

وفيها وصل الى قرطبة وفد ازداجة من البربر الذين انحاشوا الى الطاعة ، فكساهم الناصر ووصلهم ؛ وورد كتاب فتح من حميد ابن يصل ، قائد الناصر بالعدوة ، بما فتح الله عليه من مدينة اسلان وانتشار الدعوة الاموية بنواحيها .

وفيها قدم الحجاج فذكروا انه وقع بفسطاط مصر حريق عظيم احترق فيه ستة عشر ألفاً بين دار ومسكن .

وفي سنة ٣٤٤ وردت قواد الثغور لسبع خلون من ربيع الآخر على الناصر ، وفيهم غالب ومطرف ومحمد بن يعلى وعبد الله بن احمد بن يعلى وهذيل بن هاشم التجيبي ومروان بن رزين وعامر بن طرف بن ذي النون ، يذكرون انهم دخلوا الى ارض العدو وقصدوا حصناً من بلد قشتيلة فتغلبوا على ارباضه وقتلوا جماعة من أهله وقفلوا عنه ، فوافَتْهم جموع النصرانية ، فأيَّد الله المسلمين ، وانهزم المشركون أمامهم مقدار عشرة أميال ، يقتلونهم كيف شاؤوا ، فاحصي انه قتل منهم مقدار عشرة

آلاف؛ وكانت هذه الوقيعة بينهم لليلة بقيت من ربيع الآخر منها، فقرئ كتابهم بهذا الفتح الجليل بقرطبة ؛ ثم وردت الى قرطبة الرؤوس المحتزّة في هذه الهزيمة نحو خمسة آلاف رأس، فأمر الناصر برفعها على الخشب حوالي سور قرطبة .

ولسبع خلون من جمادى الاولى كانت بقرطبة زلزلة عظيمة ظاهرة الهزّة ، وعادت زلزلة أخرى مثلها يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت منه ، وذلك عند الظهر .

وفيها ثقف الناصر أمور الخدمة السلطانية ووزعها بين وزرائه ، فقلد الوزير جهور بن أبي عبدة النظر في كتب جميع أهل الخدمة ؛ وقلد الوزير أحمد بن فطيس النظر في كتب أهل الثغور والسواحل والأطراف وغير ذلك ؛ وقلّد الوزير الكاتب عبد الرحمن الزجالي النظر في تنفيذ كل ما يخرجه من العهود والتوقيعات ، وينفذ به الأمر أو الرأي وغير ذلك ؛ وقلّد الوزير محمد بن جدير النظر في مطالب الناس وحوائجهم وتنجيز التوقيعات لهم، فالتزم القوم ما ألزموا، فاعتدل بهم ميزان الخدمة وسهلت مطالب الرعية .

وفيها ورد كتاب يعلى بن حميد ، قائد العدوة من قِبَل الناصر، بما فتح الله عليه في قائد الشيعي معدّ بن اسمعيل، صاحب افريقية، من هزيمته له وقتله من قتل من رجاله وغير ذلك؛ ووصل

الى قرطبة ابن عمّ حميد بن يصل ومعه ستة وثلاثون من وجوه كتامة وغيرهم من القبائل المستأمنين اليه من عسكر الشيعي ، فأمر الناصر بانزالهم وجلس لهم على سريره بقصر الزهراء يوم الثلثاء لاربع خلون منه ، فوصلوا اليه فرأوا مقاماً جليلاً ، وكلموه فردّ عليهم جميلاً وأحسن موعدهم وأمر بالخلع عليهم ، ووصلوا بصلات جزلات وأمروا بالرجوع الى القائد حميد بن يصل .

وفيها أمر الناصر باطلاق اللعن على ملوك الشيعه بجميع منابر الاندلس ، وانفاذ كُتُبِه بذلك الى العمال بسائر الاقطار .

وفي سنة ٣٤٥ وطيء غالب قائد اسطول الناصر أرض سواحل افريقية من عمل الشيعي .

وفيها قدم محمد بن حسين رسولاً كان من الناصر الى الطاغية أردون بن ردمير ملك جليقية، ومعه شبروط اليهودي، بكتابه الى الناصر ، راغباً منه في الصلح ، فاسعفه الناصر في ذلك على اختيار ولده الحكم ، واشترط على الطاغية شروطاً ، وانصرفت رسله بذلك .

وفيها قتل محمد بن أبي العيش الادريسي أمير الغرب .

وفيها خرج قاسم بن عبد الرحمن الى حميد بن يصل ، قائد الناصر بالغرب ، من قرطبة باحد عشر حملاً من المال واحمال

العدة تقويةً على الذبّ عن الدولة المروانية بالغرب، وذلك لخمس خلون من صفر منها؛ ولما كان يوم النصف منه ورد كتاب حميد بدخوله مدينة تلمسان .

وفي سنة ٣٤٦ قدم الى الناصر امراء بني رزين ومن التفّ اليهم ، فوصل الى الناصر كبيرهم مروان بن هذيل بن رزين الثائر بالسهلة المنسوبة اليهم ، فأدنوا واكرموا .

وفيها برز القائد غالب الناصري الى فحص السرادق غازياً الى دار الحرب ، ففُتِح عليه في بلاد المشركين وفَتَح الحصون وقتل المقاتلة، واكتسح بسيط عدو الله غرسية بن شانجه ملكهم، وخرب قراه، ورجع بالمسلمين ظاهرين ؛ وكذلك برز القائد أحمد ابن يعلى للغزو الى بلد العدو تالياً للقائد غالب، فورد كتابه يوم الأحد لخمس بقين من ربيع الآخر بفتح عظيم تهيّأ له في غزوه الى جليقية ، وانه اثخن في قتلهم وجزّ من رؤوسهم أربعمائة، واستاق من الماشية والكراع ما فات الاحصاء .

وفي سنة ٣٤٧ في أول المحرم أمر الناصر صاحب الشرطة القائد احمد بن يعلى بالخروج غازياً في الاسطول الى بلد الشيعي معدّ بن اسمعيل ،صاحب افريقية ،فبرز ابن يعلى الى محلّة الربض، لغزاته هذه ، يوم الخميس لثمان خلون منه، وكان بروزه فخماً خرج اليه من النّظّارة من أهل قرطبة رجالهم ونساؤهم

وابناؤهم وولدانهم، خلق لا يحصيهم الا خالقهم، فانتشروا بأكناف الربض على عادتهم ، فأخذ السفلة منهم والغوغاء يتقاذفون بالحجارة ، حاكين صفّي القتال ، فدخل في عرضهم قوم من الطنجيين من جند السلطان ، حشروا الضراب بينهم حتى حمي وطيسه ، وقد تكنّف صفَّيْهم من النظارة بالرجال والنساء خلق عظيم ، فلم يك الا ساعة ودارت بينهم جولة ظهر فيها أحد صفَّيْهم ، فمالوا على مغلوبهم وانبسطوا عليهم، فامتدّ الطنجيون بغالب شرّهم وجهلهم الى نهب مغلوبهم من الرجال ، وتخطوهم الى من حولهم من النظارة ، وانبسطوا على النساء فسلبوهن ثيابهن وفضحوا كثيراً منهن، فجعل المجردات من النساء يتوارين في الزرع المكتّل حياء من الناس وترقُّباً لوقت تفرُّقهم ، وشرح ذلك يطول .

وفي جمادى الآخرة منها ورد كتاب قائد الاسطول احمد ابن يعلى ، من مدينة افسلان من عمل تلمسان ، يذكر ان جوهراً قائد معدّ بن اسمعيل ، صاحب افريقية، قتل يعلى بن محمد بن صالح اليفرني، صاحب مدينة افكان ، غدراً ، وان ابن عمه انتصب مكانه باقامة قومه له ، ورجع القائد المذكور الى قرطبة ، ومعه ولد بن قرة ابن عمّ يعلى بن محمد المتقدم الذكر ، المقدم بعده في قومه بني يفرن ، فبولغ في اكرامه .

وفي سنة ٣٤٨ في اول ربيع الآخر منها خرج علي بن يحيى الحسني الى شرشل، مكانه من العدوة ، قائداً بمن انضمّ اليه من الحشم لمكافحة اصحاب الشيعي صاحب افريقية .

وفي اول ذي القعدة منها أوصل الناصر الى نفسه حَريز بن منذر في جماعة من وجوه الموالي والعرفاء ورجال الجند، يأمرهم جميعاً بالخروج الى مدينة سبتة من أرض العدوة مع بدر الفتى الكبير، صاحب السيف، لتنفيذ العدد فيها من اجل جولان جوهر قائد معدّ الشيعي، صاحب القيروان، بارض العدوة، فنفذوا لامره ومكثوا لذلك الى ان امنت الحادثة، فانصرفوا مع القائد بدر آخر ذي الحجة من السنة .

وفي سنة ٣٤٩ كان ابتداءُ علّة الناصر ، وذلك يوم الاربعاء لاحدى عشرة ليلة خلت من صفر، وذلك نصف النهار منه، طرقت أمير المؤمنين الناصر علته الصعبة من الريح الباردة، فأرجف به وخيف عليه، واكبّت الاطباء على معالجته الى ان ظهر عليه تجفيف، فتجشّم القعود لخاصته في العشر الاول لجمادى الاولى، فوصل اليه الفتيان الاكابر: صاحب الطراز وخواص اكابر العبيد كمظفر وذويه، فاستبشر أهل المملكة بما بدا لهم من انحطاط مرضه، وسألوا الله كمال عافيته، والقضاء قد سبق بموته من علته، فلم تفارقه ، تخفّ حيناً وتثقل حيناً، الى ان قضت عليه في سنة ٣٥٠ بعدها .

بعض أخبار الناصر رحمه الله على الجملة

كان الناصر رحمه الله ملكاً ادال اللواء وحسم الادواء وقهر الاعادي وعدل في الحاضر والبادي ، قد اسس الاسوس وغرس الغروس ، واتخذ المصانع والقصور وترك أعلاماً باقية الى النفخ في الصور ؛ فاعتبرْ بالزهراء كم بها من قصر مشيد وآثار ملوك وعبيد ، قد عادت معاهدها بعدهم دارسة وآثارها دونهم طامسة ، تسفي الرياح بجنباتها وتبكي الغيوم على عرصاتها .

ولما ولي الناصر لدين الله اعتزّ ركن الدين واحتمى ذمار المسلمين ، وقام الجهاد على ساق وخمدت نار الخلاف والشقاق ، ودخل الناس في طاعته أفواجاً واستنفروا الى دعوته أفراداً وأزواجاً ، فناهيك من فضل اعطاهم وعدل كنفهم به وغطاهم ، وتكرمة انالهم اياها ومبرة ابدى لهم محياها ؛ قد ملك سبتة وما يليها من الاقطار وطرد عنها ملوك الادارسة طرد الليل النهار ، وبث عماله وقواده فيها ، وطاعت له البرابر في جميع نواحيها ، واعتصموا بحبله ولاذوا بفضله وعدله ؛ وكان اصطفى مولاه بدراً وجعله شمساً لملكه وبدراً ، وقلّده خطة الحجاب وجعل له النفي والايجاب ، فشدّ ملكه بقوة ساعد ؛ ثم قدم موسى بن جدير ، فكمل به الملك ... واتفق له من الجد ما

اتفق ، فقاد عسكراً مَجْراً وجر الدنيا جرّاً ؛ ومن قول ابن عبد ربه فيه :

قد اوضح الله للاسلام منهاجا ؛
والناس قد دخلوا في الدين افواجا

وقد تزيَّنت الدنيا لساكنها ،
كأنما لبست وشياً وديباجا

يابن الخلائف ان المزن لو علمت
نداك ، ما كان منها الماء ثجّاجا

والحرب لو علمت حرباً تصول به ،
ما هيَّجَتْ من حُمَيَّاك الذي اهتاجا

مات النفاق واعطى الكفر ذمته ،
وذلت الخيل إلجاماً وإسراجا

واصبح النصر معقوداً بألوية ،
تطوي المراحل تهجيراً وإدلاجا

ان الخلافة لن ترضى ولا رضيت ،
حتى عقدت لها في رأسك التاجا[1]

ومن مناقبه انه لم يبق في القصر ، الذي هو من مصانع اجداده ومعالم اوليته ، بَنيَّة الا وله فيها اثر محدث ، اما بتجديد أو

---

١ في الاصل : لم ترض ، والتصحيح عن العقد الفريد .

بتزييد ؛ ومن مناقبه كثرة جوده الذي لم يعرف لاحد مثله من أجواد الجاهلية والاسلام ، حتى قيل فيه رحمة الله عليه :

يابن الخلائف والعلى للمعتلي ؛
والمجد يعرف فضله للمفضل

نوّهت بالخلفاءِ بل اخملتهم ،
حتى كأنّ نبيلهم لم ينبل

أذكرت ،بل أنسيت ماذكر الورى
من فعلهم ، فكأنه لم يُفعل

واتيت آخرهم ، وشأوك فائتٌ
للآخرين ومدرك للأول

تأبى فعالك أن تُعَدّ لآخر
منهم ، وجودك أن يُعَدّ لأول

وكم للناصر رحمه الله من غزوات مذكورة وفتوحات مشهورة ، يبقى في الاعقاب فخرها ولا يبلى على مرّ الاحقاب أثرها .

وقد نظم ابن عبد ربه في غزواته ارجوزة من سنة ٣٠١ الى سنة ٣٢٢، وقد اطال الشعراء في مدحه واطنبوا في شكره، ولولا أن الناس مكتفون بما في أيديهم منها لأعدْنا هنا ذكرها

أو ذكر بعضها ، ولكن المذهب هنــا الاقتصار والايجاز والاختصار .

حكاية

ومما ذكر من أفضاله مع بعض عماله ، قــال حيان بن خلف : كان محمـد بن سعيد المعروف بابن السليم قـد احتجن اموالاً كثيرة بتصرُّفه ، في كبار الولايات ، في المدة الطويلة ، فعلم ذلك منه الناصر فعرض له مراراً في أن يسهمه فيه عن طيب نفس منه ، وهو ملكه ولو شاء لأخذه منـه ، ولكن أبى ذلك كرم طبعه . فقال في مجلسه يوماً : ما بال رجال من خاصتنا توسَّعوا في دنيانا، فطفقوا يحتجنون الاموال ويضيعون لعبدنا ، وهم يرون غليظ مؤونتنا في الانفاق على شؤوننا ، التي بقدرتنا عليها صلاح احوالهم ورفاهية عيشهم؛ ويعلمون أن أمير المؤمنـين عمر بن الخطاب (رضه) قاسمَ عُمّـاله قسطاً من الموازين في أرباحهم في عمالاتهم، فصيَّـرها في بيت المال، وهم من هم وهو من هو ، والاسوة في فعله . فسكت ابن السليم عنه وخالطه في تعريضه كأنه يعني غيره، فازداد الناصر حنقاً عليه وغيظاً . فقال له يوماً في بعض مجالسه الخاصة معه ، وقد أخـذ الشراب منه وشق تفاحة بسكين في يده: وددت ان اشقَّ هكذا

رأس من أعرف له مالاً كثيراً غلّه دوننا ولم يسهم بيت المال منه. فطار عقل ابن السليم ولم يختلجه الشك في انه المعني به، فقام بين يديه وقال : يا أمير المؤمنين طالما عرّضت بي فسكتُّ؛ بلى والله ان عندي مالاً كثيراً، وهو دون ظنك فيه، حطته بالتقتير وأعددته للدهر العثور، ولست والله أعطيك منه درهماً فما فوقه ورأيك في جميل، الا ان تستحلّ، وأعوذ بالله ان تمدّ يدك اليه بغير جناية مني عليك، فان الانفس محضرة الشحّ.

قال : فخجل الناصر واطرق يتلو قول الله تعالى : ان يسألكموها فيُحفِكم تبخلوا ويُخرجْ اضغانكم. ثم أقبل على ابن السليم يؤنسه ويسكن جأشه الى ان اعتدل مجلسه، فجعل يمعن في الشرب طلباً للسكر للذي خامره من الذعر، فقال له الناصر : خفّض عليك يا محمد فلا سبيل اليك.

فلما سكر ابن السليم تهوّع فقذف، وابتدره الوصفاء بالطست والمناديل، فأقبل الناصر وأخذ برأسه يمسكه ويقول له : استفرغ ما في معدتك وتأنّ بنفسك. فانكر ابن السليم كلامه بين الخدم وصرف اليه رأسه واذا به الناصر، فما تمالك ان خرّ الى رجليه يقبّلهما ويقول : يابن الخلائف الى هنا انتهيتَ من برّي ؟ وجعل يدعو له ويعظم شكره. فقال له الناصر : ليتني أخرج كفافاً من شأني معك الليلة تأنيساً باخافة

والطافاً بجفوة؛ ثم أمر له بكسوة، وانقلب الى اهله ، فكان هذا مما يعدّ من كرمه وفضله . فلما مضت أيام ارسل ابن السليم الى الناصر بمائة ألف ... فقبلها الناصر وشكر فضله ، وعوّضه بكبير الولاية وصحبته منه النعمة العريضة الى حين وفاته .

حكاية

ومازح الناصر رحمه الله يوماً وزيره أبا القاسم لباً فقال له : يا لب ، اهج الوزير عبد الملك بن جهور . فامتنع عليه . فقال لابن جهور : فاهجه أنت اذ أبى هو من هجوك . فقال : يا أمير المؤمنين ، أتوقى عرضي منه وأصون نفسي عنه . فقال الناصر : فأنا أهجوه ، فقال :

لب أبو القاسم ذو لحية
طويلة في طولها ميلُ

ثم قال لابن جهور : لا بُدّ لك من تذييل هذا البيت ودع الاعتذار . فقال :

وعرضها ميلان ان كسرت ،
والعقل مأفون ومدخول

لو أنه احتاج الى غسلها ،
لم يكفه في غسلها النيل

فضحك الناصر وقال للب: انـه قد سبّب لك القول فقل.

فقال لب:

قـال أمين الله في خلقه:
لي لحية ازرى بها الطول

وابن عمير قال قول الذي
مـأكولُه القرطيل والفول

لولا حيائي من إمام الهدى،
نخستُ بالمِنْخس، شو؟ قولوا!

فلما بلغ لب الى قوله شو سكت، فقال له الناصر: قولوا. فأتمّ له على نحو مـا اضمر فقال له: أنت هجوته يا مولاي. فضحك الناصر وأمر له بصلة.

وكان الناصر قد خرج يوماً على فرس أبلق والوزراء قد حفّوا به، فقال ابن عبد ربه من قصيدة:

بدر بدا مِن تحتـه ابلق، يحسد فيـه المغربَ المشرقُ
لو يعلم الابلق مَن فوقه، لاختال من عجب به الابلق
إمـام عدل باسط كفـه، يرزق منهـا الله من يرزق

وكان لما ترعرع ابنه الحكم بن عبد الرحمن ولاه العهد من بعده، وكان له أخ اسمه عبد الله، فحسده على ذلك واجتمع عليه

قوم، واراد قتل أخيه واتفق مع أصحابه أن يبادروه، فافتضحوا وقتلوا جميعاً كما تقدّم ؛ وأما الولد عبد الله فذكر انه أخرجه أبوه الناصر ثاني يوم عيد الأضحى ، فذبح بين يديه .

والناصر هو الذي زاد في المسجد الجامع بقرطبة زيادته المشهورة ، وفيها القبو الكبير الذي يصطفُّ المؤذنون امامه يوم الجمعة للاذان ، وهو من اعجب البنيان .

واذ قد وقع ذكر المسجد الجامع بقرطبة ، فالواجب ان نذكر أول من أحدثه ومن تولى بناءه من ملوك بني أمية على سبيل الاختصار فنقول :

ذكر الرازي عن الفقيه محمد بن عيسى انه قال : لما افتتح المسلمون الاندلس استدلُّوا بما فعل أبو عبيدة وخالد ( رضهما ) ، عن رأي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ( رضه ) ، من مشاطرة الروم في كنائسهم : مثل كنيسة دمشق وغيرها مما أخذوه صلحاً ، فشاطر المسلمون اعاجم قرطبة في كنيستهم العظمى ، التي كانت بداخلها ، وابتنى المسلمون في ذلك الشطر مسجداً جامعاً ، وبقي الشطر الثاني بأيدي الروم ، وهدمت عليهم سائر الكنائس .

فلما كثر المسلمون بالاندلس وعمرت قرطبة ونزلها أمراء العرب بجيوشهم ، ضاق عنهم ذلك المسجد وجعلوا يعلّقون منه سقائف ، فنال الناس من الضيق مشقة عظيمة ، فلما دخل

عبد الرحمن بن معاوية الأندلس وسكن قرطبة نظر في امر الجامع وتوسيعه واتقان بنائه ، فأحضر اعاجم قرطبة وسألهم بيع ما بقي بايديهم من الكنيسة المذكورة ، واوسع لهم البدل فيه وفاءً بالعهد الذي صولحوا عليه ، وأباح لهم بناء كنائسهم التي كانت هُدمت عليهم في وقت الفتح بخارج قرطبة ، وخرجوا عن الشطر فأدخله في الجامع المعظم ؛ وكان شروع عبد الرحمن الداخل في هدم الكنيسة وبناء الجامع سنة ١٦٩ ، وتمّ بناؤه وكملت بلاطاته واشتملت اسواره في سنة ١٧٠ ، فذلك مدة من عام واحد ؛ وقيل ان النفقة التي أنفق عبد الرحمن بطول هذه السنة في بناء الجامع ثمانون ألفاً بالوازنة ، وفي ذلك يقول البلوي ، رحمه الله :

وابرز ، في ذات الاله ووجهه ،
ثمانين ألفاً من لجين وعسجد

فانفقها في مسجد أُسّه التقى ،
ومنهجه دين النبي محمد

ثم زاد ابنه هشام صومعة كان ارتفاعها أربعين ذراعاً الى موضع الاذان ، وبنى بآخر المسجد سقائف لصلاة النساء ، وامر ببناء الميضأة بشرقي الجامع ، واقام الجامع على هيئته تلك الى أيام عبد الرحمن بن الحكم ؛ ثم زاد عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن

عبد الرحمن الداخل الزيادة المنتظمة بالارجل، طولها خمسون ذراعاً، وعرضها مائة وخمسون، وعدد سواريها ثمانون سارية؛ وكان الفراغ من هذه الزيادة في جمادى الاولى سنة ٢٣٤؛ ثم زاد الأمير محمد بن عبد الرحمن ان أمر باتقان طرر الجامع وتنميق نقوشه، وباقامة المقصورة، وجعل لها ثلاثة أبواب؛ فلما كمل ما أمر به في الجامع دخله وصلى فيه ركعات خشع فيها، فقال في ذلك موسى بن سعيد:

لعمري لقد أبدى الامام التواضعا،
فاصبح للدنيا وللدين جامعا

بنى مسجداً لم يُبنَ في الارض مثله،
وصلى به شكراً لذي العرش راكعا

فطوبى لمن كان الامير محمد
له، اذ دعا فيه، الى الله، شافعا

ثم زاد المنذر بن محمد البيت المعروف ببيت المال في الجامع فوضع فيه الأموال الموقفة لغياب المسلمين، وأمر بتجديد السقاية واصلاح السقائف، ثم زاد أخوه الأمير عبد الله بن محمد ساباطاً معقوداً على حنايا، وصلى فيه ما بين القصر والجامع من جهة الغرب؛ ثم أمر بستارة من آخر هذا الساباط الى ان وصلها بالمحراب، وفتح الى المقصورة باباً كان يخرج منه الى الصلاة؛

وهو اول من اتخـــذ ذلك من أمراء بني أميـة بالأندلس رحمهم الله .

رجع الخبر لذكر الناصر

قيل انـه أنفق في صومعة المسجـد وفي تعديـل المسجد وبنيان الوجه للبلاطات الاحدى عشرة بلاطة سبعة امداء وكيلين ونصف كيل من الدراهم القاسمية؛ وجملة ما انفق عبد الرحمن الناصر في بناء مدينة الزهراء خمسة وعشرون مدياً من الدراهم القاسمية وستة أقفزة وثلاثة أكيال ونصف .

ذكر بنيان مدينة الزهراء بقرطبة أعادها الله

ابتـدىء بنيانها في أيام الناصر من اول سنة ٣٢٥، وكان يصرف فيها كل يوم من الصخر المنجور ستة آلاف صخرة سوى التبليط في الأسوس، وجلب اليها الرخام من قرطاجنة افريقية ومن تونس ، وكان الأمنـاء الذين جلبوه عبـد الله بن يونس وحسن القرطبي وعلي بن جعفر الاسكنـدراني ، وكان الناصر يصلهم على كل رخامة بثلاثة دنانير وعلى كل سارية بثمانية دنانير سجلماسية ، وكان فيهـا من السواري أربعـــة آلاف سارية وثلاثمائة سارية وثلاث عشرة سارية؛ المجلوبة منها من افريقية

الف سارية وثلاث عشرة سارية ؛ وأهدى اليه ملك الروم مائة وأربعين سارية ، وسائر ذلك من رخام الأندلس .

وأما الحوض الغريب المنقوش المذهب بالتماثيل فلا قيمة له، جلبه ربيع الاسقف من القسطنطينية من مكان الى مكان حتى وصل في البحر ، ووضعه الناصر في بيت المنام ، في المجلس الشرقي ، المعروف بالمونس ؛ وكان عليه اثنا عشر تمثالاً من الذهب الاحمر مرصعاً بالدر النفيس الغالي مما صنعه بدار الصنعة بقصر قرطبة ؛ وكان المتولي لهذا البنيان المذكور ابنه الحكم، لم يتّكل الناصر فيه على أمين غيره ، وكان يخبز في أيامه كل يوم برسم حيتان البحيرات ثماني مائة خبزة ، وهذا من اعظم الاشياء، الى ما فوق ذلك، وكان الناصر قد قسم الجباية على ثلاثة اثلاث : ثلث للجند وثلث للبناء وثلث مدخر ، وكانت جباية الاندلس يومئذ من الكور والقرى خمسة آلاف ألف واربعمائة ألف وثمانين ألف دينار ، ومن المستخلص والاسواق سبع مائة ألف دينار وخمسة وستين ألف دينار .

ومما قيل في آثار مدينة قرطبة وعظمها حين تكامل
امرها في مدة بني امية ، رحمهم الله تعالى

ان عدة الدور التي بداخلها للرعية دون الوزراء واكابر أهل الخدمة مائة ألف دار وثلاثة عشر ألف دار ، ومساجدها ثلاثة

آلاف، وعدة الدور التي بقصرها الزهراء اربعمائة دار، وذلك لسكنى السلطان وحاشيته وأهل بيته، وعدد الفتيان الصقالبة ثلاثة آلاف وسبع مائة وخمسون، وعدة النساء بقصر الزهراء الكبار والصغار وخدم الخدمة ستة آلاف وثلاثمائة امرأة، وكان لهؤلاء من اللحم ثلاثة عشر ألف رطل ينقسم من عشرة ارطال للشخص الى ما دون ذلك سوى الدجاج والحجل وصنوف الطير وضروب الحيتان؛ وعدد حماماتها ثلاثمائة حمام، وقيل انها المبرزة للنساء، وكان عـدد أرباض قرطبة، أعادها الله للاسلام، في ذلك الوقت ثمانية وعشرين ربضاً، منها مدينتان: الزهراء والزاهرة؛ وأما اليتيمة التي كانت في المجلس البديع فانها كانت من تحف قيصر اليوناني صاحب القسطنطينية، بعث بها للناصر مع تحف كثيرة سنية، فسبحان من لا يبيد ملكه ولا ينقطع عزّه.

وفي سنة ٣٥٠ توفي الناصر رحمه الله، وذلك في صدر رمضان منها، ووجد بخطه تاريخ قال فيه: أيام السرور التي صفَتْ لي دون تكدير يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا، فعُدَّت تلك الأيام فوجـد فيها أربعة عشر يوماً، فاعجبْ ايها الغافل لهذه الدنيا وعـدم صفائها وبخلها بكمال الأحوال لأوليائها. ان الخليفة الناصر ملك خمسين سنة وسبعة اشهر وثلاثـة أيام ولم يصفُ له من الدنيا الا أربعة عشر يوماً، فسبحان ذي العزّة العالية والمملكة الباقية، تبارك اسمه وتعالى جده!

وممن رثاه جعفر بن عثمان المصحفي فقال :

الا انَّ أياماً هفَتْ بامامها، لجائرة مشتطَّة في احتكامها

فلم يؤلم الدنيا عظام خطوبها واحداثها، الا قلوب عظامها

تأمّلْ ! فهل من طالع غير آفل بهنَّ، وهل من قاعد لقيامها

وعايِنْ ،فهل من عائش برضاعها، من الناس، الا ميّت بفطامها

كأنَّ نفوس الناس كانت بنفسه، فلما توارى ايقنت بحمامها

فطار بها يأس الأسى، وتقاصرت يد الصبر عن إعوالها واحتدامها

# خلافة الحكم بن عبد الرحمن المستنصر بالله

نسبه : الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل.

كنيته : أبو المطرف .

أُمه : اسمها مهرجان .

عمره : ثلاث وستون سنة وسبعة أشهر .

بويع بعد موت أبيه لثلاث خلون لرمضان سنة ٣٥٠ وتوفي ليلة الاحد لثلاث خلون من صفر من سنة ٣٦٦ ، فكانت دولته خمس عشرة سنة وسبعة اشهر وثلاثة أيام .

لقبه : المستنصر بالله .

صفته : أبيض مشرب حمرةً اعين اقنى جهير الصوت قصير الساقين ضخم الجسم غليظ العنق عظيم الساعدين افقم .

قضاته : منذر بن سعيد البلوطي قاضي أبيه ثم أبو بكر محمد بن السليم .

نقش خاتمه : الحكم بقضاء الله راضٍ .

وافتتح خلافته بالنظر في الزيادة في المسجد الجامع بقرطبة، وهو أول عهد أنفذه ، وقلّد ذلك حاجبه وسيف دولته جعفر بن عبد الرحمن الصقلبي ، وذلك لاربع خلون لرمضان من السنة ، وهو

اليوم الثاني من يوم خلافته ، فكان أول ما عهد اليه تقديم النظر في سوق الصخور التي هي اس البنيان، فابتدىء بانتقالها في رمضان المذكور، وكان قصر قرطبة قد كثر به الناس، فضاق الجامع عن حملهم ونالهم التعب في ازدحامهم، فسارع المستنصر الى الزيادة فيه فخرج لتقديرها وتفصيل بنيانها واحضر لها الاشياخ والمهندسين، فحدّوا هذه الزيادة من قبلة المسجد الى آخر الفضاء مادّاً بالطول لاحد عشر بلاطاً، وكان طول الزيادة من الشمال الى الجنوب خمسة وتسعين ذراعاً، وعرضها من الشرق الى الغرب مثل عرض الجامع سواء، وقطع من هذا ساباط القصر المتخذ لخروج الخليفة الى الصلاة الى جانب المنبر بداخل المقصورة، فجاءت هذه الزيادة من أحسن ما زيد في المسجد .

### ذكر الحبس الذي حبس المستنصر بالله على الجامع بقرطبة

لما كملت زيادته احضر الفقهاء والعدول الشهداء وأعيان الناس ووجوههم وقضاتهم وائمّتهم ، فحمد الله واثنى عليه ، وجدّد شكره على توفيقه لاجراء هذه البنية الكريمة على يديه ، وانه تلقّى هذه النعمة العظيمة بأن حبس ربع جميع ما جرّته اليه الوراثة عن أبيه أمير المؤمنين ، في جميع كور الأندلس وأقاليمها، على ثغور الأندلس كافة تفرق عليهم غلات هذه الضياع

عاماً بعد عام على ضعفائهم، الا ان تكون بقرطبة مجاعة فتفرق فيهم الا ان يجيرهم الله، وجعل القبض والنظر في هذا الحبس الى حاجبه وسيف دولته جعفر ، وجعل دفع ذلك الى وزيره وكاتبه عيسى بن فطيس ، وأشهد الحاضرين على ذلك ، وأشهد أيضاً بعتق كل مملوك له من الذكران ، وخرج غازياً الى بلاد المشركين .

وفي سنة ٣٥٢ غزا الحكم المستنصر بالله بلاد الروم ففتح بها حصوناً كثيرة ومدناً جليلة وسبى وغنم وانصرف غانماً ظافراً .

وفيها وفد عليه أبو صالح زمور البرغواطي رسولاً من ملك برغواطة أبي منصور عيسى بن أبي الانصار، فسأله الحكم عن انساب برغواطة ومذاهبهم ، فأخبره بما تقدّم في الجزء الاول .

وكان الحكم قد أنفذ الكتب في محرم من سنة ٣٥١ الى جميع الولاة والقواد والعمال بأقطار الاندلس ، يأمرهم بارتباط الخيل والقيام عليها والاستعداد والاسلحة والآلات برسم الجهاد في سبيل الله .

وفيها عزل عبد الله بن بدر عن شرطة المدينة بقرطبة وولاها محمد بن جوهر وأنفذ له سجلاً بذلك بخط يده .

وفيها استُحْجب جعفر الصقلبي الفتى الكبير الناصري .

وفيها وفد على المستنصر بالله اردون بن اذفونش الاحدب، من ملوك الجلالقة، المنازع لابن عمه شانجه بن ردمير سابقِهِ الى ولاية ملكهم، فبالغ في اكرامه في خبر طويل، وكان للفصحاء في ذلك مقامـات وأشعار يطول الكتاب بذكرها، فمن قول عبد الملك بن سعيد من قصيدة :

مُلْكُ الخليفة آية الاقبال ، وسعوده موصولة بتوالِ
فالمسلمون بعزَّة وبرفعة ، والمشركون بذلَّة وسفال
ألقت بأيديها الاعاجم نحوه، متوقّعين لصولة الرئبـال
هـذا أميرهم أتاه آخـذاً منه أواصر ذمَّةٍ وحبال

وفيها وصل قرطبة ارسال شانجه بن ردمير، منازع الطاغية اردون ابن عمه ملك الجلالقة، ومعهم عبد الرحمن بن جَحّاف قاضي بلنسية وأيوب بن الطويل وغيرهما، فتوصّلوا كلهم الى المستنصر في ربيـع الآخر واوصلوا كتاب شانجـه بن ردمير بجواب ما خوطب فيه وبيعته التي عقدها على نفسه وجميع أهل مملكته لامير المؤمنين المستنصر بالله ، في خبر طويل .

وفيها ولد للخليفة الحكم ولد ذَكَرٌ من حظيته التي سماها جعفراً، أم ولده، فسماه عبد الرحمن وسرَّ به سروراً عظيماً اذ كان لا يولد له ، وقالت في ذلك الشعراء والادباء فاكثروا .

وفيها ظهر نكث الجلالقة بكل جهة .

وفيها كان المدُّ الطامي بنهر قرطبة .

وفي سنة ٣٥٢ كانت غزوة شنت اشتيبن غزاهـا الحكم المستنصر بالله .

وفي سنة ٣٥٣ كانت بقرطبة مجاعة عظيمة ، فتكفّل الحكم بضعفائها ومساكينها بما يقيم ارماقهم ، ويجري نفقاته عليهم بكل ربض من أرباض قرطبة وبالزهراء .

وفيها قرىء بالجامعَيْن قرطبة والزهراء فتح ورد من قِبَل سعد الجعفري مولى الخليفة الحكم القائد بالجوف ، يذكر ما أتاحه الله على يديه في أهل جليقية وافاءه على المسلمين بسعد امامهم الزكي .

وفيها كان ازدحام الناس بالمسجد الجامع بقرطبة وتضاغطهم حتى كادت النفوس تتلف ، فأمر المستنصر بالله بتوسعته والزيادة فيه ، فأتى القاضي منذر بن سعيد الى المسجد الجامع ومعه صاحب الأحباس والفقهاء والعدول بما اجتمع قِبَله من أموال الأحباس ، فنظروا في الزيادة فيه .

وفيها انفذ المستنصر بالله أحمد بن نصر لبنيان مِدينة بثغر طليطلة وتشييدها وتوثيق أمورها ، وجعل بين يديه أحمال أموال .

وفيها تحرّك الحكم من قرطبة الى المرية توقُّعاً لما يصدر

من صاحب افريقية المحادّ لأهل الأندلس، ولمعاينة ما استكمله بها من الحصانة، ومطالعة رابطة القبطة، ومشارفة حال الرعايا بتلك الجهة .

وفيها كان خبر اللص الذي سرق بيت المال، الذي للسبيل، بداخل المسجد الجامع بقرطبة في شوال .

وفي سنة ٣٥٤ نزل الغيث بقرطبة فرويت الأرض وطاب الحرث وسرّت النفوس .

وفيها ولد هشام بن الحكم .

قال ابن حيان : كان الخليفة الحكم شديد الكلف بطلب الولد لعلوّ سنه، فبشر في بعض خلواته باشتمال ام ولده على حمل، فسرّ به وبقي يترقبه، فأتَتْه به أول خلافته، ثم مات طفلاً فأحزنه، فلما بشر بهذا فرح به فاستبشر جعفر بن عثمان وزيره ببشراه وأرسل اليه في التهنئة بذلك أبياتاً وهي :

هنيئاً للانام وللامام، كريم يستفيد على كرام
مرَجًّى للخلافة، وهو ماء، ومأمولاً لآمال عظام
اضاء على كريمته ضياه، فلم تعلم بغاشية الظلام
ولمْ لا يستضاء بجانبيها، وبين ضلوعها بدر التمام ?

قال : فلما ولدت جاريته جعفر ابنها هشاماً الملقب بالمؤيد، بشر الخليفة الحكم بطلوعه ، وجعفر بن عثمان عنده في خلوة ، فارتاح لارتياحه ، فقال على البديه يهنئه :

اطّلع البدر من حجابِهْ ، واطّرد السيف من قرابِهْ
وجاءنا وارث المعـــالي ، ليثبت الملك في نصابه
بشّرنا سيد البرايـــا بنعمة الله في كتـابه
لو كنت أعطي البشير نفسي ، لم أقض حقّاً لما أتى بـه

وفيها كملت القبّة المبتناة على المحراب في الزيادة بالمسجد ، وذلك في شهر جمادى الآخرة منها .

وفيها شرع في تنزيل الفسيفساء بالمسجد الجامع ، وكان ملك الروم بعث بهـا الى الخليفة الحكم ، وكان الحكم قد كتب له في ذلك وأمره بتوجيه صانعها اليه ، اقتداءً بمـا فعله الوليد بن عبد الملك في بنيان مسجد دمشق ، فرجع وفد الحكم بالصانع ، ومعه من الفسيفساء ثلاث مائة وعشرون قنطاراً بعث بها ملك الروم هدية ، فأمر الحكم بانزال الصانع والتوسيع عليه ، ورتب معه جملة من مماليكه لتعلُّم الصناعة ، فوضعوا ايديهم معـه في الفسيفساء المجلوبة ، وصاروا يعملون معه فابدعوا وأربوا عليه ، واستمرّوا بعـد ذلك منفردين دون الصانع القـادم اذ صدر راجعاً عند الاستغناء عنـه بعـد أن أجزل له المستنصر الصلة والكسوة .

وتداعى الى هذه البنية كل صانع حاذق من أقطار الارض ، وركب الحكم المستنصر بالله في العشر الوسط لشوال من الزهراء الى الجامع ، ودخله ونظر الى الزيادة وما تمّ فيها ، وأمر باقتلاع

السواري الأربع التي كانت في عضادة المحراب القديم الفائقة، التي لا نظير لها، وصيانتها الى ان توضع في المحراب الجديد عند اتقان إحكامه واكماله .

وفي سنة ٣٥٥ في المحرم أمر بوضع المنبر القديم الى جانب المحراب ، ونصب المقصورة القديمة ، ونصب في قبلة هذه الزيادة مقصورة من الخشب منقوشة الظاهر والباطن، مشرفة الذروة، طولها خمسة وسبعون ذراعاً، وعرضها اثنان وعشرون ذراعاً، وعلوها الى الشرفات ثمانية أذرع ؛ وكان الفراغ من هذه الزيادة ونصب المقصورة في رجب من السنة .

وفي يوم الجمعة لثمان خلون منه قرىء كتاب فتح من قِبَل سعادة الجعيفري، القائد بمدينة الفرج، يذكر ما فتح الله له وأتيح على يديه من اعداء الله المشركين .

وفي يوم الأربعاء لأربع خلون من ربيع الاول منها نفذت الكتب الى عمال الثغر الأدنى والأقصى في ارتباط الخيل والتكثير منها وجودة القيام عليها ، لما يؤمل من الجهاد بعون الله .

وفي يوم الجمعة لثلاث خلون منه قرىء بقرطبة والزهراء كتاب فتح ورد من قِبَل الوزير يحيى بن هاشم ، وكتاب فتح ورد من قبل سعد الجعفري ، وكتاب فتح ورد من قبل حريز

ابن هابل يذكرون ما منحهم الله وفتح على أيديهم من قبل أعداء الله المشركين ، وان كل واحد منهم نهض الى ما قبله من بلادهم ، فقتل وسبى واكتسح وأشجى وانصرف سالماً غانماً .

وفي أول رجب منها ورد كتاب من قصر أبي دانس على المستنصر بالله يذكر فيه ظهور اسطول المجوس ببحر الغرب ، بقرب هذا المكان ، واضطراب أهل ذلك الساحل كله لذلك ، لتقدُّم عادتهم بطروق الأندلس من قبله فيما سلف ، وكانوا في ثمانية وعشرين مركباً ، ثم ترادفت الكتب من تلك السواحل باخبارهم وانهم قد اضرُّوا بها ووصلوا الى بسيط اشبونة ، فخرج اليهم المسلمون ودارت بينهم حرب استشهد فيها من المسلمين ، وقتل فيها من الكافرين ، وخرج اسطول اشبيلية ، فاقتحموا عليهم بوادي شلب وحطموا عدة من مراكبهم ، واستنقذوا من كان فيها من المسلمين ، وقتلوا جملة من المشركين وانهزموا اثر ذلك خاسرين ، ولم تزل أخبار المجوس تصل الى قرطبة في كل وقت من ساحل الغرب الى ان صرفهم الله تعالى .

وفيها أغزى الحكم القائد غالباً ، ففتح الله له في المشركين وانصرف سالماً غانماً .

وفيها أمر الحكم لابن فطيس باقامة الاسطول بنهر قرطبة ، واتّخاذ المراكب فيها على هيئة مراكب المجوس ، أهلكهم الله ، تأميلاً لركوبهم اليها .

وفي سنة ٣٥٦ عهد الخليفة الحكم بمخاطبة العمال بكور الاندلس، يعنفهم على جرائهم ويحذرهم من سطوته وعقوبته، اذ اتّصل به ان بعضهم قد استزادوا زيادات فاحشات يعاملون بها الرعية ظلماً لهم، فانكر ذلك عليهم .

وفيها كانت غزوات للمسلمين انجلت عن هزائم المشركين .

وفيها ولى أمير المؤمنين الحكم محمد بن عبد الله بن أبي عامر، الذي رأس بعد وتلقّب بالمنصور، وكالة أبي الوليد هشام بن الحكم وفوّض اليه في جميع شؤونه، فتحرّكت حاله في الدولة.

وفي النصف من شوال قعد الخليفة الحكم على السرير بالزهراء قعوداً بهياً احتفل فيه، واوصل الى نفسه رسولين وصلا من امراءِ الغرب الادارسة، فاوصلا كتابيهم يذكرون انهم على محبّة صادقة ومودّة مستحكمة مع التزامهم للطاعة واعتقادهم للولاية، فادنى رسوليهم وألطف جوابيهم .

وفي يوم الجمعة لاربع بقين من شوال قرىء كتاب فتح ورد من قبل القائد غالب يذكر ما هيّأ الله له في كفر قشتيلة من القتل والأسر، فسرّ الخليفة بذلك ودخلت الرؤوس قرطبة .

وفي يوم السبت بعده انفذ الخليفة الحكم كتبه الى القواد والعمال بأقطار مملكته بانكار ما اتصل به من ان بعضهم يسفك دماء بعض بلا عهد ولا مشورة، وان ذلك عظم عنده وتبرّأ الى الله ممن أقدم عليه .

وفيها أجرى الماء الى سقايات الجامع والميضأتين، مع جانبيه شرقيه وغربيه، ماءً عذباً جلبه من عين بجبل قرطبة، خرق له الأرض وأجراه في قناة من حجر متقنة البناء محكمة الهندسة، أودع جوفها أنابيب الرصاص لتحفظه من كل دنس، وابتدأ جري الماء من يوم الجمعة لعشر خلون لصفر من السنة ؛ وفي جري الماء الى قرطبة يقول محمد بن شخيص في قصيد له :

وقد خرقْتَ بطون الأرض عن نطف،
من أعذب الماء، نحو البيت تجريها

طهر الجسوم، اذا زالت طهارتها،
ري القلوب، اذا حرت صواديها

قرنْتَ فخراً بأجر قلّما اقترنا،
في أمة أنت راعيها وحاميها .

وابتنى بغربي الجامع دار الصدقة، اتخذها معهداً لتفريق الصدقة رحمه الله تعالى . ومن مستحسنات أفعاله وطيبات اعماله اتخاذه المؤدّبين يعلمون اولاد الضعفاء والمساكين القرآن، حوالي المسجد الجامع، وبكل ربض من ارباض قرطبة، واجرى عليهم المرتبات، وعهد اليهم في الاجتهاد والنصح ابتغاء وجه الله العظيم، وعدد هذه المكاتب سبعة وعشرون مكتباً، منها حوالي

المسجد الجامع ثلاثة، وباقيها في كل ربض من ارباض المدينة ؛ وفي ذلك يقول ابن شخيص :

وساحة المسجد الاعلى مكللة، مكاتب لليتامى من نواحيها
لو مكنت سور القرآن من كلم، نادتك يا خير تاليها وواعيها

ووجد بخطّ الخليفة المستنصر بالله : ابتدىء بنيان الجامع، صانه الله، يوم الاحد لاربع خلون من جمادى الآخرة سنة ٣٥١، و كمل سنة ٣٥٥، وبلغت النفقة فيه الى مائتي ألف وواحد وستين الفاً وخمس مائة وسبعة وثلاثين ديناراً ودرهم ونصف، وقع : ونصف (في الاصل المنقول منه هذا، وقال انه نقله مندرساً ؛ ثم انه تعرّف بعد ذلك صحّتَه من الثقات أنه ونصف صحيح، و كذلك قال ، ووقع بخط الحكم رحمه الله) .

وفي سنة ٣٥٧ في العشر الآخر من رمضان احتلّ الوزيران القائدان غالب بن عبد الرحمن وسعيد بن الحكم الجعفري بجيوش الثغر بالصائفة على حصن قلهرة، فاقاما بساحته مدةً استظهرا بها على تمكين بنيان الحزام فيه والزيادة في ارتفاع البرج الثامن بذروته، فانتهيا من ذلك الى الارادة، وقفلا بالعسكر وقد وثقا للحصن بالامنة .

وفي سنة ٣٦٠ في محرم منها قعد الخليفة المستنصر بالله على السرير بقصر قرطبة على جري العادة من الاحتفال والزينة،

فأوصل الى نفسه عيسى بن محمد ومحمد بن العالي وحسن بن علي رسل بني محمد الحسنيين امراء الغرب ، فاوصلوا كتاب مرسلهم وذكروا ما هم عليه من الطاعة، وطلبوا بعثة رماة تقوية لهم لما يتوقعونه من حركة قائد معدّ الشيعي نحوهم، وتقرّبوا باهداء خيل وجمال وغير ذلك فقبلت منهم .

وفي صدر رمضان منها وقع الارجاف بتحرُّك المجوس الاردمانيين، لعنهم الله، وظهورهم في البحر وورومهم سواحل الاندلس الغربية على عادتهم، فازعج السلطان قائد البحر بالخروج الى المرية والتأهُّب لركوب الاسطول منها الى اشبيلية، وجمع الاساطيل كلها للركوب الى ناحية الغرب .

ذكر مقتل زيري بن مناد قائد الشيعي على تاهرت

وفي يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت لشهر رمضان منها ورد الخبر على المستنصر بالله بقتل زيري بن مناد عامل معد الشيعي وقائده على الغرب، قتله جعفر ويحيى ابنا علي المعروف بابن الأندلسي المخالفان على معد، فيمن استظهرا به عليه من زناتة ، وجدوه بناحية الغرب في حرب دارت بينهم شهدها بنو خزر وغيرهم من رؤساء القبائل القائمين على زيري بدعوة الحكم المستنصر بالله ، ففتح لهم في قتله أعظم الفتوح ، ووصل

على البغدادي كتاب جعفر المذكور بكتابه الى المستنصر .
وذكروا انتهاج الحرب العظيم بين أهل الدعوتين بالغرب .

ذكر خبر فراق جعفر بن علي المعروف بابن الاندلسي صاحب المسيلة
لمعد بن اسمعيل الشيعي صاحب افريقية، وتقربه الى الحكم المستنصر
بانضمامه الى زناتة المنحاشين الى دعوة بني أمية ، وتألب جماعتهم على
زيري بن مناد الصنهاجي، عامل معد الشيعي، على حرب بلاد الغرب
ومقتلهم لزيري عند انقضاضه عليهم

صُدّ لهم عن طريقهم متقربين بقتله الى الحكم، وسيق جعفر
ويحيى اخوه وذووهما بالعبور الى الاندلس مهديين رأس زيري،
خالعين للدعوة الشيعية ، متقلدين للدعوة الأموية الجماعية، فكان
لهما في ذلك قبول ورفعة عظيمة من الخليفة ، وقد ذكر محمد
ابن يوسف الوراق خبرهما ، قال :

وهما ابنا علي بن حمدون ، وجدُّهما الاكبر عبد الحميد ،
كان الداخل الى الاندلس من الشام ونزل بكورة البيرة ، ثم
تنقّل حفيده حمدون جد جعفر هذا الى بجاية ، وصحب أبا
عبد الله الشيعي الداعي ودخل في مذهبه ، فلما تغلّب الشيعي
على افريقية ظهر علي بن حمدون ، ثم ازداد ظهوراً في أيام
عبيد الله المهدي وحظوة ، وضمّه الى ابنه أبي القاسم ولي عهده،
فازداد حظوة لديه وخرج معه الى ارض الغرب ، فأمره ببناء

مدينة المسيلة ، وولاه عليها ، فبقي بها الى ان هلك في فتنة أبي يزيد ، سقط من جرف عالٍ اندقّت يداه ورجلاه سنة ٣٣٤، وتولى جعفر هذا ابنه المسيلة من بعده ، فلم يزل متولياً لها رفيع المنزلة عند سلطانه الى ان قَتَل محمدَ بن الخير بن خزر الزناتيّ ، القائم بدعوة بني أُمية ، زيري بنُ مناد ، فخاف جعفر من صاحب افريقية فبادر الى الفرار بنفسه مع أخيه يحيى وجميع اهله وماله سنة ٣٦٠، فصار عند بني خزر امراء زناتة ، فشقّ جعفر الصحراء معهم قاصدين لزيري، فالتقوا معهم ودارت بينهم حرب صعبة انجلت عن قتل زيري وخلق من رجاله، واحتوى الزناتيون فيها على جميع عسكر زيري وأدركوا ثأرهم منهم، ولما ان تمّ الامر لامراء زناتة وجعفر بن علي على ما املوه من الفتح في عدوهم زيري بن مناد، بادر جعفر بمراسلة الحكم الى الاندلس ملقياً بنفسه عليه معتصماً بدعوته ، ثم ارسل اليه أخاه يحيى ، ثم سار اليه بنفسه فحظي عنده .

وقال ابن حمادة : وفي ربيع الآخر من سنة ٣٦٠ التقى يوسف بن زيري الصنهاجي المشتهر اسمه ببلقين مع محمد بن الخير، أمير زناتة ، فهزمه بلقين بن زيري وقتل جماعة من أهله ورجاله، فلما ايقن محمد بن الخير ان عدوه قد أحاط به اتّكأ على سيفه فذبح به نفسه أنفةً من أن يملكه بلقين ، فأتى بأمر عظيم طار

ذكره بأرض الغرب ؛ وملك بلقين بن زيري، أثر ذلك، الغرب وقتل زناتة وهدم مدينة البصرة ولم يثن عناناً عن مدينة سبتة ومنها رجع وإليها كان انتهاؤه ، وصدر عاجزاً عنها .

وفي ذي القعدة منها خاطب المستنصر بالله قواده وعماله بكور الاندلس في استقدام كبارها واعلام رجالها لمشاهدة دخول يحيى بن علي بن حمدون وبني خزر امراء زناتة، القادمين برأس زيري بن مناد الصنهاجي قائد معدّ بن اسمعيل الشيعي، وبرؤوس اعيان اصحابه ، فلما كان يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة منها خرج صاحب السكة والمواريث وقاضي اشبيلية محمد بن أبي عامر لتلقّي جعفر بن علي ويحيى أخيه، ومعه اربعة من عتاق الخيل وبغل أشهب منتقاة من دواب الخليفة بسروج الخلافة ولجمها، ومعه الاخبية الديباجية وغير ذلك، فاحتلّ ابن ابي عامر بالمرسى، الذي خرج فيه جعفر، وبمقربة من مالقة ، ثم وصل بعد ذلك للوافدين خيل وبغال من قِبَل الخليفة وهوادج و كسوات وعماريات لعيال جعفر ، ثم قدموا الى قرطبة ببروز عظيم واحتفال لدخولهم جسيم ، حتى وصلا الخليفة ؛ وقد ذكرت الشعراء شأن فراق جعفر واخيه يحيى لسلطانهما معد بن اسمعيل ومسيرهما الى الخليفة الحكم واعترافهما بحقه ، فيما مدحت به الخليفة الحكم واكثرت في ذلك ، وقال يوسف بن هارون :

ولقد عجبْتُ لغفلة المستنصر ،
اذ أكثف الجيش اللهام لجعفر

ولو انَّ مَنْ أهواه أبْرَزَ وَجْهَه ،
قامت لواحِظُه مقامَ العسكر

وفي يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة منها جلس الخليفة الحكم فوق السرير جلوساً بهيّاً ، واوصل الى نفسه اجناد الكور ووجوه اهلها الذين استدعاهم لمشاهدة جعفر بن علي ومن أتى معه من امراء زناتة ، وأمرهم بالانصراف الى بلادهم ، فانصرف جند دمشق ، وهم أهل البيرة ، وجند حمص ، وهم أهل كورة اشبيلية ، وجند قنسرين ، وهم أهل جيان ، وجند فلسطين ، وهم أهل شذونة ، وغير هؤلاء .

وفي سنة ٣٦١ هاجت بالغرب حروب مع حسن بن قنون الحسني وقواد الحكم المستنصر بالله .

ذكر أخبار حسن بن قنون الحسني أمير
الغرب مع قواد الاندلس في هذه السنة

كان المستنصر بالله دعا محمد بن قاسم الناظر في الحشم وأمره بالخروج الى مدينة سبتة في رمضان من هذه السنة ، قائداً على من يضمُّه اليه من طوائف الأجناد ، للذي بدا من نقض حسن

ابن قنون وانحرافه الى دعوة معد ، صاحب افريقية ، واستدعائه من دنا منه من أحزابه ، مستعيناً بهم فيما اعتزم عليه من نفاقه على الحكم ، واعلانه بايقاع الدعاء للشيعي معد على منابر عمله ، فأوصى الحكم قائده محمد بن قاسم باستعماله جدّه وجهده في مغاورة ابن قنون ، وأمره إنْ أظهره الله تعالى أنْ يأخذ بالعفو والصفح واصلاح البلاد واستصلاح الرعية ، وأمره أن يستعين بمن دخل في الطاعة الاموية ؛ فكان عبوره البحر الى سبتة لاحدى عشرة بقيت من شوال منها ، وتكاملت الجيوش والاساطيل بسبتة .

وفي يوم السبت لاربع خلون من ذي القعدة ورد كتاب على المستنصر بالله بفتح طنجة ، فتحها قائده على البحر عبد الله بن رياحين ، يذكر انه نازلها بالاسطول غرة ذي القعدة ، ودعا أهلها الى الطاعة والعود الى الجماعة ، فاساؤوا الردّ عليه ، وكان حسن بن قنون داخلها يشدُّ عزائمهم ؛ فلما كان يوم الخميس خرج حسن لقتال العسكر الخارج اليه من سبتة الى تطوان ، وأبرز من طنجة عدداً كثيراً من جنده الغربيين وانصاره ، فانهزموا امام جيش الحكم وولوا مدبرين ، فلما رأى ذلك حسن فرّ هارباً في خاصة من أصحابه لا يلوي على أحد ، ولم يعرج على ما كان له ولاصحابه بطنجة من أموال وأخبية وامتعة ، فلما أمعن في فراره وأسلم

أهل طنجة خرج شيخهم ابن الفاضل الى القائد ابن رياحين مع جماعة وجوه طنجة ، وهم ينادون : الطاعة لله ولأمير المؤمنين الحكم ، ثم تقدّم ابن الفاضل الى القائد الفاضل وطلب منه الأمان لأهل بلده ، فأعطاه اياه ودخل طنجة ونهب ما كان بها لحسن بن قنون وأصحابه ، وانفذ القائد كتابه بالفتح الى الخليفة .

وورد كتاب القائد محمد بن قاسم على المستنصر بالله لتسع بقين من ذي القعدة يذكر انه التقى مع حسن بن قنون فدارت بينهما حرب شديدة أجلت عن هزيمته ، وقتل كثير من شيعته ، وفرّ فيمن بقي معه الى جبل حصين ، فتبعه الجند وانقضّوا عليه ، فدارت بينهم حرب يسيرة ثم انهزم أيضاً وخلف أثقاله وفرّ لا يلوي على شيء ، فصار الجبل بأيدي الجند ونهبوا ما فيه ، ثم نهضوا في اليوم الثاني الى مدينة دلول ، ففتحها الله لهم ولحق بهم القائد محمد بن قاسم في العسكر ، فقصد مدينة أصيلا فدخلها ودخل القائد الى جامعها فوجد فيه منبراً جديداً موسوماً باسم الشيعي معد بن اسمعيل ، فأمر باحراقه بالنار بعد ان خلع من أعلاه اللوح المنقوش فيه اسم معد ؛ وكان فيه من الغلو ما في ذكره أمر كبير ، فأمر باقتلاعه وأرسله مع كتاب الفتح الى المستنصر ، وانصرف العسكر الى مدينة دلول ، فأمر بهدم أسوارها وتضريم بيوتها ناراً وتركها عبرة ، واستولى العسكر على ما كان

بها واستوسعوا في اطعمتها وما ترك فيها حسن المذكور .

وفي سنة ٣٦٢ قتل القائد محمد بن قاسم بفحص مهران على يدي حسن بن قنون، يوم الأحد لسبع بقين من ربيع الأول ، وقتل في ذلك اليوم جملة من الجند الذين كانوا معه نحو الخمس مائة من الفرسان الاندلسيين الأنجاد، ومن الرجالة نحو الالف .

وفي غرة جمادى الآخرة دخل الى قرطبة جمع من مصمودة ممن كان مع حسن بن قنون، وهم سبعون رجلًا نزعوا الى الطاعة .

وفيها استدعى المستنصر بالله غالب بن عبد الرحمن ، وأمره بحرب حسن بن قنون الحسني عندما تفاقم أمره وقتل الخ،

وورد على المستنصر بالله كتاب فتح من قبل القواد بمدينة أصيلا أنهم التقوا مع حسن بن قنون ، فدارت بينهم حرب شديدة انهزم فيها حسن وقتل كثير من حماته . وقدم الى قرطبة حنون بن ادريس صاحب مدينة العدوة الاندلسية من فاس ، ورسول عبد الكريم صاحب مدينة القرويين من فاس، يرغبان في طاعة أمير المؤمنين المستنصر والقيام بدعوته، فكرم رسولهما واجمل موعودهما .

وفي شعبان منها خوطب القائد غالب بانه بعث اليه بعشرة آلاف دينار لصلات الخارجين اليه من اصحاب حسن بن قنون، يوزعها عليهم بحسب مقاديرهم ، وقرن بها من فاخر الكسوة والسيوف المحلاة عدد كثير للخلع عليهم .

وفيها ارسل المستنصر بالله الوزير يحيى بن محمد التجيبي الى الغرب بعسكر مدداً للقائد غالب ، وجامعاً لليد معه على الخالع للطاعة حسن بن قنون ، فكان ذلك في خبر طويل .

وفي اواخر ذي القعدة ورد على المستنصر كتاب القائد غالب يذكر صنع الله تعالى في افتتاحه حصن الكرم ، وهرب المخذول عنه حسن بن قنون مع صهره صاحب البصرة علي بن خلوف وغيرهما .

وفي منتصف ذي الحجة ورد كتاب صاحب الشرطة قاضي القضاة بالغرب محمد بن ابي عامر يذكر تعييد الناس يوم الخميس، وقيام الخطبة في المصليات هنالك للمستنصر بالله، وسرور المسلمين بذلك وابتهاجهم به .

وفيها كانت حروب مع الحسنيين يطول ذكرها انجلت عن مقتل خلق كثير من أصحاب حسن بن قنون الحسني، وحزّ من رؤوس مشاهيرهم مائة رأس ، وترك اكثرهم صريعاً، وقتل في الهزيمة محمد بن أبي العيش الكناني .

وفي سنة ٣٦٣ افتتح غالب قائد الحكم المستنصر بالله مدينة البصرة، التي كان انتزى فيها محمد بن حنون الحسني ، وذلك ان أهل البلد قاموا عليه وقتلوا نائبه وخليفته عليهم ، وابتدروا لمخاطبة القائد غالب يستجلبونه اليهم ، فوصلهم وملك المدينة ،

وخاطب الخليفة بخبرها ، وأدرج كتاب أهلها طيّ كتابه .

وفي يوم الخميس منتصف صفر ورد كتاب غالب على المستنصر يذكر منصرفه عن بلد البصرة واخذه رهنهم ، ويذكر انه قد صار الى الطاعة جميع أهل الغرب وعامة قبائل البربر ، ولم يبقَ فيه غير الخائن حسن بن قنون، وانه قد صار من ضيق أمره في غمَّة ، ووصل أهل البصرة الى قرطبة الدافعين لأميرهم حسن ، الداخلين في الطاعة .

وفيها ورد الخبر السارُّ على المستنصر بالله باذعان الحسن بن قنون الحسني ودخوله في طاعته ، وشهد صلاة الجمعة منسلخ جمادى الآخرة، فقعد بجامع قرطبة وأعلِم الوزراء بخضوع حسن ابن قنون المنتزي عليه بالغرب، وانه ورد عليه كتاب غالب بذلك، وانه موجه اليه ابنه علي بن حسن المذكور، وان الخطبة قامت بدعوته في قلعة حجر النسر ، فاستبشر الوزراء وهنأوه وغبطوه وأعلنوا بالشكر لله تعالى والدعاء للخليفة ؛ وأطالوا في ذلك .

وفي سنة ٣٦٤ قدم على المستنصر قائده غالب بن عبد الرحمن قافلاً من عدوة الغرب ، ومعه حسن بن قنون وشيعته بنو ادريس الحسنيون، ملوك الغرب المستنزلون من معاقلهم ، الى الأندلس حافّين بشيخهم المشتهر بجنون ، واسمه احمد بن

عيسى صاحب مدينة الاقلام وما والاها ، ومعه اخوته وبنو عمه وبنوهم واهلوهم ، فأمر باحتمال هؤلاء الأشراف من المحلة ، في ظلام ليلة الخميس لاربع خلون من المحرم ، الى الدور التي اخليت لهم بقرطبة ، فارسل القوم معهم ثقاتهم من فتيانهم ومواليهم حتى ادتهم الى الدور المعدة لهم ، بعد ان فرشت مجالسها بشيء يطول ذكره .

وفيها كان اعتلال الخليفة الحكم في ربيع الأول، واحتجب عن جميع مملكته الى ان تخفف وصبه، وظهر لخاصته يوم الجمعة لليلة بقيت من ربيع الآخر منها؛ وفي عقب ربيع المذكور اعتق الحكم نحواً من مائة رقبة من عبيد له، فيه لبعضهم تدبير ولباقيهم عتق بَتْل ومؤَجَّل، خلص به جميعهم من الرق، وعقدت بذلك وثائق، فكان اول من أوقع شهادته فيها أبو الوليد هشام بن الحكم ، ثم الفقهاء أهل الشورى ، ثم العدول .

وفيها حبس الحكم حوانيت السَّرَّاجين بقرطبة على المعلمين لاولاد الضعفاء .

وفيها اسقط الحكم سدس جميع المغارم عن الرعايا بجميع كور الاندلس شكراً لله على إنصاره له .

وفيها كان جيَشان العدو ، خذله الله، ومنازلته بعض حصون المسلمين .

وفيها كان الظفر بأبي الاحوص معن بن عبد العزيز التجيبي، فقبض عليه رشيق وبعثه مكبولاً الى قرطبة مع عشرة من أصحابه، وكان يظاهر المشركين ويدلُّهم على عورات المسلمين، فأخذه الله .

وفي سنة ٣٦٥ خرج من قرطبة جعفر ويحيى ابنا علي بن حمدون بن الاندلسي قائدين الى الغرب من العدوة، وبين ايديهما الالوية والطبول ، مُزيلَيْن للوزير يحيى بن محمد بن هاشم.

وفيها كان الاعلان ببيعة أَبي الوليد هشام بن الحكم ، وان تؤخذ له من الخاصة والعامة بقرطبة وسائر كور الاندلس، وما الى طاعته من بلاد الغرب ، وذكره في الخطبة على المنابر في الجمعة والأعياد، وذلك مستهل جمادى الآخرة، قعد أمير المؤمنين الحكم بقصره وافتتح الكلام بما عزم عليه من تقليد ابنه عهدة الخلافة من بعده، فالتزمت بيعته ، وأخرجت نظائر من كتب البيعة ليوقع شهادته كل من التزمها ، وتولى اعطاءها للناس على مراتبهم المنصورُ محمد بن أبي عامر، وهو يومئذ صاحب الشرطة والمواريث ، وميسور الفتى الجعفري الكاتب .

وفيها خرج الوزير يحيى بن محمد بن هاشم قائداً الى سرقسطة وبين يديه الطبول والبنود .

وفيها نفذ عهد الحكم الى الوزير صاحب المدينة جعفر بن

عثمان المصحفي باطلاق أبي الأحوص التجيبي من سجن المطبق مع اصحابه ، فصفح الحكم عنهم .

وفي سنة ٣٦٦ توفي أبو علي البغدادي صاحب النوادر المعروف بالقالي ، منسوب الى قالي قلا من ديار الشرق .

وفيها مات محمد بن يحيى النحوي وأبو مروان الأديب المرادي وعبد الملك بن سعيد، فكانت تسمى سنة الأدباء؛ و كمل بناء المسجد سنة ٣٦٥، وكان المنبر الذي صنعه الحكم مدخلاً من عود الصندل الاحمر والاصفر ،والابنوس، والعاج، والعود الهندي، قام على الحكم رحمه الله بخمسة وثلاثين الف دينار وسبع مائة دينار وخمسة دنانير، وكان تمامه في خمسة اعوام ؛ ووجد بخط المستنصر بالله تاريخ وفاة قاضيه وقاضي أبيه منذر بن سعيد البلوطي ، وانه توفي يوم الخميس لليلتين بقيتا من ذي القعدة من سنة ٣٥٥، وكان مولده سنة ٢٧٣، فكان عمره ٨٢ سنة، وكان في هذا القاضي منذر دعابة يعرض بها ويتعرض له بها ، فكتب اليه قوم من أهل المجانة والظرف :

قل لقاضي الجماعة البلوطي:
ما ترى في خريدة كالخوط

. . . للثواب قوم ظراف ،
هل ترى سيدي بذا من سقوط ؟

فوقع لهم في كتابهم «لا» مفردة، فقال له من حضر: ما هذا؟ فقال: اردتُ لا أرى ذلك . فقالوا: لا يفهم عنك الا غيره. فقال: كل يجاوب على معتقده؛ فكان له رحمه الله نوادر مستحسنة وغرائب مستملحة .

### ذكر اتصال محمد بن أبي عامر بخدمة الحكم المستنصر

قال بعض المؤرخين: كان اتّصال ابن أبي عامر بالحكم، فيما حدّثني به ابن حسين الكاتب والاديب أبو اسحاق بن محمد الافليلي وغيرهما من المشيخة، ان الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي، القائم بدولة الحكم، خلا في بعض الايام بالقاضي محمد بن اسحق ابن السليم، فشكا اليه ابن السليم شجوه بمحمد بن أبي عامر، ووصف له حاله، فلما طلب الحكم له وكيلًا لولده عبد الرحمن الدارج في حياته، ذكر له جعفر ابنَ أبي عامر بخير، ووصف لأمّ عبد الرحمن جماعةً اختارَتْ منهم ابن أبي عامر، وذلك باختيار جعفر له، فنصبه الحكم لخدمتها وخدمة ابنها عبد الرحمن .

فلما مات عبد الرحمن بقي في خدمة امّه السيدة، وكانت قد ولدت هشام بن الحكم، فصرف ابن أبي عامر لوكالته، وكان تقدّمه أولاً لوكالة الولد عبد الرحمن يوم السبت لتسع خلون من ربيع الاول سنة ٣٥٦، واجري عليه في ذلك الوقت

خمسة عشر ديناراً في الشهر مرتباً بالوازنة، فبدا من نصحه وحسن نظره ما عرف له ، ثم استأثر الله بعبد الرحمن فصرف الى وكالة هشام يوم الاربعاء لاربع خلون لرمضان سنة ٣٥٩

وكان قد تقدم للنظر في امانة دار السكة يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت لشوال من سنة ٣٥٦ ؛ كانت ولايته اولاً للوكالة ، وأضاف له الخزانة ، ثم قدمه على خطة المواريث يوم الخميس لسبع خلون من المحرم سنة ٣٥٨ ، واستقضاه على كورة اشبيلية ولبلة وأعمالها يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ٣٥٨ المذكورة .

وفي سنة ٣٦١ قدّم الحكم المستنصر بالله محمد بن أبي عامر على الشرطة الوسطى في جمادى الآخرة وبعث به الى الأمانات بالعدوة، فاستصلحها واستمال أهلها، وجعله قاضي القضاة بالغرب من العدوة، وأمر عماله وقواده ألاّ ينفذوا شيئاً دونه الا بمشورته ، ثم أضاف اليه الحكم النظر في الحشم ، وهو في علته التي مات فيها بالفالج .

وقيل أيضاً ان سبب ظهوره كان خدمته للسيدة صبح البشكنشية ام عبد الرحمن وهشام ، فكانت اقوى اسبابه في تنقيل الملك عما قليل ، فانه استمال هذه المرأة بحسن الخدمة وموافقة المسرّة وسعة البذل في باب الاتحاف والمهاداة ، حتى

استهواها وغلب على قلبها ، وكانت الغالبة على مولاها ، وابن ابي عامر يجتهد في برها والمثابرة على ملاطفتها ، فيبدع في ذلك ويأتيها بأشياء لم يعهد مثلها ، حتى لقد صاغ لها قصراً من فضة ، وقت ولايته ، عمل فيه مدة وانفق فيه مالاً جسيماً ، فجاء بديعاً لم تر العيون اعجب منه ، وحُمِل ظاهراً لأعين الناس من دار ابن أبي عامر ، وشاهد الناس منه منظراً بديعاً لم ترَ العيون اعجب منه، فتحدّث الناس بشأنه دهراً ، ووقع من قلب المرأة موقعاً لا شيء فوقه ، فتزيّدت في بره وتكفّلت بشأنه حتى تحدث الناس بشغفها به .

وقال الحكم يوماً لبعض ثقاته : ما الذي استلطف به هذا الفتى حرمنا حتى ملك قلوبهن مع اجتماع زخرف الدنيا عندهن ، حتى صرن لا يصفن الا هداياه ولا يرضيهن الا ما أتاه ! انه لساحر عليم أو خادم لبيب ، واني لخائف على ما بيده .

ثم سُعي به الى الحكم وقيل عنه انه قد أسرع في مال السكة الموقوف قِبَله ، فأمره الحكم باحضاره ليشاهد سلامته ، فاظهر الاسراع الى ذلك ، وقد استملك جملة من الاموال ، فالقى نفسه في جبرها على الوزير ابن جدير في إسلافه اياها ، وكان صديقاً له ، فياسَرَه فيه وحمل المال اليه من وقته ، فتمم به ما قِبَله ، وارتفعت الظنّة عنه ، فاكذب الحكم ما وقع اليه عنه وازداد عجباً به

واقرّه على حاله ، فردّ ابن أبي عامر المال لابن جدير من حينه ولصق بالحكم ، وصار في عداد كفاته .

واشتغل قلب الحكم آخر أيامه بامر العدوة ومن جرده اليها من عساكره لحرب الادارسة وغيرهم ، واغتمّ لما خرج من يده في ذلك الوجه من الاموال ، فقلد ابن أبي عامر قضاء القضاة بها وجعله عيناً على العسكر ، وأوعز اليه في مهمّاته ، فسار ابن أبي عامر الى هنالك ، فحمدت آثاره ، وصحب حينئذ وجوه العسكر وأشياخ القبائل وملوكهم ، فكان أول ظهوره تلك الحركة . وبعد رجوعه منها لم يزل يزداد نبلاً ويرتقي منزلة ، وهو مع ذلك كله يغدو الى دار جعفر بن عثمان المصحفي وزير الدولة ويروح ، ويختصّ به ويدعي نصيحته .

وفي سنة ٣٦٦ توفي الحكم المستنصر بالله بعد اتّصال علته ، وجعفر بن عثمان يدير سلطانه الى حين وفاته ليلة الاحد لثلاث خلون لرمضان من السنة المؤرخة .

# خلافة هشام بن الحكم

## ابن عبد الرحمن الناصر والدولة العامرية

نسبه : تقدم في خلافة أبيه وجده .

كنيته : أبو الوليد .

لقبه : المؤيد بالله .

أمه : صبح البشكنشية أم ولد ، وكان سيدها الحكم يسميها بجعفر، وكانت معتبة عند مولاها، وتوفيت في خلافة ابنها هشام.

بويع له يوم الاثنين لاربع خلون من صفر سنة ٣٦٦ بعهد من أبيه ، وهو ابن احدى عشرة سنة وثمانية اشهر .

وخلع يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ٣٩٩ ، فكانت خلافته الاولى الى ان قامت الفتنة ثلاثاً وثلاثين سنة واربعة اشهر وعشرة ايام ، وفي الخلافة الثانية سنتين وعشرة اشهر، الجميع الذي كمل له في المرتين: ست وثلاثون سنة وشهران وعشرة ايام .

صفته : ابيض اشهل اعين خفيف العارضين، لحيته الى الحمرة، حسن الجسم قصير الساقين مائل الى العبادة والانقباض ، مقبل على تلاوة القرآن ودرس العلوم ، كثير الصدقات على أهل الستر من الضعفاء والمساكين .

قضاته : محمد بن السليم، ألفاه قاضياً لابيه فاقره على ولايته، ثم ابو بكر بن زرب، ثم محمد بن يحيى التميمي، عرف بابن بوطال، وغيرهم .

نقش خاتمه : هشام بن الحكم بالله يعتصم .

وتولى عقد الشهادة على الناس في البيعة بين يديه وكيله وصاحب شرطته الوسطى والسكة والمواريث ابو عامر محمد ابن ابي عامر ، بعدما كان قاضي الجماعة محمد بن اسحاق بن السليم يأخذها على من شهد المجلس من الاعمام وابنائهم والوزراء وطبقات اهل الخدمة ورجالات قريش واعلام اهل الحضرة .

فلما كان يوم السبت السادس من جلوس هشام، وهو العاشر لصفر سنة ٣٦٦، قلد الخليفة هشام حجابته وزير ابيه الاخص ابا الحسن جعفر بن عثمان المصحفي ؛ وفي هذا اليوم انهض الخليفة هشام محمد بن ابي عامر الى خطة الوزارة، نقله اليها عن شرطته الوسطى ، واجراه رسيلاً لحاجبه جعفر في تدبير دولته ، فمادّه محمد شأواً ، وجرى الى غاية برز فيها دونه سابقاً في الحلبة ، وتخلّف جعفر عن مداه .

ومن اخبار جعفر بن عثمان المصحفي

هو ابو الحسن جعفر بن عثمان بن نصر بن فوز بن عبد الله ابن كسيلة القيسي ، كان لطيف المنزلة من الحكم المستنصر بالله، قديم الصحبة، قريب الخاصة، وكان اول سبب تأديب والده عثمان ابن نصر للحكم في صبـاه ، واستخدمه في ايام والده الناصر، واستكتبه ورقاه الى خطة الشرطة الوسطى والنظر في عدة من الأعمال والكور، فلما افضت الخلافة الى الحكم قلده بعد ثلاثة ايام من خلافته خطة الوزارة، وامضاه على الكتابة الخاصة، ثم جمع له الكتابة العليا بالخاصة، وولى بنيه الاعمال الكبار؛ وكان جعفر بن عثمان احـد شعراء الأندلس المحسنين المتصرفين في انواع الشعر من المديح والاوصاف والغزل ، غاية في كل ذلك، في الرقة والابداع والحسن، وقد تقدم قوله مرتجلاً: هنيئاً للامام وللانام؛ وقوله مرتجلاً : تطلع البدر من حجابه ، وغير ذلك .

قال ابن بسّام : كان جعفر بن عثمان رجلاً بلـغ المنتهى ، وسُوّغ برهة من دهره ما اشتهى ، دون مجد تفرع من دوحته ولا فخر نشأ بين مغداه وروحته ، فسما دون واسطـة ، وارتمى الى رتبة لم تكن لبنيته مطـابقة ، فلم يزل يستقلّ ويضلع ، وينتقل من مطلع الى مطلع ، حتى التـاح في افق الخلافة ، وارتاح اليه معطفهـا كنشوان السلافة ، وصحب

الامام وانسكب برأيه ذلك الغمام ، فأدرك بذلك ما ادرك ونصب لأمانيه الحبائل والشرك ، واقتنى وادّخر وازرى بمن سواه وسخر ، واستعطفه محمد بن ابي عامر ، ونجمه غائر لم يلح وسره مكتوم لم يبح ، فما اقبل عليه ولا عطف ، ولا جنى من زهرة دنياه زهرة امل ولا قطف ، واقام في تدبير الاندلس ، وهو يجري من السعد في ميدان رحب ويكرع من العز في مشرب عذب ، وكان له ادب بارع وخاطر الى نظم المحاسن مسارع ، فمن ذلك ما بعثه عليه ايناس دهره واسعاده ، وقال حين ألهته سلماه وسعداه :

لعينك في قلبي عليّ عيون ،
وبين ضلوعي للشجون فنون

لئن كان جسمي مخلقاً في يد الهوى ،
فحبك غض في الفؤاد مصون

وله ، وقد اصبح يوماً عاكفاً على حميّاه ، هاتفاً باجابة دنياه ، مرتشفاً ثغور الانس متنسماً رياه ، والملك يغازله بطرف عليل ، ويبرم من انسه كل محيل ، والسعد قد عقد عليه اي اكليل ، يصف لون مدامه ، وما يعرف منها دون ندامه ، فقال :

صفراء تبرق في الزجاج ، فان سرت
في الجسم دبت مثل صِلّ لاذع

عبث الزمان بحسنها ، فتسترت
عن عينه في ثوب نور سابغ

خفيت على شرّابها ، فكأنما
يجدون ريّاً في إناء فارغ

واستمر في حجابته ، ومر بين سمع الدهر وجابته ، ونفوس العلية من تناهي حاله متغيرة ، وفي تكيُّف سعده متحيرة ، ولم يزل بنجاد تلك الخلافة معتقلاً ، وفي مطالعها منتقلاً ، الى ان توفي الحكم ، فانفصم عقده المحكم ، وانبرت اليه النوائب ، وتسددت له الخطوب بسهام صوائب ، واستولى عليه الكسل واسرعت اليه الذوابل والاسل ، وتعاوره الادبار ، وساوره من المكروه ما فيه اعتبار ، وانتقل الى المنصور ذلك الامر واختص به كما اختص بيزيد اخوه الغمر ، واناف في تلك الخلافة كما شبّ قبل اليوم عن طوقه عمرو ، فاعتقل بتلك النجاد ، واستبد به دون اولئك الامجاد ، وانبرى الى المصحفي بصدر كان قد اوغره ، وجدّ سامٍ طالما استقصره ، فأباده ونكبه ، وسلب جاهه وانتهبه ، واقتصّ من تلك الاساءة ، واغصّ حلقه بكل مساءة ، وألهب جوانحه حزناً ، ونهب له مدّخراً ومختزناً ، ودمر عليه ما كان حاط ، وأحاط به من مكروهه ما أحاط ، فبقي بسنين في مهوى النكبة وجوى تلك الكربة ،

ينقله المنصور معـــه في غزواته ، ويعتقله بين اظفار التضييق او في لهواته ، وهو يستعطف ويستميل ، فلا يتحقق له رجاء ولا تأميل ، الى ان تكوّرت شمسه ، وفاضت بين انياب المحن نفسه ، فاغتيل في المطبق ، ونفذ فيه امر الله وسبق .

### بعض اخبار المنصور محمد بن ابي عامر في ابتدائه

نسبه : هو ابو عامر محمد بن ابي حفص عبد الله بن عامر ابن ابي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن عامر الداخل الى الاندلس مع طارق، وكان له في فتحها اثر جميل ، وكان في قومه وسيطاً، وقد ذكره محمد بن حسين الشاعر العالم باخبار الاندلس في بعض امداحه للمنصور هذا فقال :

وكل عدو انت تهدم عرشه ؛
وكل فتوح عنك يفتح بابها

وانك من عبد المليك ، الذي له
حلى : فَتْحُ قرطاجنة وانتهابُها

جباها ابو مروان جدك ، قابضاً
بكفٍّ ، تليدٌ طعْنُها وضرابها

فان سنحت في الشرك من بعد فتحه
فتوحٌ ، فمصروف اليك ثوابها

وكان جده عبد الملك هو الذي دخل مع طارق ونزل الجزيرة الخضراء لاول الفتح، فساد أهلها وكثر عقبه فيها، وتكررت فيهم النباهة والوجاهة وجاور الخلفاء منهم بقرطبة جماعة، احدهم أبو عامر محمد بن الوليد، الذي عرف آل عامر طرّاً به، وساد بعده ولده عامر، وتقدّم عند الخلفاء، وولي الأعمال، ومات بقرطبة، وباسمه نقش محمد السكك ورقم الاعلام.

وكان عبد الله المكنى بأبي حفص والد محمد المنصور من اهل الدين والزهد في الدنيا والقعود عن السلطان، سمع الحديث وادى الفريضة ومات منصرفاً من حجّه بمدينة اطرابلس المغرب، واصهر التميميين المعروفين بقرطبة ببني برطال، فنكح بُرَيْهة بنت يحيى بن زكريا، فولدت له أبا عامر المنصور وأخاه يحيى؛ وكانت ام عبد الله والد المنصور بنت الوزير يحيى بن اسحق وزير الناصر لدين الله وطبيبه، وكان محمد هذا حسن النشأة ظاهر النجابة، تتفرس فيه السيادة، سلك سبيل القضاة في اوليته مقتفياً آثار عمومته وخؤولته، فطلب الحديث في حداثته وقرأ الأدب وقيد اللغات على أبي علي البغداذي وعلى أبي بكر بن القوطية، وقرأ الحديث على أبي بكر بن معاوية القرشي راوية النسائي وغيره من رؤساء أهل الشرق، وبرع بروعاً ادناه مع نوازع سعد وبوادر حظ من الحكم المستنصر،

فقربه وصرفه في مهم الأمانات وأصنافها ، فاجتهد وبرز في كل ما قلده واضطلع بجميع ما حمله .

وكان الحكم لشدّة نظره في الحدثان يتخيّل في محمد بن أبي عامر أكثر الصفة المجتمعة الى النسب والبلدة ،وكان يجد القائم من الجزيرة الخضراء أصفر الكفين ، فيقول لخاصته : ألا ترون صفرة كفيه؟ فاذا قالوا له: ارح نفسك منه! فيقول:لو كانت به شجّة لكانت تكملة صفاته . فكان من قدر الله ان حدثت الشجة بمحمد بعد موت الحكم بضربة غالب الناصري له ، وبها تمّ الأثر فيه،كما ان الحكم قد كان وقف في الأثر على البقعة التي بنيت فيها الزاهرة ، وكانت ملوك المروانية تتخوف ذلك، وكان المجهر بشأنها الخليفة الحكم ، فنظر في أمرها ، وهي البقعة المعروفة بألَش ، وهي بغربي قرطبة ، ووجد انتقال الملك اليها ، فأمر حاجبه جعفراً بالسبق اليها والشروع في بنائها طمعاً في مزية سعدها ،وان لا يخرج الامر عن يد ولده ، وانفق عليها مالاً عظيماً .

فكان من غريب الامور ان محمد بن أبي عامر تولى النظر في شأنها مع من نظر فيها ، وهو يومئذ في حال الفتوة والاحتياج ، ولا يعلم يومئذ به . فسبحان من يؤتي ملكه من يشاءُ . ثم وقع الى الحكم ان البقعة بغير ذلك الموضع ، وانها

بشرقي مدينة قرطبة، فانفذ ثقته محمد بن نصر بن خالد للوقوف عليها، وانتهى الى منزل أبي بدر المسمّى بالُش مضمومة اللام، وأصاب هنالك عجوزاً مسنّة وافقته على حد الارتياد وقالت له: سمعنا قديماً ان مدينة تبنى هنا، ويكون على هذه البئر قرارة، وكان المنصور على ثقة من سرعة انتقال الملك اليه لا يشكّ في ذلك، لانه تمكّن من مطالعة ما كان عند الحكم، فوقف على الجلية، ولم يزل الحكم يقدم محمداً ويؤثره الى ان ولي العهد ابنه هشام فزاد مقداره لخاصته بوليّ العهد ومكانه من السيدة والدته، فاحتاج الناس اليه وغشوا بابه فانساهم من سلف من اصحاب السلطان سعة اسعاف وكرم لقاءٍ وسهولة حجاب وحسن اخلاق، فعرض جاهه وعمر بابه واتّسع في بناء داره بالرصافة، واتّخذ الكتّاب الجلة، واستصحب سراة الصحابة، وكانت مائدته موضوعة لمن ينتاب داره، وهمته تترامى الى وراء ما يناله، وهو في هذا كله يغدو الى دار جعفر بن عثمان المصحفي ويروح ويصبح ببابه ويختصّ به.

ثم اتصلت علة الخليفة الحكم من الفالج وجعفر يدير سلطانه، ووقع ارجاف بموت الحكم، فأشار محمد بن أبي عامر على جعفر بن عثمان باستركاب ولي العهد هشام في ذلك اليوم في الجيش ارهاباً لأهل الخلاف، ففعل وركب في الناس ركبته

المشهورة ، ومحمد بن أبي عامر بين يديه قد كساه الخز ونقله الى أكابر أهل الخدمة . وأمر ولي العهد هشام في ذلك اليوم ، وهو العاشر لصفر من سنة ٣٦٦ ، باسقاط ضريبة الزيتون المأخوذة في الزيت بقرطبة ، وكانت الى الناس مستكرهة ، فسرُّوا بذلك أعظم سرور ونسب شأنها الى محمد بن أبي عامر وانه أشار بذلك ، فأحبّوه لذلك .

ولم تزل الهمة تحذوه والجد يخطبه والقضاء يساعده والسياسة لا تفارقه حتى قام بتدبير الخلافة واقعد من كان له فيها انابة ، وساس الامور احسن سياسة ، وداس الخطوب بأحسن دياسة ، فانتظمت له الممالك واتضحت به المسالك ، وانتشر الأمر في كل طريق ، واستشعر اليمن كل فريق ، واسقط جعفراً المصحفي وعمل فيه ما اراده ، فأول عروة فصمها من عرى المملكة عروة الصقالبة الخدم بالقصر موضع الخلافة ، وكانوا ابهى حلل المملكة ، واخص عددها ، عني الخلفاء بجمعهم والاستكثار منهم ، وكانوا خاصة الناصر والحكم بعده ، حتى لقد ظهرت منهم في زمن الحكم امور قبيحة اغضى عنها مع ايثاره العدل واطراح الجور بالجملة ، وكان يقول : هم امناؤنا وثقاتنا على الحرم ، فينبغي للرعية ان تلين لهم وترفق في معاملتهم فتسلم من معرّتهم ، اذ ليس يمكننا في كل وقت الانكار عليهم .

ولما مات الحكم كان الصقالبة اكثر جمعاً واحدّ شوكة ، يظنّون أن لا غالب لهم وان الملك بايديهم ، وكانوا نيفاً على ألف مجبوب ، فحسبك بما يتبعهم ، وكان رأسهم فائق المعروف بالنظامي صاحب البرد والطراز ، ويليه صاحبه جوذر صاحب الصاغة والبيازرة، واليهما كان أمر الغلمان الفحول بخارج القصر. وكان قد جرى بين فائق وجوذر مع الحاجب جعفر المصحفيّ، اثر موت الحكم ، ما اذكره : وذلك انه لما توفي الحكم خفي موته على وزيره جعفر وسائر أهل المملكة لطول تردُّده في العلّة ، وتفرّد بعلم ذلك في وقته خادماه الخاصّان به فائق وجوذر ، فاستظهرا بكتمان ذلك وتقدّما في ضبط الدار وخلوا للتشاور ، وقد عزما على ردّ الامر للمغيرة بن الناصر أخي مولاهما الحكم ، خشية من انتشاره على ابنه هشام لصغر سنّه، وانكار الناس لتقديمه على ان يقرّ ابن اخيه هشاماً على العهد بعده ، فيمنّا على المغيرة بسوق الخلافة اليه ويفيا لمولاهما بارتقاب كبر ولده، ويكون الملك في ايديهما بحاله، وكان رأياً حسناً لو أراد الله به .

فلما اتّفقا على ذلك قال جوذر لفائق : ينبغي أن نحضر جعفر بن عثمان الحاجب فنضرب عنقه فبذلك يتمّ امرنا . فقال له فائق : سبحان الله يا أخي! تشير بقتل كاتب مولانا وشيخ من

مشيختنا دون ذنب ، ولعلّه لا يخالفنا فيما نريده ، مع افتتاحنا الأمر بسفك الدم. فأرسلا في جعفر بن عثمان فحضر ونعيا اليه الحكم وعرضا عليه ما اجمعا عليه من الرأي ، فقال لهما جعفر: هذا والله اسدُّ رأي واوفق عمل، والأمر امركما ، وأنا وغيري فيه تبع لكما ، فاعزما على ما اردتما واستعينا بمشورة المشيخة، فهي أنفى للخلاف ، وأنا اسير الى الباب فاضبطه بنفسي وانفذا أمركما الي بما شئتما .

وخرج عنهما فضبط باب القصر وتقدّم في احضار اصحابه الهاشمية مثل زياد بن افلح مولى الحكم وقاسم بن محمد ومحمد بن ابي عامر وهشام بن محمد بن عثمان وأشباههم ، واستدعى بني برزال اذ كانوا بطانته من سائر الجند، واستحضر سائرقواد الأجناد الأحرار، فاجتمع له من هذه الطوائف ما شدّ ركنه وقوّى يده ، فنعى لهم الخليفة وعرّفهم مذهب الصقالبة في نكث بيعة هشام ، واقبل يثبت اصحابه وقال لهم : ان حبسْنا الدولة على هشام امنّا على انفسنا وصارت الدنيا في ايدينا ، وان انتقلت الى المغيرة استبدل بنا وطلب شفاء احقاده . فأشار عليه اصحابه بقتل المغيرة قبل ان يبلغه موت اخيه ، فتمكنه الحيلة . فعمل برأيهم فتدافعوا فيما بينهم النهوض الى قتله، فكفّوا وجبنوا ، فبدرهم محمد بن أبي عامر

وقال : يا قوم اني اخاف فساد امركم ، ونحن تبع لهذا الرئيس ، واشار الى جعفر، فينبغي الا تختلفوا عليه، وانا اتحمل ذلك عنكم ان انفذني، فخفّضوا عليكم. فاعجب جعفراً والجماعة ما كان منه وولوه شأنه وقالوا له : انت احقُّ بتولي كبره لخاصتك بالخليفة هشام ومحلّك من الدولة . فأرسل جعفر معه طائفة من الجند الأحرار وثق بهم لذلك .

مقتل المغيرة بن عبد الرحمن الناصر رحمه الله

فركب محمد بن ابي عامر الى المغيرة من ساعته وركب معه بدر القائد مولى الناصر في مائة غلام من غلمان السلطان ، ووقف لهم خارج باب دار المغيرة ، واحاط سواه من اصحاب محمد بجهاتها ، واقتحم محمد عليه فوجده مطمئناً على غير استعداد، فنعى اليه اخاه الحكم وعرفه بجلوس ابنه هشام في الخلافة ، وان الوزراء خشوا خلافه فأنفذوه لامتحان القصة . فاشتدَّ ذعره ثم استرجع عليه واستبشر بملك ابن أخيه وقال : أعْلِمْهم اني سامع مطيع وافٍ ببيعتي فتوثّقوا مني كيف شئتم ؛ واقبل يستلطف ابن أبي عامر ويناشده الله في دمه ويسأله المراجعة في أمره، حتى رقّ له محمد وكتب الى جعفر يصدقه عنه ويصف له الصورة التي وجده عليها من السلامة

والطمأنينة، ويستأذنه في شأنه، فردّ عليه جعفر يلومه في التأخير ويعزم عليه في التصميم ويقول له : غررْتَنا من نفسك فانفذ لشأنك أو فانصرف نرسل سواك .

فحمي محمد لجوابه وعرض الرقعة على المغيرة وجعلها بيده ، وزال عن وجهه وادخل عليه تلك الطبقة، فقتلوه خنقاً في مجلسه وعلقوا جسده في مخدع يتّصل بمجلسه كهيئة المختنق من تلقاءِ نفسه ، وذلك كله بمعاينة حرمه ؛ ثم اشاعوا أنه خنق نفسه لما اكرهوه على الركوب لابن أخيه، فطاح دمه على هذه الصورة. وكانت سنّه يوم قُتِل سبعاً وعشرين سنة، ثم تقدّم محمد باخفاء ذلك وأمرهم بدفنه في مجلسه وأن يسدُّوا أبوابهم فيأمنوا بذلك على ولده ونعمته .

وعاد ابن أبي عامر الى جعفر بالقصة فطابت نفسه وصيّر محمداً الى جانبه وشكره ، ووصل الحادث على المغيرة الى جوذر وفائق فدهشا وسقط في ايديهما وقال جوذر لفائق : قد نصحتُ لك فلم تسمع مني ، وكان اكمل دهاءً منه ، فانكبا الى جعفر فاظهرا له السلامة والاستبشار بما أتاه والاعتذار بما رآه وقالا له: ان الجزع اذهلنا عمّا ارشدك الله اليه، فجزاك الله عن ابن مولانا خيراً وعن دولتنا وعن المسلمين. فاظهر لهما بعض القبول، وانغمس جعفر في الشغل بأمر البيعة اياماً وفي

نفسه للصقالبة ما لا تهنئه معه معيشة ، وفي انفسهم له أبرح لوعة .
واجلس جعفر هشام بن الحكم للبيعة بالخلافة صبيحة يوم الاثنين لأربع خلون من صفر سنة ٣٦٦ ودعا الناس ابن أبي عامر للبيعة ، فلم يختلف عليه اثنان ، فكان لابن أبي عامر في أخذها أثر كبير تذاكره الناس ، وعلا شأنه ومكانه وبعد في الناس صيته .

بعض اخبار الصقالبة مع ابن أبي عامر

وذلك انه لما تمكّنت الوحشة ما بين جعفر والصقالبة انحرفوا عنه وكرهوا ولاية هشام ، فأخذ جعفر حذره منهم وأذكى العيون ؛ وبلغه ان جوذر وفائقاً يدبران على الدولة ويدسّان في ذلك الى بعض من في قيادتهما من وجوه الغلمان والفحولة ، وكان الدخول والخروج اليهما على باب الحديد بأمر الحاجب جعفر المصحفي ، فسدّه بالحجر وصيّر دخول الناس على باب السدّة ، فحسم شرّ الصقالبة وصيّرهم تحت الرقبة .
ونظر جعفر في ازالة الغلمان والفحولة عن رسم هذين الصقلبيين بمواطأة محمد بن أبي عامر ، ودس محمد الى من طلبهم له ، فتقدم عليهم محمد بن أبي عامر فكان يطأ عقبه منهم خمس مائة غلام ، فاشتدّ بهم ازره وفخم أمره وقدمهم في الانزال والعطاء ، ثم انقلب بنو برزال الى محمد بن أبي عامر وصاروا في قيادته ،

فاعتزّ بالطائفتين وقهر عدوه وتبعه سائر الجند، فهان أمر الصقالبة عنده .

ثم ان جوذر الفتى استأذن السلطان في الخروج الى داره مستعفياً من الخدمة، وهو يظن انه لا يجاب الى ذلك ، فأذن له في الخروج، فاشتدّ وعيد أصحابه وزاد كلامهم، وكان أجسرهم على ذلك دري الفتى الصغير لما فيه من التمرّد والجهالة، فحرك جعفر بن أبي عامر لازالته والراحة منه، فدسّ الى رعيته ببياسة وأمرهم بالشكوى به وبعماله، ووعدهم العدو عليه والاراحة من جوره، فسارعوا الى ذلك ورفع الحاجب جعفر قصته الى السلطان، وقد أحكم ابن أبي عامر شأن التدبير عليه، فخرج التوقيع بالجمع بين دري وبينهم والنظر في مصالحهم ، فاستدعي دري الى بيت الوزارة ، فلما اشرف على الدار ورأى مَنْ أُعِدَّ فيها احسّ بالشرّ فخنس راجعاً ، فمنعه ابن أبي عامر وقبض عليه فتجاذبا فبطش دري بابن أبي عامر وقبض على لحيته ، فصاح محمد بن أبي عامر بمن حضر من الجند فاحتشم الاندلسيون دريا، وأسرع بنو برزال الى اجابته فتقدموا الى دري فأوجعوه ضرباً، ولحقَتْه ضربة بصفح السيف ازالت عقله ، وحمل للوقت الى داره فعوجل من ليلته بالقتل ؛ وأمر في الوقت فائقاً وجماعة من كبارهم بالخروج الى ديارهم والتزامها ، فخرجوا اليها وانحصدت

شوكة الصقالبة حينئذ وفلّ حدّهم ، وتجرّد ابن أبي عامر لطلبهم ، فاستخرج منهم أموالاً جمة ، وآلت حال فائق الى ان صير الى الجزائر الشرقية فمات هنالـك . وفي خروج الصقالبة من القصر يقول سعيد الشنتريني الشاعر :

أُخْرِجَ ، من قصر امام الهدى ،
كلُّ فتى منبسط جـائر

فمَنْ رأينا منهُمُ قـال : لا
مساس قبل الناس بالشاكر

فخفّ ظهر الملك المرتضى
قد خفّ من ثقلهم الظاهر

وسال مـاءُ العلم من وجهه ،
مذ مـال عن حبلهم الحـائر

فـلازم الميدان في قصره ،
مـع الوزير الخيّر الطـاهر

وقلد جعفر المصحفي امر القصر والحزم ، بعد اخراج هؤلاء الفتيان ، سكراً صاحبهم ، فسكن أنفس الصقالبة وجراهم على الطاعة ، فاصغوا اليه الى ان استهاجهم جوذر الفتى عظيمهم عند الظهور الذي همّ به .

فلمّا تمّ لابن أبي عامر تدبيره في الصقالبة جعل يتوصل الى تقلّد جيش المملكة والقيام بجهاد العدو دون الجماعة ، وكان العدو جاس بلاد المسلمين وطمع في انتهاز الفرصة فيهم ، فانف ابن أبي عامر من ذلك وأشار على الحاجب جعفر بتجهيز الجيش والاعتداد للجهاد ، وعرض القيام به على جميع الاكابر ، فكلهم كعّ عنه الا ابن أبي عامر فانه بادر اليه على ان يختار من يخرج معه من الرجال ويتجهز لغزوه بمائة الف دينار ، فاستكثر ذلك بعض من حضر ، فقال له محمد بن أبي عامر : خذ ضعفها وامض وليحسن غناؤك . فتراجع المعترض عن ذلك وسلم الجيش والمال الى ابن أبي عامر .

### غزوة محمد بن أبي عامر الاولى

فخرج لثلاث خلون من رجب من سنة ٣٦٦ ودخل على الثغر الجوفي ، فنازل حصن الحامة من جليقية فحاصره واخذ ربضه وغنم وسبى وقفل بالسبي والغنائم الى قرطبة الى ثلاثة وخمسين يوماً ، فعظم السرور وأخلص الجند له لما رأوا كثرة جوده وكرم عشيرته وسعة مائدته ، فأحبّوه والتفوا به ، وكثر احسانه اليهم وافضاله عليهم الى ان ادرك بهم سوله ، وبلغ مأموله .

ذكر نكبة الحاجب جعفر

وذلك انه لما سمت الحال بمحمد بن أبي عامر واستتب امره اعمل الحيلة والتدبير في اسقاط جعفر بن عثمان والانفراد بالدولة، فلم يجد لذلك سبباً أقوى من مظاهرة الوزير أبي تمام غالب الناصري، صاحب مدينة سالم والثغر الادنى، شيخ الموالي قاطبة وفارس الأندلس يومئذ غير مدافع له، وكان بينه وبين الحاجب جعفر بن عثمان عداوة ومنافسة، والتاثت حال غالب صدر دولة هشام في سنة ولايته لما ملك جعفر امرها وبان تقصير غالب في مدافعة اعداء الله، وخاف ان يصل امره الى الخلاف والمعصية، فأشار ابن أبي عامر في استصلاحه ورعى ذمامه، ولم يزل ابن أبي عامر يقوم بشأنه ويخدمه داخل الدار عند السيدة ام هشام وسائر الحرم حتى تمّ مراده فيه كي يستعين به على اهلاك المصحفي، فانهض غالباً الى خطة الوزارتين، وانفذ اليه كتاب الخليفة بذلك وأمره بالاجتماع مع ابن أبي عامر على التدبير على الصوائف، على ان يدير ابن أبي عامر جيش الحضرة ويدير غالب جيش الثغر .

غزوة ابن أبي عامر الثانية

وخرج محمد بن أبي عامر بالصائفة يوم الفطر من سنة ٣٦٦ فاجتمع مع غالب بمدينة مجريط وأمل معه من التظافر على جعفر ما أصاب به النكتة من قلبه، واتّفقا وتوافقا وخدم ابن أبي عامر غالباً في سفره هذا خدمةً ملك بها نفسه فمال اليه غالب بكليته واستمرّا في غزوهما، وافتُتِح حصنُ مولة وظهرا فيه على سبي كثير، وغنم المسلمون أوسع غنيمة، وكان أكثر الاثر فيها لغالب، فتجافى عنه لابن أبي عامر وفارقه الى ثغره، بعد ان أبلغ في مواطأة محمد بن أبي عامر على عدوه جعفر بما اراده، وقال غالب لابن أبي عامر عند وداعه: سيظهر لك بهذا الفتح اسم عظيم وذكر جليل يشغلهم السرور به عن الخوض فيما تحدثه من قصة، فاياك ان تخرج عن الدار حتى تعزل ابن جعفر عن المدينة وتتقلدها دونه. فاعتقد محمد ذلك وخاطب غالب الخليفة هشاماً بحسن مناب ابن أبي عامر في هذه الغزوة، ونسب السعي والاجتهاد اليه وشكره وشدّ عضده عند الخليفة.

وعاد محمد بن أبي عامر الى حضرة قرطبة منصرفاً بالسبي والغنائم، فاستمال محمد بهذا الفتح قلوب العامة والخاصة، وتعرفوا فيه يمن النقيبة، فبعد صيته وهان عليه أمر جعفر وغيره، وشرع في هدمه، فخرج أمر الخليفة يوم وروده بصرف محمد

ابن جعفر بن عثمان عن المدينة وتقليدها ابن ابي عامر ، فخرج محمد نحو كرسيها في هذا اليوم ، والخلع عليه، ولا عند جعفر علم بذلك . وكان محمد بن جعفر جالساً في مجلسها في ابهة اذ صعد ابن ابي عامر نحوه، فولى محمد ابن جعفر ناكصاً على عقبه واتبع بدابته ، وملك ابن ابي عامر الباب بولاية الشرطة ، والجيش بِقَوده له ، والدار بعناية الحرم به فملك على جعفر بذلك وجوه الحيلة وخلاه وليس في يده من الامر إلا أقله .

فضبط محمد المدينة ضبطاً أنسى أهل الحضرة مَن سلف من أفراد الكفاة واولي السياسة ، وقد كانوا قبله في بلاء عظيم يتحارسون الليل كله ويكابدون من روعات طُرّاقه ما لايكابد اهل الثغور من العدو ، فكشف الله ذلك عنهم بمحمد بن ابي عامر وكفايته وتنزهه عما كان ينسبِ لابن جعفر ، فسدّ باب الشفاعات وقمع أهل الفسق والزعارات حتى ارتفع البأس وأمن الناس ، وأمنت عادية المتجرمين من حاشية السلطان حتى لقد عثر على ابن له فاستحضره في مجلس الشرطة وجلده جلداً مبرحاً كان فيه حمامه ، فانقمع الشر في ايامه جملة .

واستخلف ابن ابي عامر على المدينة ابن عمه عمرو بن عبد الله بن ابي عامر، فسلك في اهل الشر سبيله بل اربى عليه في ذلك . وكاتب جعفر غالباً يستخلصه ويستميله ويخطب بنته

لابنه ، فتجددت بينهما إلفة وجرى عقد في المناكحة، وانكشف ذلك لابن ابي عامر فكاتب غالباً ينشده العهد، والقى اهل الدار عليه في فسخ المصاهرة، فكاتبوه في ذلك، فانحرف الى ابن أبي عامر وحلّ عقدة جعفر في نكاحه ، وانكح ابن أبي عامر اسما ابنته ، فكانت احظى نسائه. فلمّا تمّ هذا العقد خرج الى الغزو .

وهي غزوة ابن ابي عامر الثالثة

خرج اليها ودخل على طليطلة غرة صفر من سنة ٣٦٧ فاجتمع مع صهره غالب فعظمه وجرى الى موافقته، ونهضا معاً فافتتحا حصن المال وحصن(ونيق) ودوّخا مدينة سلمنقة واخذا ارباضها وقفل ابن ابي عامر الى قرطبة بالسبي والغنائم وبعدد عظيم من رؤوس المشركين الى اربعة وثلاثين يوماً من خروجه، فزاد له السلطان في التنويه وانهضه الى خطة الوزارتين سوّى فيها بينه وبين غالب، ورفع راتبه الى الثمانين ديناراً في الشهر، وهو راتب الحجابة .

واستقدم السلطان غالباً لاستهداء اسما الى زوجها محمد ، فبالغ في اكرامه ووقع زفاف اسما في مشهد بَعُد العهد بمثله شهرة وجلالة ، وزفت اليه ليلة النيروز من قصر الخليفة ، فهو الذي تولّى مع حرمه امرها .

وكانت اسما هذه توصف بجمال بارع وأدب صالح وحظيت عند أبي عامر فلم يفارقها حياته، وقلده الخليفة خطة الخلافة مع جعفر مشتركاً ، ثم سخط الخليفة على جعفر بن عثمان المصحفي وصرفه عن الحجابة يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ٣٦٧ ، وامر بالقبض عليه وعلى ولده واسبابه وعلى ابن اخيه هشام ، وصُرفوا عمّا كان بأيديهم من الأعمال وطُلبوا بالاموال، فتوصل ابن ابي عامر بمحاسبتهم الى استصفاء أموالهم وانتهاك حرمهم وترديد النكبات عليهم ، حتى مزقهم كل ممزق وسارع الى قتل هشام ابن اخي جعفر في المطبق ، اذ كان أشدّ آل عثمان عداوة له ، واخرج الى اهله ميتاً . واستمرّت النكبة على جعفر سنين عدة يحبس مرة ويطلق اخرى ؛ ومما حفظ له في ابن ابي عامر مستعطفاً له :

عفا الله عنك ! ألا رحمة　　تجود بعفوك ان ابعدا

لئن جلّ ذنب، ولم اعتمده،　　فأنت أجلُّ واعلى يدا

ألم تر عبداً عدا طوره ،　　ومولى عفا ورشيداً هدى

ومفسد أمرٍ تلافيته ،　　فعاد فاصلح ما افسدا

أقلني ! أقالك مَن لم يزل　　يقيك، ويصرف عنك الردى

وكان جعفر بن عثمان في محنته أخورَ الناس وأرأمهم للذل واحبهم في الحياة، انتهى به الاستخذاء لمحمد بن ابي عامر

والطمع في الحياة ان كتب اليه يعرض نفسه عليه لتأديب ابنيه عبد الله وعبد الملك ، فقال ابن ابي عامر : اراد ان يستجهلني ويسقطني عند الناس، وقد عهدوني ببـابه مؤملاً، ثم يرونه اليوم بدهليزي معلماً .

ثم جدّ ابن ابي عامـر في مكروهه وأدقّ حسابـه وامر باحضاره الى مجلس الوزراء بقصر الخلافة ليناظر بين ايديهم فيما ادعي عليه من الخيانة ، فتردد الى هـذا المجلس مراراً وأقبل آخر مرة اليه، ووائق الضاغط يزعجه والبهر والسن قد هاضاه وقصرا خطوه ، والموكل به يحدوه ويستحثه ، فيقول له جعفر : يا بني رفقاً فستدرك ما تريد، ويا ليت ان الموت بيعَ فأغلى الله سومه ، حتى انتهي به الى المجلس ، والوزراء جلوس ، فجلس في آخر المجلس دون ان يسلم فأسرع اليه الوزير محمد بن حفص ابن جابر ، وكان من حزب ابن ابي عامر ، فعنفه واستجهله وانكر عليـه ترك التسليم ، وجعفر معرض عنه ، فلمّـا اكثر عليه قال له جعفر : فما هذا؟ جَهِلْتَ المبرّة فاستجهلتَ عالمها ، وكفرت اليـد فقصرت بمسديها . فاضطرب ابن جابر من قوله وقال : هذا هو البهت بعينه ، وأيُّ أياديك الغرّ التي مننت بها، أَيَد كذا ام يد كذا ؟ وعدّد أشياء فأنكرها عليـه الحاجب وقال : هذا لا يعرف ، والمعروف دفعي عن يمنـاك القطع

وشفاعتي فيها الى الماضي رحمه الله حين استخونك في مال كذا. فأَصَرَّ ابن جابر على الجحد ، فقال جعفر : انشد الله من له علم بما ذكرت ان يتكلم . فقال الوزير ابن عياش : قد كان بعض ما ذكرتَه ، وغير هذا أولى بك يا أبا الحسن . فقال : أَحْرَجَني الرجل فقلتُ .

ثم أقبل الوزير محمد بن جهور على محمد بن جابر فقال له: أوَما علمت ان من كان في سخط السلطان تحامى السلامَ على أوليائه ، لانهم ان ردُّوا عليه اسخطوا السلطان لتأمينهم مَنْ اخافه ، وان تركوا الردَّ اسخطوا الله وتركوا ما أمر به ، فكان الامساك اولى ، ومثل هذا لا يخفى على ابي الحسن . فخجل ابن جابر وأَسْفَرَ وجهُ جعفر وتهلل ؛ ثم اخذ القوم في مناظرته على المال ، فقال : قد والله استنفدت ما عندي من الطارف والتالد ولا مطمع فيَّ في درهم، ولو قُطِّعْتُ إرباً إرباً . فصرف الى محبسه في مطبق الزهراء، فكان آخر العهد به .

وله وقد اودعه المنصور المطبق ، والشجون تسرع اليه وتسبق ، معزياً لنفسه ، ومجتزئاً في يومه باسعاد امسه :

أُجازي الزمان على حاله ، مجازاة نفسي لانفاسها
اذا نَفَسٌ صاعِدٌ شفَّها ، توارَتْ به بين جُلاَّسها
وان عكفَتْ نكبة للزمان، عكفت بصدري على راسها

ومن بديع ما حفظ له في نكبته ، قوله رحمه الله يستريح من كربته :

صبرتُ على الأيام لمّا تَوَلَّتِ ،
وألزَمْتُ نفسي صبرها فاستمرت

فيا عجبا للقلب كيف اصطباره ،
وللنفس بعد العزّ كيف استذلت !

وما النفس الا حيث يجعلها الفتى ،
فان طمعت تاقت وإلاّ تسلت

وكانت على الأيام نفسي عزيزة ،
فلما رأت صبري على الذلّ ذلت

وقلت لها : يا نفس موتي كريمة !
فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت

وكان من هلاكه في محبسه هذا على يقين؛ وذلك انه لما أُمِر به الى المطبق ودع أهله وولده وداع الفرقة، وقال: هذا وقت اجابة الدعوة وانا ارتقبه منذ أربعين سنة . فسُئِل عما ذكره فقال : رُفِع على فلان أيام الناصر وسُعي به اليه، فاشرفتُ على اعماله ، فآل أمره الى ضربه وتغيُّر نعمته واطالة حبسه ، فبينا أنا نائم ذات ليلة اذ أتاني آتٍ فقال لي : أطلقْ فلاناً فقد اجيبت

دعوته فيك ، ولهذا أمر أنت لا بدَّ لاقيه . فانتبهت مذعوراً واحضرت الرجل وسألتُه احْلالي. فامتنع عليَّ ، فاستحلفتُه على إعلامي بما خصَّني به من الدعاء، فقال : نعم دعوتُ الله أن يميتك في أضيق السجون كما أعمرتنيه حقبةً . فعلمت انه قد وجبت دعوته ، وندمت حيث لا ينفع الندم، وأطلقتُ الرجل، ولم أزل ارتقب ذلك .

فما لبث في السجن الا أياماً واخرج ميتاً واسلم الى أهله . فقيل قتل خنقاً في البيت المعروف ببيت البراغيث في المطبق؛ وقيل دُسّتْ اليه شربة مسمومة .

قال محمد بن اسماعيل كاتب المنصور : سرتُ مع محمد بن مسلمة الى الزهراء لتسليم جسد جعفر الى اهله وولده، والحضور على انزاله في ملحده ، فنظرتُ اليه ولا اثر فيه، وليس عليه شيء يواريه غير كساء خلق لبعض البوابين ، ستره به. فدعا له محمد ابن مسلمة بغاسل فغسله والله على فرد باب اقتلع من ناحية الدار ، وأنا اعتبر من تصرّف الاقدار ، وخرجنا بنعشه الى قبره وما معنا الا امام المسجد المستدعى للصلاة، وما تجاسر أحد على النظر اليه .

ثم قال : وان لي في شأنه لخبراً ما سمع بمثله طالب وعظ ، ولا وقع في مسمع ولا تصوّر للحظ. وقفتُ له في طريقه أيامَ

نهيه وأمره اروم ان اناوله قصّة كانت بـه مختصّة ، فو الله ما
تمكّنْتُ من الدنو منه بحيلة لكثافة موكبه و كثرة من حفّ
به ، واخذ النـاس السكك عليه وافواهَ الطرق ينظرون اليه
ويسلمون عليه ، حتى ناولت قصتي بعض كتّابه الذين نصبهم
جناحي موكبه لاخذ القصص ، فانصرفتُ وفي نفسي ما فيها
من الشرَق بحاله والغصص ، فلم تطـل المدة حتى غضب عليـه
المنصور واعتقله ، ونقله معه في الغزوات ذليلًا وحمله . واتّفق
ان نزلت بجليقية في بعض المنـازل الى جانب خبائه ، في ليلة
نهى فيهـا المنصور عن وقد النيران ليخفى عـلى العدوّ أثره ،
ولا ينكشف له خبره ، فرأيت والله ابنـه عثمان يسقيه دقيقاً
قد خلطه بمـاء يقيم به اوده ويمسك به رمقه بضعف حال وعدم
زاد ومال ، وسمعته يقول :

تأمّلْتُ صرف الحـادثات ، فلم أزل
أراهـا توافي عند مقصدهـا الحُرّا

فلله أيام مضـت لسبيلهـا ،
فـانيَ لا أنسى لهـا أبداً ذكرا

تجافت بهـا عنا الحوادث برهـة ،
وابدت لنـا منها الطلاقـة والبشرا

ليالِيَ لم يدرِ الزمان مكاننا ،
ولا نظرت منا حوادثه شزرا

وما هذه الأيام الا سحائب
على كل أرض تمطر الخير والشرا

وكان مما أعين به ابن أبي عامر على جعفر بن عثمان المصحفي ميل الوزراء اليه وايثارهم له عليه ، وسعيهم في ترقيه واخذهم بالعصبية فيه ، فانها ، وان لم تكن حمية اعرابية ، فقد كانت سلفية سلطانية ، يقتفي القوم فيها آثار سلفهم ، ويمنعون بها ابتذال شرفهم ، غادروها سيرة ، وخلفوها عادة اثيرة ، تشاحح الخلف فيها تشاحح اهل الديانة ، وصانوا بها مراتبهم اعظم صيانة ، ورأوا ان احداً من التوابع لا يدرك فيها غاية ، ولا يلحق لها راية ، فلما احظى المستنصر بالله جعفر بن عثمان واصطنعه ووضعه من اثرته حيث وضعه ، حسدوه وذموه ، وخصّوه بالمطالبة وعمّوه ؛ وكان اسرع هذه الطائفة الى مهاودة المنصور عليه ؛ والانحراف عنه اليه ، آل ابي عبدة وآل شهيد وآل جهور وآل فطيس ، وكانوا في الوقت ازمّة الملك وقوام الخدمة ومصابيح الأمة ، فأحظوا محمد بن ابي عامر مشايعة ولأسباب المصحفي منازعة ، وشادوا بناه وقادوا الى عنصره سناه ، حتى بلغ الأمل ، والتحف بمناه واشتمل ، وعند التئام

هـذه الامور لابن ابي عامر استكان جعفر بن عثمان للحادثـة وأيقن بالنكبة وزوال المرتبـة ، وكفّ عن اعتراض محمد وشركته في التدبير، وانقبض الناس عن الرواح اليه والتبكير، وانثالوا على ابن أبي عامر ، فخفّ موكبه وغار من سماء العزة كوكبه ، وتوالى عليـه سعي ابن أبي عـامر وطلبه حتى محاه ، وهتك ظلاله وأضحاه ، ومن قوله :

لا تأمنن من الزمان تقلّباً ،
ان الزمـان بأهـله يتقلب

ولقد أراني، والليوث تهابني ،
وأخافني من بعد ذاك الثعلب

حَسْبُ الكريم مهانةً ومذلّةً
ألاّ يزال الى لئيم يطلب

وكان قوله هذه الابيات لما سيق الى مجلس الوزارة للمحاسبة، وواثق الضاغط يزعجه ويستحثّه، وهو يقول له: رفقاً بي يا واثق، فستدرك ما تحبّه وتشتهيه، وترى ما كنت ترتجيه . وقد تقدّم ذلك .

استبداد ابن أبي عامر بالملك وتغلبه عليه

لما قتل ابن أبي عامر جعفر بن عثمان انفرد بشأنه ، ورمى

الغرض الأبعد من ضبط السلطان والحجر عليه والاستبداد بالمملكة وأمور الدولة، جرى في ذلك مجرى المتغلبين على سلطان العباس بالمشرق من امراء الديلم حتى اورث ذلك عقبه، فأخذ ابن أبي عامر في تغيير سير الخلفاء المروانية في استجرار الأمر لنفسه وسبك الدولة على قالبه، فاداه ذلك الى مضادة ... فبدّل بالامن «خوفاً» ، وبالسكون حركة، وبالاناة بطشة، وبالوداعة «صلفاً» ، فجعل أهل الرأي من مصادر اموره ومواردها، ويقضون بخروجها عن حد الصواب «من دون» التدبير لها، وربما فاوض جلهم الرأي، فيشيرون عليه من الوجه الذي عرفوه والقانون الذي حمدوه ، فيعدل عن ذلك الى المذهب الذي شرعه والطريق الذي نهجه والخطإ الذي لا يجهل اقتحامه ، فيبهت القوم من حسن ما يقع له .

قال الفتح بن خاقان : فردّنا به على من تقدّمه وصوّبه واستخدمه ، فانه كان امضاهم سناناً ، واذكاهم جناناً ، واتمهم جلالاً ، واعظمهم استقلالاً ، فآل امره الى ما آل ، واوهم العقول بذلك المآل ، فانه كان آية الله في اتفاق سعده ، وقربه من الملك بعد بعده ، بهر برفعة القدر ، واستظهر بالاناة وسعة الصدر ، وتحرّك فلاح نجم الهدو ، وتملك فما خفق بأرضه لواء عدو ، بعد خمول كابد منه غصصاً وشرقاً ، وتعذّر مأمول طارد فيه سهراً وارقاً ، حتى انجز له الموعود ، وفر نحسه امام

تلك السعود ، فقام بتدبير الخلافة ، واقعد من كان له فيها انافة ، وساس الأمور احسن سياسة ، وداس الخطوب بأخشن دياسة ، فانتظمت له الممالك ، واتضحت به المسالك ، وانتشر الامن في كل طريق ، واستشعر اليمن كل فريق ، وملك الاندلس بضعاً وعشرين حجة ، لم تدحض لسعادتها حجة ، ولم تزخر لمكروه بها لجة ، لبست فيها البهاء والاشراق ، وتنفّست عن مثل انفاس العراق .

وكانت ايامه احمد ايام ، وسهام بأسه أسدّ سهام ، غزا الروم شاتياً وصائفاً ، ومضى فيما يروم زاجراً وعائفاً ، فأوغل في تلك الشعاب ، وتغلغل حتى راع ليث الغاب ، ومشى تحت الويته صيد القبائل ، واستجرت في ظلها بيض الظبى وسمر الذوابل ، وهو يقتضي الأرواح بغير سوم ، وينتضي الصفاح على كل روم ، ويتلف من ينساق للخلافة وينقاد ، ويختطف منهم كل كوكب وقاد ، حتى استبدّ وانفرد وانس اليه من الطاعة ما نفر وشرد ، وانتظمت له الاندلس بالعدوة ، واجتمعت له اجتماع قريش في دار الندوة ، ومع هذا فلم يخلع اسم الحجابة ، ولم يدع السمع لخليفته والاجابة ، ظاهراً بخلافه الباطن ، واسماً تنافره مواقع الحكم والمواطن ، واذلّ قبائل الاندلس باجازة البرابر ، واخمل بهم اولئك الاعلام الاكابر ،

فانه قاومهم باضدادهم ، واستكثر من أعدادهم ، حتى تغلّبوا على الجمهور ، وسلبوا منهم الظهور ، ووثبوا عليهم الوثوب المشهور ، الذي أعاد أكثر الاندلس قفراً يباباً ، وملأها وحشاً وذباباً ، واعراها من الامان برهة من الزمان ، وعلى هذه الهيئة فهو وابنه المظفر كانا آخر سعد الاندلس ، وحدّ السرور بها والتأنّس ، وغزواته فيها شائعة الاثر ، رائقة كالسيف ذي الاثر ، وحسبه وافر ، ونسبه معافر ، ولذا قال يفخر :

رميتُ بنفسي هول كلِّ كريهة ،
وخاطرتُ ، والحرُّ الكريم مخاطرُ

وما صاحبي إلا جنان مشيع ،
وأسمر خطي ، وأبيض باترُ

وإني لزَجّاء الجيوش الى الوغى ،
اسود تلاقيها اسود خوادر

لسدت بنفسي أهل كل سيادة ،
وكاثرت حتى لم اجد من اكاثر

وما شدتُ بنياناً ، ولكن زيادة
على ما بنى عبد المليك وعامر

رفعنا المعالي بالعوالي حديثة ،
وأورَثناها في القديم معافر

وكانت امه تميمية فحاز الشرف من طرفيه والتحف بمطرفيه ، قال القسطلي :

تلاقت عليه من تميم ويعرب شموس ، تلالا في العلى وبدور
من الحميريين الذين اكفهم سحائب ، تهمي بالندى ، وبحور

وتصرّف قبل ولايته في شتى الولايات ، وجاء من التحدث بمنتهى امره بآيات ، حتى صح زجره ، وجاء بصبحه فجره ، تؤثر عنه في ذلك اخبار فيها عجب واعتبار ، وكان اديباً محسناً ، وعالماً متفنناً ، فمن ذلك قوله يمنّي نفسه بملك مصر والحجاز ، ويستدعي صدور تلك الاعجاز :

منعَ العينَ ، ان تذوق المناما ، حبُّها ان ترى الصفا والمقاما
لي ديون بالشرق عند اناس ، قد احلُّوا بالمشعرين الحراما
ان قضوها نالوا الأماني ، والا جعلوا دونها رقاباً وهاما
عن قريب ترى خيول هشام يبلغ النيل خطوها والشآما

وفي سنة ٣٦٨ امر المنصور بن ابي عامر ببناء قصره المعروف بالزاهرة ، وذلك عندما استفحل امره واتقد جمره ، وظهر استبداده وكثر حسّاده ، وخاف على نفسه في الدخول الى قصر السلطان وخشي ان يقع في اشطان ، فتوثّق لنفسه وكُشِفَ له ما سُتر عنه في أمسه من الاعتزاز عليه ورفع الاستناد اليه ، وسما الى ما سمت اليه الملوك من اختراع قصر

ينزل فيه ، ويحله بأهله وذويه ، ويضم اليه رئاسته ، ويتمم به تدبيره وسياسته ، ويجمع فيه فتيانه وغلمانه ، فارتاد موضع مدينته المعروفة بالزاهرة ، الموصوفة بالقصور الباهرة ، واقامها بطرف البلد على نهر قرطبة الاعظم ، ونسق فيها كل اقتدار معجز ونظم ، وشرع في بنائها في هذه السنة المؤرخة ، وحشد اليها الصناع والفعلة ، وجلب اليها الآلات الجليلة ، وسربلها بهاءً يردُّ العيون كليلة ، وتوسّع في اختطاطها ، وتولّع بانتشارها في البسيطة وانبساطها ، وبالغ في رفع اسوارها ، وثابر على تسوية انجادها واغوارها ، فاتّسعت هذه المدينة في المدة القريبة وصار بناؤها من الابنية الغريبة ، وبنى معظمها في عامَين.

وفي سنة ٣٧٠ انتقل المنصور بن أبي عامر اليها ونزلها بخاصته وعامته ، فتبوّأها وشحنها بجميع اسلحته وامواله وامتعته ، واتخذ فيها الدواوين والاعمال ، وعمل داخلها الاهراء ، واطلق بساحتها الارحاء ، ثم اقطع ما حولها لوزرائه وكتابه وقواده وحجابه ، فاقتنوا باكنافها كبار الدور وجليات القصور ، واتخذوا خلالها المستغلاّت المفيدة والمنارات المشيدة ، وقامت بها الاسواق وكثرت فيها الارفاق ، وتنافس الناس في النزول باكنافها والحلول باطرافها للدنو من صاحب الدولة ، وتناهى الغلوُّ في البناء حوله ، حتى اتّصلت ارباضها بارباض قرطبة ،

وكثرت بجورتها العمارة ، واستقرّت في بحبوحتها الامارة ، وأفرد الخليفة من كل شيء الا من الاسم الخلافي ، وصير ذلك هو الرسم العافي ، ورتب فيها جلوس وزرائه ورؤوس امرائه ، وندب اليها كل ذي خطة بخطته ، ونصب على بابها كرسي شرطته ، وأجلس عليها والياً على رسم كرسي الخليفة ، وفي صفة تلك الرتبة المنيفة ، وكتب الى الاقطار بالاندلس والعدوة بأن تحمل الى مدينته تلك اموال الجبايات ، ويقصدها أصحاب الولايات ، وينتابها طلاب الحوائج ، وحذر ان يعوج عنها الى باب الخليفة عائج ، فاقتضيت لديها اللبانات والأوطار ، وانحشد الناس اليها من جميع الأقطار ، وتمّ لمحمد بن أبي عامر ما أراد وانتظم بلبة أمانيه المراد ، وعطل قصر الخليفة من جميعه وصيره بمعزل من سامعه ومطيعه ، وسدّ باب قصره عليه وجدّ في خبر ألاّ يصل اليه ، وجعل فيه ثقة من صنائعه يضبط القصر ويبسط فيه النهي والأمر ، ويشرف منه على كل داخل ويمنع ما يحذره من الدواخل ، ورتب عليه الحراس والبوابين والسمار والمنتابين ، يلازمون حراسة من فيه ليلاً ونهاراً ، ويراقبون حركاتهم سرّاً وجهاراً ، وقد حجر على الخليفة كل تدبير ومنعه من تملّك قبيل أو دبير .

وأقام الخليفة هشام مهجور الفناء ، محجور الغناء ، خفيّ

الذكر ، عليل الفكر ، مسدود الباب ، محجوب الشخص عن الأحباب ، لا يراه خاصّ ولا عام ، ولا يخاف له بأس ، ولا يرجى منه انعام ، ولا يعهد منه الا الاسم السلطاني في السكة والدعوة ، وقد نسخه ولبس ابهته وطمس بهجته ، واغنى الناس عنه ، وأزال اطماعهم منه ، وصيَّرهم لا يعرفونه ، وأمرهم لا يذكرونه .

واشتدّ ملك محمد بن أبي عامر منذ نزل قصر الزاهرة ، وتوسع مع الأيام في تشييد ابنيتها حتى كملت احسن كمال ، وجاءته في نهاية الجمال تفاوت بناء ، واعتدال هواء ، رقّ أديمه ، وصفا له جو فاعتلّ نسيمه ، ونضرة بستان ، وبهجة للنفوس فيها افتتان ، وفيها يقول صاعد اللغوي :

يا أيها الملك المنصور من يمن ،
والمبتني نسباً غير الذي انتسبا

بغزوة في قلوب الشرك رائعة ،
بين المنايا تناغي السمر والقضبا

أما ترى العين تجري فوق مرمرها
زهواً ، فتجري على احسائها الطربا

اجريتَها فطما الزاهي بجريتها ،
كما طموت فسدت العجم والعربا

تخال فيه جنود الماءِ رافلة ،
مستلئمات تريك الدرع واليلبا

تحفُّها من فنون الايك زاهرة ،
قد اورقت فضة اذ اثمرت ذهبا

بديعة الملك ، ما ينفكُّ ناظرها
يتلو على السمع منها آية عجبا

لا يحسن الدهر ان ينشي لها مثلاً ،
ولو تعنّت فيها نفسه طلبا

ودخل عليه عمرو بن أبي الحباب في بعض قصوره من المنية المعروفة بالعامرية ، والروض قد تفتّحت انواره ، وتوشّحت نجاده واغواره ، وتصرّف فيها الدهر متواضعاً ، ووقف بها السعد خاضعاً ، فقال :

لا يوم كاليوم في أيامك الاول
بالعامرية ذات الماء والظلل

هواؤها في جميع الدهر معتدل
طيباً ، وان حلّ فصل غير معتدل

ما ان يبالي الذي يحتلُّ ساحتها
بالسعد ، الا تحل الشمس بالحمل

ومـا زالت هذه المدينة رائقة ، والسعود بلبتهـا متناسقة ، تراوحها الفتوح وتغاديهـا ، وتجلب اليها منكسرة اعاديهـا ، لا تزحف منها راية الا الى فتح ، ولا يصدر عنها تدبير الا الى نجح ، الى ان حـان يومها العصيب ، وقيض لهـا من المكروه اوفر نصيب ، فتولـّت فقيدة ، وخلت من بهجتها كل عقيدة .

وأشاع ابن أبي عامر ان السلطان فوّض اليه النظر في أمر الملك وتخلـّى له عنه لعبادة ربّه ، وانبثّ ذلك في الرعية حتى اطمأنوا اليه مع قوة ضبطه وسرعـة بطشه ، فانتظم له ذلك كله وأكثر منه ، بعد ان حصن قصر الخليفة في هذا الوقت بالسور الذي أدار حوله ، وعمل الخندق المطيف به من جانبيه ، والأبواب الوثيقة بالاحراس ، والسمار الذين وضعهم بأنقابه ، ومنع الخليفة من الظهور ووكل بأبوابه من يمنع وصول خبر اليه أو امر من الأمور الا عن اذنه ، فان عثر على احد من الناس في تجـاوز هذا الحد عاجله ونكل به ، والأخبار عنه في هذا المعنى واسعة جدّاً ، غـير ان الاختصار في ذلك ان ابن ابي عـامر بلغ من ذلك مبلغاً لم يبلغـه قط متغلب على خليفة لأنـه احتوى على الملك « كأنه » له ، وصير الخليفة قبضة في يده ، حتى انه لم يكن ينفذ له امر في داره ولا على حرمه الا عن اذنه وعلمه ، وجعل متولي قصره من قبله من يثق به ، وصيره عيناً على السلطان لا يخفى عليه شيء من حركاته واخباره .

ولما ترقى ابن أبي عـامر الى هذا القدر عمـل في مكروه القائد الكبـير غالب الناصري صهره والتوطئة لأسباب هدمه ، فرأى ان يبني عليـه ضداً له من اصحـاب السيوف والحرابة المشهورين، لأن غالباً كان يستطيل على ابن أبي عـامر بأسباب الفروسية ويفايقه بمعاني الشجاعة ويعلوه من هذه الجهة ، التي لم يتقدم لابن ابي عامر بها معرفة ، فلم يجد لذلك مثل جعفر بن علي بن حمـدون المعروف بابن الاندلسي شـدّة بأس وربـط جاش ونباهة ذكر وجلالة قدر ، فجدّ في استجلابه ، وهو مقيم في العدوة وآل علي ممن اطاع الخليفة هشاماً من زناتة ، فبعث ابن ابي عامر اليه وتواترت كتبه اليه ، فأسلم العمل الى اخيه يحيى وعبر البحر الى الاندلس بجيشه فنزل قصر العقاب بعد ان اعدّ له مـا يصلح فيه ، فاستوزره ابن أبي عامر فعظم منانه واحلـّه محلّ الاخ في الثقة وقدمه على الكفاة ، فوجد عنده مـا أحبّه وفوق ما قدره ، فاعتدل بالبرابرة أمره وقوي ظهره ، وكانت هذه القطعة من البربر نحو الستمائة .

وما زال بعد ذلـك يستدعيهم ويتضمن الاحسان اليهـم والتوسعة عليهم الى ان اسرعوا الى الاندلس وانثالوا على ابن أبي عامر ، وما زالوا يتلاحقون ، وفرسانهم يتواترون ، يجيءُ الرجل منهم بلباس الخلق على الاعجف فيبدل له بلباس الخز

الطرازي وغيره ، ويركب الجواد العتيق ويسكن قصراً لم يتصوّر له في منامه مثله، حتى صاروا اكثر من اجناد الاندلس؛ ولم تزل طائفة البربر خاصّة ابن أبي عامر وبطانته ، وهم أظهر الجند نعمة واعلاهم منزلة .

ولما علم غالب بادناء جعفر علم الغرض فيه ، ففسد ما بينهما ووقع بينهما معارك وفتن كان الظفر فيها لابن أبي عامر على غالب ، ومات وهو يقاتله مع النصارى ، وكان قد استجلبهم اليه في خبر طويل ، فوجد غالب مقتولاً في مجال الخيل وابن أبي عامر كاد ان ينهزم له، فقيل ان قربوس سرجه قتله ، وقيل غير ذلك، فكان ذلك أكبر سعد ابن أبي عامر ولم يبق له بعد ذلك من يخاف منه .

ولما فرغ ابن أبي عامر من غالب دبر الحيلة في حتف جعفر ابن علي الذي اقامه اكبر معين في أمر غالب، فواطأ على قتله أبا الاحوص وانفرد وحده .

وفي سنة ٣٧١ تسمى ابن أبي عامر بالمنصور ودُعي له على المنابر استيفاء لرسوم الملوك ، فكانت الكتب تنفذ عنه : من الحاجب المنصور أبي عامر محمد بن ابي عامر الى فلان . وأخذ الوزراء بتقبيل يده ثم تابعهم على ذلك وجوه بني امية ، فكان من يدخل عليه من الوزراء وغيرهم يقبلون يده وينحنون له

عند كلامه ومخاطبته ، فانقاد لذلك كبيرهم وصغيرهم ، واذا بدا لابصارهم طفل من ولده قاموا اليه فاستبقوا ليده تقبيلاً وعمّوا اطرافه لثماً ، فساوى محمد بن ابي عامر الخليفة في هذه المراتب وشاركه في تلك المذاهب ، ولم يجعل فرقاً بينهم وبينه إلا في الاسم وحده في تصدير الكتب عنه ، حتى تناهت حاله في الجلالة وبلغ غاية العز والقدرة .

قال حيان بن خلف : وقرأت في بعض الكتب ان محمد ابن ابي عامر لما حجب هشاماً عن الناس واستبد بالامر دونه ظهرت فيهم بقرطبة اقوال معرضة افشوا بينهم فيها ابياتاً فاحشة ، فمن ذلك ما قيل عن لسان هشام الخليفة في شكواه لهم:

أليس من العجائب أنّ مثلي يرى ما قلّ ممتنعاً عليه
وتُملك باسمه الدنيا جميعاً ، وما من ذاك شي في يديه !

ومما قيل في تقديم هشام وهو صغير لم يبلغ الحلم وفي قاضيه ابن السليم :

«قدنكث» الوعدوحان الهلاك ، وكل ما تكرهه قد اتاك

. . . . . . . . . . .

يريد بذلك شغف ام هشام بابن ابي عامر لانها كانت تتّهم به ، وهي أوصلته إلى حيث وصل من الحال التي لم تتمكن لاحد قبله ولا بعده مثلها ، فسلب هشام ملكه وجنده وماله .

وفي سنة ٣٧٢ قتل جعفر بن علي بن حمدون المعروف بابن الاندلسي ، وذلك ان المنصور عزم بزعمه على اكرام جعفر المذكور ليلة الاحد لثلاث خلون من شعبان من السنة مكراً منه وحيلة لقتله ، فانتخبه ساقي المجلس بكأس ، فقال له ابن أبي عامر : أسقها أَعَزّ الناس عليّ . فأمسك الساقي حيرة لكثرة من ضمّ المجلس من العلية ، فزجره ابن أبي عامر وقال : ناولْها الوزير أبا احمد عليك لعنة الله ! فقام جعفر فتناولها على قدمه واستخفه الطرب حتى قام يرقص ، فلم يبقَ احد بالمجلس الا فعل كفعله ، وأميلت اليه الكؤوس حتى ثقل وانصرف في جوف الليل مع بعض غلمانه ، فخرج اليه معن واصحابه فلم يكن فيه امتناع لما كان عليه من السكر ، فأخَذَتْهُ السيوف حتى برد وحزّ رأسه ويده اليمنى وحملا الى ابن أبي عامر سرّاً ، فأظهر ابن أبي عامر الحزن عليه .

وفي سنة ٣٧٥ جهز المنصور جيشاً كثيفاً وبعثه الى العدوة فحاصر حسن بن قنون الشريف الحسني ، وكان حاول الخروج من الدعوة المروانية ، واجتمع اليه خلق من أهل الغرب وظهر أمره ، فوصله الجيش فلم يجد ملجأ الاّ الاستسلام للأمان ، فأمنه قائد الجيش وحمله الى قرطبة مرقّباً ، فلم يمض ابن أبي عامر أمانه وأمر بقتله ليلاً في الطريق بغياً وتعدياً ، لأنّ أمان قائده امانه .

فقال من شاهد قتله: أن هبت عليهم ريح عاصف، في تلك الليلة التي قتل فيها غدراً ذلك الشريف، صبّتهم على وجوههم وسلبتهم اثوابهم وحملت رداء حسن المقتول فلم يجدوه ، واظلم عليهم الأفق حتى خافوا على انفسهم .

وفيها تفرّق بنو ادريس في البلاد وملك ابن أبي عامر الغرب واخرج منه من بقي به من بني ادريس فقيل في ذلك :

فيما أرى عجب لمن يتعجب ،
جَلَّتْ مصيبتُنا وضاق المذهب

اني لأكْذِب مقلتي فيما أرى ،
حتى أقول غلطتُ فيما أحسب

أيكون حيّاً من أمية واحد ،
ويسوس ضخم الملك هذا الاحدب !

تمشي عساكرهم حوالى هودج ،
اعواده فيهن قرد اشهب

ابني امية اين اقمار الدجى
منكم وما لوجوهها تتغيب ؟

ثم قام بعد ذلك في الغرب على ابن ابي عامر زيري بن عطية المغراوي، ونكث طاعته بعد الحب الشديد والولاء الاكيد،

وضغن على ابن ابي عامر تغلّبه على هشام وسلبه ملكه ، فأنفذ
له ابن ابي عامر واضحاً الفتى في جيش كثيف، فقاومه بالغرب
ودارت بينهم حروب عظيمة ، ثم أردفه ابن ابي عـامر بولده
عبد الملك، وهبط ابن ابي عامر الى الجزيرة الخضراء يمدهم بالقواد
والأجناد ، وسار عبد الملك بن ابي عامر من طنجـة الى زيري
ابن عطية، ودارت بينهم حرب لم يسمع بمثلها قط، ثم انهزم زيري
ومن معه ونجا مثخناً بالجراح. وملك ابن ابي عامر بلاد الغرب
الى سنة ٣٩٧

وكان سبب تملّك بني امية مغرب العدوة ان عبد الرحمن
الناصر وجه اليها اسطولاً، فلما حلّ بسبتة اعلن اهلها بدعوته ،
وبادروا الى طاعته يوم الجمعة صدر ربيع الاول من سنة ٣١٩،
ثم تتابعت البلاد بالطاعة ؛ ثم تكاثر ورود وفودها عليـه وعلى
الحكم ابنه؛ ثم التاثت طاعتها على ابن ابي عامر، فوجه واضحاً
فتاه وسكن في جبل ابي حبيب عاماً في الاخبية ؛ ثم وجـه
بابنه عبد الملك اليها فالتقى بزيري وهزمه ، وغدره ابن عمـه
الخير بن مقاتـل فطعنه برمح في قفاه وهرب ، ومات بعـد
ذلك زيري من الجرح بعدما لقي جموع صنهاجة اصحـاب
افريقية وهزمهم. وانصرف عبد الملك بعدما استقامت له الطاعة
بالغرب فوجد اباه في غزاته بلاد الشاكسة منصرفاً عنها ، والتقى
به بسرقسطة ، وهي التي تسمى بغزاة البياض سنة ٣٧٩

وفي سنة ٣٧٩ قتل المنصور بن ابي عامر عبد الرحمن بن مُطَرِّف صاحب سرقسطة والثغر الاعلى؛ وسبب ذلك انه لما فكر عبد الرحمن في شأن من اتلفه ابن ابي عامر من كبار رجال الدولة علم انه لم يبق غيره وخشي ان يلحقه بالجماعة، فسوّل له القدر المتاح التدبير على محمد وقرب عليه مأخذه ولده عبد الله بن المنصور .

ذكر تدبير عبد الرحمن بن مطرف مع عبد الله بن المنصور في القيام عليه

وذلك ان عبد الله بن محمد بن أبي عامر كان مقيماً بسرقسطة عند عبد الرحمن متغير النفس على ابيه لاحظاء عبد الملك أخيه عنده، وكان عبد الله يرى انه اشجع وافهم وارجل وافرس من أخيه عبد الملك، وان اباه عين الظالم له في التسوية بعبدالملك، فكيف في تقديمه عليه . فكان في قلبه على أبيه سعير نار أذكاها عبد الرحمن بن مطرف واضرمها فتوطآ على الوثوب بالمنصور في اول فرصة على ان يقسما ملك الاندلس : فالحضرة لعبد الله والثغر لعبد الرحمن؛ وشرعا في احكام سبيل ذلك والتماس وجهه؛ وساعدهما عليه جماعة من وجوه أهل قرطبة من الجند والخدمة وغيرهم، فيهم : الوزير عبد الله بن عبد العزيز المرواني صاحب طليطلة، فانبثّت اراجيف شنيعة تحقق المنصور صحتها ولم يشك

فيها، فاستدعى ابنه عبد الله من سرقسطة واستأنف له كثيراً من التقديم والمبرّة خديعة ومغالطة ، وصرف المرواني عن طليطلة صرفاً جميلاً، ثم صرفه عن الوزارة بعد مديدة والزمه داره، ثم خرج ابن ابي عامر غازياً الى قشتيلة ، فتوافت اليه امداد الثغور ، فيهم: عبد الرحمن بن مطرف ورجال سرقسطة ، فلما صاروا بوادي الحجارة اطبق اهل الثغور على الشكوى بعبد الرحمن بدسيسة من ابن ابي عامر لهم في ذلك حيلة منه ، وذكروا انه يحتبس أرزاقهم ويحتجن لنفسه ، فصرفه محمد عن سرقسطة منسلخ صفر من سنة ٣٧٩ المذكورة وقلدها مكانه ابن عبد الرحمن يحيى الملقب بسماجة ، اطماعاً لقومه التجيبيين في المحافظة ، ولبث عبد الرحمن في العسكر متردداً الى أن قبض عليه يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول. وسخط عليه المنصور وأمر بحسابه ؛ ثم قتل بعد ذلك بالزاهرة بين يدي المنصور، واستدعى المنصور ابنه عبد الله الى عسكره خوفاً من ان يحدث حدثاً بانفته ، فوافى العسكر ، فرفق به أبوه ، وأمل استصلاحه ، وقد تباعد ذلك عليه لسقم سريرته وشدة حقده ؛ ونازل المنصور اثناء ذلك مدينة شنت اشتيبن ، فلما اشتغل المسلمون بالقتال فرّ عبد الله بن المنصور من العسكر في ستة نفر من غلمانه ، فلحق بعدو الله غرسية بن فرذلند صاحب

أَلَبَة فقبله وأجاره على أبيـه . فتحرّك المنصور لغزو غرسية ومطالبته باسلام ابنه اليه واقسم له انه لا يقلع عنه حتى يمكنـه من ولده ، واقرّ غرسية على الامتناع من ذلك ، فهزم المنصور غرسية وفضّ جمعه ، واشتقّ بلد ألبـة وافتتح حصن وخشمة عنوة واسكنه المسلمين .

فضرع غرسية في مسالمته على ما شاء من شروطه في عبد الله وغيره ، فعقـد له المنصور على ذلك ، فوكل غرسية بعبـد الله جماعة من العلوج ، وحمـل عبد الله وأصحابه على البغـال ، وخرج سعد الخادم يستقبل عبد الله ، فدنا من سعـد وهو على بغل فاره مرتفع الحلية عليـه ثوب وشي عجيب الصنعة ، وهو متطلق قوي الرجاء في الاقالة ، فقبل سعد يده وآنسه وهوّن عليه الخطب ، ثم تخلّف عنه بقرب الوادي الجوفي ووكل به من قتله ، فحفّ به الموكلون واعلموه بموته .

ذكر مقتل عبد الله بن المنصور

ولما أعلموه بان حلّ بـه ما كان يحذره امروه بالنزول فلم يمتنع لهم وترجّل ومشى الى السيف متطلقاً ، فظهرت منـه عند الموت صرامة عجب لهـــا من شاهده ، وتقدّم اليه ابن خفيف الشرطي فضرب عنقه صبراً عند غروب الشمس من يوم الاربعاء

لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ٣٨٠، وأنفذ المنصور رأس ابنه الى الخليفة مع كتاب الفتح، ودفن جسده في الموضع الذي قتل فيه، وكانت سنّه يوم قُتِل ثلاثاً وعشرين سنة، وذلك في غزوته الخامسة والاربعين. ثم ان ابن أبي عامر استثقل سعداً وابن خفيف ولم يزل حاقداً عليهما حتى قتلهما بعد الامتحان، وازداد ابن أبي عامر بما فعله بابنه هيبة وملئت قلوب الناس منه ذعراً .

ومما حكي في أمر عبد الله المقتول

قال الوزير أبو عمر بن عبد العزيز : لما قتل المنصور ابنه ارتاع الناس لذلك واوحشهم فعله ، فتكلّموا في ذلك كثيراً ورجموا فيه الظنون، ولم يتوجه لاحد فيه سبب يقضي بقتله، ثم تحرّك المنصور أثر ذلك في بعض غزواته، فلما احتلّ بقلعة رباح، قال المخبر: دُعينا الى الطعام، فلما كُنّا في وسط الطعام، وقد استفاض الحديث في عبد الله المقتول، فقال من حضر على لسان واحد : أيّدَ الله المنصور ، لقد صرتَ من قتله في غاية يعدم الصبرُ في مثلها ، فما سبب ذلك؟ قال : لا أعلم له سبباً الا اني لما عرضت امه علقتُ بها وتمكّن من قلبي حبّها تمكّناً لم أقدر ان اسلو عنه ، فابتعتُها متجاوز النهاية في ثمنها وجعلتُها عند

قريبة لي، وكنتُ كل يوم اخطر عليها اتعرّف استبراءها، فلما احسَّتْ بجيي لها وكلفي بها توَخَّتْ رضائي وذكرت لي انها قد استبرأت، وهي كاذبة في ذلك، تريد بذلك موافقة مسارّي واستعجال مرادي، فدخلتُ بها وهي لم تستبرىء فكنت شاكّاً فيه، وكان مولده سنة ٣٥٨

حكاية زطرزون البربري مع المنصور

وجرت للمنصور غبّ ذلك مع رجل من اعيان البربر اسمه زطرزون بن نزار البرزالي نادرة، وذلك انه قال يوماً، وقد بسطه في بعض المجالس: يا مولاي لمَ قتلتَ عبد الله ابنك؟ ووصف شجاعته وخصاله، فقال له المنصور: لا يسؤك ذلك، فلو لم أفعل لقتلني، وما كان من ولدي وبهذا اتّهمت امه، وكانت أمة سَوْءٍ، وقد قالوا ان الارحام الردية تفسد الذرية. فقال الجاهل زطرزون: كذا يا مولاي فحر ام امه وحرم أبيه. فخجل المنصور وقال: شقينا بهذا الملعون في حياته وبعد موته؛ وعلم ما كان عليه زطرزون من الجهالة، فأعرض عنه وصارت كلمته مأثورة في الناس مدة طويلة.

وكان المنصور آية من آيات فاطره دهاءً ومكراً وسياسة، عدا بالمصاحفة على الصقالبة حتى قتلهم واذلّهم؛ ثم عدا بغالب

الناصري على المصاحفـة حتى قتلهم وأبادهم ، ثم عدا بجعفر بن الاندلسي على غالب حتى قتله ، ثم عدا بنفسه على جعفر وقتله ، ثم انفرد بنفسه وصار ينادي صروف الدهر : هل مِن مبارز؟ فلما لم يجده حمل الدهر على حكمه فانقاد له وساعده ، فاستقام أمره منفرداً بمملكة لا سلف له فيها .

ومن أوضح الدلائل على سعده أنه لم ينكب قط في حرب شهدها ، وما توجهت قط عليه هزيمة ، وما انصرف عن موطن إلا قاهراً غالباً عـلى كثرة مـا زاول من الحروب ومارس من الاعداء وواجه من الامم ، وانهـا لخاصة ما احسب شركه فيها أحد من الملوك الاسلامية . ومن أعظم ما أعين به مع قوة سعده وتمكُّن جـدِّه ، سعة جوده وكثرة بذله ، فقـد كان في ذلك اعجوبة الزمان ، واول ما اتَّـكأ عـلى ارائك الملك وارتفق ، وانتشر عليه لواءُ السعد وخفق ، حطّ صاحبه المصحفي ، وأثار له كامن حقـده الخفي ، حتى اصاره للهموم لبيساً ، وفي غيابات السجون حبيساً ، فكتب اليه يستعطفه :

هبني اسأتُ فاين العفو والكرم ،
اذ قادني نحوك الاذعان والندم

يا خير من مُدَّت الايدي اليه ، أمـا
ترثي لشيخ نعـاه عندك القلم ؟

بالغت في الحطّ ، فاصفح صفح مقتدر ؛
ان الملوك اذا ما استرحموا رحموا

فما زاده ذلك الا حنقاً وحقداً ، ولا افادته الأبيات الا تضرُّماً ووقداً ، فراجعه بما ايأسَه وأراه مرمسه ، وأطبق عليه محبسه ، وضيق نزوحه عن المحنة وتنفسه :

الآن يا جاهلاً زلَّتْ بك القدم ،
تبغي التكرُّم لما فاتك الكرم

أغريت بي ملكاً ، لولا تثبُّته
ما جاز لي عنده نطق ولا كلم

فايأسْ من العيش ، اذ قد صرت في طبق ؛
ان الملوك اذا ما استنقموا نقموا

نفسي اذا سخطت ليست براضية ،
ولو تشفّع فيك العرب والعجم

وكان من أخبار المنصور الداخلة في أبواب البر والقربة بنيان المسجد الجامع والزيادة فيه سنة ٣٧٧ ، وذلك انه لما زاد الناس بقرطبة وانجلب اليها قبائل البربر من العدوة وافريقية ، وتناهى حالها في الجلالة ، ضاقت الأرباض وغيرها ، وضاق المسجد الجامع عن حمل الناس ، فشرع المنصور في الزيادة بشرقيه

حيث تتمكن الزيادة لاتصال الجانب الغربي ببعض القصور الخلافية، فبدأ ابن أبي عامر هذه الزيادة على بلاطات تمتدّ طولاً من اول المسجد الى آخره، وقصد ابن أبي عامر في هذه الزيادة المبالغة في الاتقان والوثاقة دون الزخرفة ، ولم يقصر مع هذا عن سائر الزيادات جودة، ما عدا زيادة الحكم .

واول ما عمله ابن أبي عامر تطييب نفوس أرباب الدور والمستغلات الذين اشتريت منهم للهدم لهذه الزيادة بانصافهم من الثمن ، أو بمعارضة ، وصنع في صحنه الجب العظيم قدره الواسع فناؤه ؛ وابن أبي عامر رتب احراق الشمع في المسجد الجامع زيادة للرسم، فتطابق بذلك النوران ، وكان عدد سواري الجامع الحاملة لسمائه واللاصقة بمبانيه وفنائه ومناره ، ما بين كبيرة وصغيرة ، الف سارية وأربع مائة سارية وسبع عشرة سارية ؛ وعدد ثريات الجامع ، ما بين كبيرة وصغيرة ، مائتان وثمانون ثريا ؛ وعدد الكؤوس سبعة آلاف كأس واربعمائة كأس وخمس وعشرون كأساً ؛وزنة مشاكي الرصاص للكؤوس عشرة ارباع القنطار او نحوها ؛ وزنة ما يحتاج اليه من الكتان للفتائل في كل شهر رمضان ثلاثة أرباع القنطار؛ وجميع ما يحتاج اليه الجامع من الزيت في السنة خمس مائة ربع أو نحوها ؛ يصرف منه في رمضان خاصة نحو نصف العدد .

ومما كان يختص برمضان المعظم ثلاثة قناطير من الشمع وثلاثة ارباع القنطار من الكتان العصر لاقامة الشمع المذكور، والكبيرة من الشمع توقد بجانب الامام يكون وزنها من خمسين الى ستين رطلاً، يحترق بعضها بطول الشهر ويعم الحرق لجميعها ليلة الختمة .

وكان من يخدم الجامع المذكور بقرطبة في دولة ابن أبي عامر ويتصرف فيه من ائمّة ومقرئين وامناء ومؤذنين وسدنة وموقدين وغيرهم من المتصرفين مائة وتسعة وخمسين شخصاً ، ويوقد من البخور ليلة الختمة أربع أواقٍ من العنبر الاشهب وثماني اواق من العود الرطب .

ومن ذلك بنيان قنطرة على نهر قرطبة الاعظم ، ابتدأ بنيانها المنصور سنة ٣٧٨ وفرغ منها في النصف من سنة ٣٧٩، وانتهت النفقة عليها الى مائة ألف دينار وأربعين ألف دينار ، فعظمت بها المنفعة وصارت صدراً في مناقبه الجليلة، وكانت قطعة أرض لشيخ من العامة ولم يكن للقنطرة عدول عنها ، فأمر المنصور امناءه بارضائه فيها، فحضر الشيخ عندهم واخذ حذره منهم، فساوموه بالقطعة وعرفوه وجه الحاجة اليها وان المنصور لا يريد الا انصافه فيها، فرماهم الشيخ بالغرض الاقصى عنده، فيما ظنّه ، ألاّ تخرج عنه بأقلّ من عشرة دنانير ذهباً كانت عنده

اقصى الامنية وشرطها صحاحاً، فاغتنم الامناءُ غفلته ونقدوه الثمن واشهدوا عليه، ثم أخبروا المنصور بخبره فضحك من جهالته وانف من غبنه وأمر أن يعطى عشرة أمثال ما سأل وتدفع له صحاحاً كما قال، فقبض الشيخ مائة دينار ذهباً فكاد ان يخرج عن عقله وان يجنّ عند قبضها من الفرح، وجاءَ محتفلاً في شكر المنصور وصارت قصته خبراً سائراً .

ومن ذلك أيضاً بنيان قنطرة على نهر استجة، وهو نهر شنيل، وتجشم لها أعظم مؤنة وسهل الطرق الوعرة والشعاب الصعبة .

ومن ذلك انه خطّ بيده مصحفاً كان يحمله معه في أسفاره يدرس فيه ويتبرك به .

ومن قوة رجائه انه اعتنى بجمع ما علق بوجهه من الغبار في غزواته ومواطن جهاده ، فكان الخدم يأخذونه عنه بالمناديل في كل منزل من منازله، حتى اجتمع له منه صرة ضخمة عهد بتصييره في حنوطه عند موته ، وكان يحمله حيثما صار مع أكفانه توقّعاً لحلول منيته، وقد كان اتخذ الأكفان من أطيب مكسبه من الضيعة الموروثة من أبيه وغزل بناته ، وكان يسأل الله تعالى ان يتوفاه في طريق الجهاد ، فكان ذلك .

وكان المنصور متّسماً بصحة باطنه واعترافه بذنبه وخوفه من ربّه وكثرة جهاده ، واذا ذُكر بالله ذَكر ، واذا خوف

من عقابه ازدجر ، ولم يزل متنزهاً عن كل ما يفتتن بـه الملوك سوى الخمر لكنـه أقلع عنها قبل موته بسنتين .

وكان عدل المنصور في الخاصة والعامة واطراحه المهاودة وبسطه الحق على الاقرب فالأقرب من خاصتـه وحاشيته أمراً مضروباً به المثل . ومن عدله انه وقف عليه رجل من العامة يوماً بمجلسه فناداه: يا ناصر الحق! ان لي مظلمة عند ذلك الوصيف الذي على رأسك ، وأشار الى الفتى صاحب الدرقة وكان له فضل محلٍّ عنـد ابن أبي عامر ؛ ثم قال : وقد دعوتُه الى الحاكم فلم يأتِ . فقال المنصور : أوَعبد الرحمن بن فطيس بهذه المنزلة من العجز والمهانة وكنا نظنُّه أمضى من ذلك؟ اذكر مظلمتك يا هذا . فذكر الرجل معاملة كانت جارية بينهما قطعها من غير نصف . فقال المنصور : مـا اعظم بليتنا بهذه الحاشية! ثم نظر الى الصقلبي ، وهو قد ذهل عقله ، فقال : ادفـع الدرقة الى فلان وانزل صاغراً وساوِ خصمك في مقـامه حتى يرفعك الحق او يضعك . ففعل ومثل بين يديه ، ثم قـال لصاحب شرطته الخاص به : خُذْ بيد هذا الظالم الفاسق وقدِّمه مع خصمه الى صاحب المظالم لينفذ عليه حكمه باغلظ ما يوجبه الحق من سجن أو غيره . ففعـل ذلك وعاد الرجل اليه شاكراً ، فقـال له المنصور : قد انتصفتَ أنت فاذهبْ لسبيلك وبقي انتصافي أنا

مِمّنْ تهاون بمنزلتي ؛ فتناول الصقلبي بانواع من المذلّة وانفذه عن الخدمة .

ومن ذلك قصّة فتاه الكبير المعروف بالميورقي مع التاجر المغربي ، فانهما تنازعا في خصومة توجهت فيها اليمين على الفتى المذكور ، وهو يومئذ اكبر خدم المنصور واليه أمر داره وحرمه ، فدافعَ الحاكِمَ وظنّ ان جاهه يمنع من احلافه . فصرخ التاجر بالمنصور في طريقه الى الجامع متظلماً من الفتى ، فوكل به في الوقت من حمله الى الحاكم فانصفه منه ، وسخط عليه المنصور وقبض نعمته منه ونفاه .

ومن ذلك قصة محمد فَصّاد المنصور وخادمه وأمينه على نفسه ، فان المنصور احتاجه يوماً الى الفصد ، وكان كثير التعهّد له ، فانفذ رسوله الى محمد فالفاه الرسول محبوساً في سجن القاضي محمد بن زرب لحيف ظهر منه على امرأته ، قدر ان سبيله من الخدمة يحميه من العقوبة ، فلما عاد الرسول الى المنصور بقصته أمر باخراجه من السجن مع رقيب من رقباء السجن يلزمه الى ان يفرغ من عمله ، ثم يعيده الى محبسه ، ففعل ذلك على ما رسمه وذهب الفاصد الى شكوى ما ناله ، فقطع عليه المنصور وقال له : يا محمد انه القاضي ، وهو في عدله ، ولو أخذني الحق ما اطقْتُ الامتناع منه . عُدْ الى محبسك او اعترف بالحق ، فهو الذي يطلقك .

فانكسر الحاجم وزال عنه ريح العناية ، وبلغت قصته القاضي فصالحه مع زوجه ، وزاد القاضي شدّة في احكامه .

ومن دهائه قال ابن حيان : كان جالساً في بعض الليالي ، فكانت ليلة شديدة البرد والريح والمطر ، فدعا بأحد الفرسان وقال له : انهضْ الى فج طليارش وأقِمْ فيه ، فأول خاطر يخطر عليك سُقْه اليّ . قال : فنهض الفارس وبقي في الفج في البرد والريح والمطر واقفاً على فرسه ، اذ وقف عليه قرب الفجر شيخ هرم على حمار له ومعه آلة الحطب ، فقال له الفارس : الى أين تذهب يا شيخ؟ فقال : وراء حطب . فقال الفارس في نفسه : هذا شيخ مسكين نهض الى الجبل يسوق حطباً ، فما عسى ان يريد المنصور منه ؟ قال : فتركتُه فسار عني قليلاً ، ثم فكرتُ في قول المنصور وخفت سطوته ، فنهضت الى الشيخ وقلت له : ارجع الى مولانا المنصور . فقال : وما عسى ان يريد المنصور من شيخ مثلي؟ سألتك بالله ان تتركني لطلب معيشتي . فقال له الفارس : لا افعل . ثم قدم به على المنصور ومثّله بين يديه وهو جالس لم ينم ليلته تلك ، فقال المنصور للصقالبة : فتشوه . ففتش فلم يوجد عنده شيء ، فقال : فتشوا برذعة حماره ، فوجدوا داخلها كتاباً من نصارى كانوا قد نزعوا الى المنصور يخدمون عنده الى اصحابهم من النصارى ليقبلوا ويضربوا في احدى

النواحي المعلومة ، فلما انبلج الصبح أمر باخراج اولئك النصارى الى باب الزاهرة فضربت اعناقهم وضربت رقبة الشيخ معهم .

ومن ذلك قصة الجوهري التاجر : وذلك ان رجلاً جوهرياً من تجـار المشرق قصد المنصور من مدينـة عدن بجوهر كثير وأحجار نفيسة ، فاخذ المنصور من ذلك ما استحسنه ودفع الى الجوهري التاجر صرته وكانت قطعة يمـانية ، فاخذ التاجر في انصرافه طريق الرملة على شط النهر ، فلما توسّطها ، واليوم قائظ وعرقه منصبّ ، دَعَتْه نفسُه الى التبرّد في النهر ، فوضع ثيابه وتلك الصرة عـلى الشط ، فمرت حدأة فاختطفت الصرة تحسبها لحماً وصاعدت في الافق بهـا ذاهبة ، فقطعت الافق الذي تنظر اليه عين التاجر ، فقامت قيامته وعلم انه لا يقدر ان يستدفع ذلك بدعوى ولا بحيلة ، فأسَرّ الحزن في نفسه ولحقَتْه لاجل ذلك علة اضطرب فيها . وحضر الدفع الى التجار فحضر الرجل لذلك بنفسه ، فاستبان له ما بالرجل من المهانة والكآبة ، وفقد ما كان عنده من النشاط وشدة العـارضة ، فسأله المنصور عن شأنه فاعلمه بقصته فقال له : هلا أتيت الينا بحدثان وقوع الامر ، فكُنّا نستظهر على الحيلة ، فهل هديت الى الناحية التي أخذ الطائر اليها ؟ قال : مَرّ مشرقاً على سمت هذا الجنان ، الذي يلي قصرك ، يعني الرملة . فدعا المنصور شرطيه الخاصّ بـه فقال له : جئني بمشيخة أهل الرملة

الساعة. فمضى وجاءَ بهم سريعاً فامرهم بالبحث عمن غَيّرَ حال الاقلال منهم سريعاً وانتقل عن الاضاقة دون تدريج. فتناظروا في ذلك ثم قالوا : يا مولانا ما نعلم الا رجلاً من ضعفائنا كان يعمل هو واولاده بايديهم ويتناولون السبق باقدامهم عجزاً عن شراء دابة، واكتسى هو وولده كسوة متوسطة. فامر باحضاره من الغد وأمر التاجر بالغدو الى الباب، فحضر الرجل بعينه بين يدي المنصور فاستدناه، والتاجر حاضر، وقال له : سببٌ ضاع منّا وسقط اليك، ما فعلتَ به؟ فقال : هوذا يا مولاي. وضرب بيده الى حجزة سراويله فاخرج الصرة بعينها، فصاح التاجر طرباً، وكاد يطير فرحاً. فقال له المنصور : صِفْ لي حديثها . قال : نعم ، بينا انا أعمل في جناني تحت نخلة اذ سقطَتْ أمامي ، فأخذتها وراقني منظرها، فقلت : ان الطائر اختلسها من قصرك لقرب الجوار، فاحترزت بها ودعَتْني فاقتي الى أخذ عشرة مثاقيل عيوناً كانت معها مصرورة ، وقلت : أقلُّ ما يكون في كرم مولاي ان يسمح لي بها. فأعجب المنصور ما كان منه وقال للتاجر : خذ صرّتك وانظرها واصدقني عن عددها . ففعل ، وقال : وحقّ رأسك يا مولاي ، ما ضاع منها شيء سوى الدنانير التي ذكرها وقد وهبتُها له . فقال له المنصور : نحن اولى بذلك منك ولا ننغص عليك فرحتك ، ولولا جَمْعه بين

الاصرار والاقرار لكان ثوابه موفوراً عليه . ثم أمر للتاجر بعشرة دنانير عوضاً من دنانيره ، وللجنان بعشرة دنانير ثواباً لتأنّيه عن افساد ما وقع بيده، وقال : لو بدأنا بالاعتراف قبل البحث لأوسعناه جزاء .

قال : فأخذ التاجر في الثناء على المنصور وقد عاوده نشاطه وقال : والله لأبثنّ في الأقطار عظيم ملكك ولأبيننّ انك تملك طير عملك كما تملك انسها ، فلا تعتصم منك ولا تؤذي جارك . فضحك المنصور وقال : اقصد في قولك يغفر الله لك . فعجب الناس من تلطّف المنصور في أمره وحيلته في تفريج كربته .

وكان المنصور اشدّ الناس في التغيّر على من عنده شيء من الفلسفة والجدل في الاعتقاد والتكلّم في شيء من قضايا النجوم وأدِلّتها، والاستخفاف بشيء من أمور الشريعة؛ واحرق ما كان في خزائن الحكم من كتب الدهرية والفلاسفة بمحضر كبار العلماء: منهم الاصيلي وابن ذكوان والزبيدي وغيرهم، واستولى على جميع حرقها بيده .

وممن أوقع به المنصور في مثل هذه المعاني المنكرة محمد بن أبي جمعة ، بلغه عنه قول من الارجاف في القطع على انقراض دولته ، فقطع لسانه ثم قتله وصلبه، فخرست ألسن جميعهم لذلك . وكذلك أيضاً عبد العزيز بن الخطيب الشاعر وكان أرفع

اهل هذه الطبقة منزلةً ، وكان مقدماً في أصحاب المنصور حتى فسد ضميره عنده، وبقي مدة يلتمس غرة منه ، حتى قال في بعض أبيات من شعره افرط فيها :

ما شئتَ لا ما شاءت الاقدار ،
فاحكمْ فانت الواحد القهار

فكأنما أنت النبي محمد ،
وكأنما أنصارك الانصار

فأمر بضربه خمسمائة سوط ونودي عليه باستخفافه ثم حبسه ونفاه بعد عن الاندلس .

وفي سنة ٣٨١ رشح المنصور ولده عبد الملك للولاية وقدم أخاه عبد الرحمن للوزارة، وترك اسم الحجابة، واقتصر على التسمّي بالمنصور وان يكتب: من المنصور أبي عامر وفقه الله الى فلان، بحذف اسم الحجابة ويذكر اسم ولده عبد الملك بخطة الحجابة والقيادة العليا؛ وسائر خطط المنصور سلم فيها لابنه عبد الملك وصحّتْ له الحجابة من يومئذ، وبعد هذا استبدل المنصور جند الاندلس بالبربر فاقام لنفسه جنداً اختصّهم باستصناعه واسترقّهم باحسانه، نسخ بهم في المدة القريبة جند الخليفة الحكم رحمه الله كما فعله في سائر اموره .

واتّفق في ذلك الوقت ان تحرّك بلقين بن زيري الصنهاجي

الى المغرب في جموعه وأوقع بقبائل زناتة طالباً ثأر أبيه زيري ، فهربوا أمامه كلهم الى سبتة وضاقت عليهم ارض العدوة ، فقيل لابن أبي عامر : قد أمكنك الله من اصطناع فرسان زناتة واعتقاد المنة عليهم ، فارسلْ فيهم يأتوك سراعاً ، فيجد احسانك اليهم مكاناً . فعمل ابن أبي عامر على ذلك وانفذ كتبه الى قبائل العدوة يستدعيهم ويتضمن الاحسان اليهم والتوسعة عليهم ، حتى كثروا بالاندلس فحسنت أحوالهم وكثرت أموالهم ، وما زالوا خاصته وبطانته الى ان هلك وانقرضت الدولة العامرية ، وقد صار بالأندلس منهم القبائل بأسرها ، وكاثروهم حتى نفذ قضاء الله عليهم بأيديهم .

وفي سنة ٣٨٦ عهد المنصور ان يخصّ بتسويده من بين سائر الناس كافة في المخاطبات ، وان يرفع ذلك عن سائر اهل الدولة مع الاقتصاد في مراتب الأدعية ، فنفذ الكتب بذلك ، وجرى العمل عليه بقية حياته ، وخوطب هذا الوقت بالملك الكريم ، واستبلغ في تكريمه وتعظيمه .

غزوة شنت ياقوب على سبيل الاختصار

وعند تناهي المنصور بن أبي عامر في هذا الوقت على الاقتدار والنصر على ملوك الطاغية دمرها الله سما الى مدينة شنت ياقوب

قاصية غليسية، واعظم مشاهد النصارى الكائنة ببلاد الأندلس وما يتصل بها من الأرض الكبيرة ، وكانت كنيستها عندهم بمنزلة الكعبة عندنا ، فيها يحلفون ، واليها يحجّون من أقصى بلاد رومة وما وراءها ، ويزعمون ان القبر المزور فيها قبر ياقوب الحواري أحد الاثني عشر رحمهم الله ، وكان أخصّهم بعيسى (ع.م) وهم يسمونه اخاه للزومه اياه ، وقد زعم جماعة منهم انه ابن يوسف النجار .

وشنت ياقوب هي مدفن ياقوب ، وكان دخوله اليها على قورية ، فهم يسمونه اخا الربّ تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ، وياقوب بلسانهم يعقوب ، وكان اسقفاً ببيت المقدس ، فجعل يستقري الأرضين داعياً لمن فيها ، فجاز الى الاندلس حتى انتهى الى هذه القاصية ، ثم عاد الى ارض الشام فقتل بها وله مائة وعشرون سنة شمسية ، واحتمل اصحابه رمته فدفنوها بهذه الكنيسة التي كانت أقصى أثره ولم يطمع احد من ملوك الاسلام في قصدها ولا الوصول اليها لصعوبة مدخلها وخشونة مكانها وبعد شقتها .

فخرج المنصور اليها من قرطبة غازياً بالصائفة يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٨٧ وهي غزوته الثامنة والاربعون، ودخل على مدينة قورية، فلما وصل المنصور الى مدينة

غليسية وافاه عدد عظيم من القوامس المتمسّكين بالطاعة في رجالهم وعلى أتمّ احتفالهم، فصاروا في عسكر المسلمين وركبوا في المغاورة سبيلهم. وقد كان المنصور تقدّم في انشاء اسطول كبير في الموضع المعروف بقصر أبي دانس من ساحل غرب الاندلس وجهزه برجاله البحريين وصنوف المترجلين، وحمل الاقوات والاطعمة والعدد والاسلحة استظهاراً على نفوذ العزيمة، الى ان خرج بموضع برتقال على نهر دويرة، فدخل في النهر الى المكان الذي عمل المنصور على العبور منه، فعقد هناك من هذا الاسطول جسراً بقرب الحصن الذي هناك، ووزع المنصور ما كان فيه من الميرة على الجند فتوسعوا في التزود منه الى أرض العدو.

ثم نهض يريد شنت ياقوب فقطع أرضين فتباعدت الاقطار وقطع بالعبور عدة انهار كبار وخلجان يمدّها البحر الاخضر، ثم أفضى العسكر بعد ذلك الى بسائط جليلة من بلاد فلطارش ومباسيطة والدير وما يتصل بها، ثم افضى الى جبل شامخ شديد الوعر لا مسلك فيه ولا طريق، لم تهتدِ الأدلاّء الى سواه، فقدم المنصور الفعلة بالحديد لتوسعة شعابه وتسهيل مسالكه، فقطعه العسكر وعبروا بعده وادي منية، وانبسط المسلمون بعد ذلك في بسائط عريضة وأرضين اريضة، وانتهت مغيرتهم الى

دير قسطان وبسيط بلبنوط على البحر المحيط ، وفتحوا حصن
شنت بلايه وغنموه، وعبروا سباخة الى جزيرة من البحر المحيط
لجأ اليها خلق عظيم من أهل تلك النواحي، فسبوا من فيها ممن
لجأ اليها ، وانتهى العسكر الى جبل مراسية المتصل من أكثر
جهاته بالبحر المحيط ، فتخللوا أقطاره واستخرجوا من كان فيه
وحازوا غنائمه ، ثم أجاز المسلمون بعد هذا خليج لورقي
في معبرَيْن ارشد الادلاء اليهما ثم نهر ايله ، ثم أفضوا الى
بسائط واسعة العمارة كثيرة الفائدة، منها: بسيط اونبة وقرجيطة
ودير شنت برية ، ثم انتهوا الى خليج ايليا، وهو من مشاهد
ياقوب ايضاً صاحب القبر ، تِلوُ مشهد قبره عند النصارى في
الفضل ، يقصد نساكهم له من اقاصي بلادهم ومن بلاد القبط
والنوبة وغيرها ، فغادره المسلمون قاعاً؛ وكان النزول بعده على
مدينة شنت ياقوب البائسة ، وذلك يوم الاربعاء لليلتين خلتا من
شعبان ، فوجدها المسلمون خالية من أهلها، فحاز المسلمون
غنائمها وهدموا مصانعها واسوارها وكنيستها وعفوا آثارها ،
ووكل المنصور بقبر ياقوب من يحفظه ويدفع الأذى عنه؛ وكانت
مصانعها بديعة محكمة فغودرت هشيماً كأنْ لم تغن بالأمس،
وذلك يوم الاثنين والثلاثاء بعده ، وانتسفت بعوثه بعد
ذلك سائر البسائط، وانتهت الى جزيرة شنت مانكش منقطع هذا

الصقع على البحر المحيط ، وهي غاية لم يبلغها قبلهم مسلم ولا وطئها لغير أهلها قدمٌ ، فلم يكن بعدها للخيل مجال ولا وراءها انتقال .

وانكفأ المنصور عن باب شنت ياقوب وقد بلغ غاية لم يبلغها مسلم قبله ، فجعل في طريقه القصد على عمل برمند بن أردون ليستقرئه عائثاً ومفسداً ، حتى وقع في عمل القوامس المعاهدين الذين في عسكره ، فامر بالكفّ عنها ومرّ مجتازاً حتى خرج الى حصن مليقه من افتتاحه ، فاجاز هناك القوامس بجملتهم على اقدارهم و كساهم و كسا رجالهم وصرفهم الى بلادهم. و كتب بالفتح من مليقه ، وكان مبلغ من اكساه ابن أبي عامر في غزاته هذه من ملوك الروم ومن حسن غناؤه من المسلمين الفين ومائتين وخمساً وثمانين شقة من صنوف الخز الطرازي وواحداً وعشرين كساء من صوف البحر و كسائيْن عنبريين واحد عشر سقلاطوناً وخمس عشرة مريّشات وسبعة انماط ديباج وثوبي ديباج رومي وفرو فنك .

ووافى جميع العسكر قافلاً الى قرطبة سالماً غانماً ، وعظمت النعمة والمنة على المسلمين والحمد لله ، ولم يجد المنصور بشنت ياقوب الا شيخاً من الرهبان جالساً على القبر ، فسأله عن مقامه فقال : اؤانس يعقوب. فأمر المنصور بالكفّ عنه .

قال الفتح بن خاقان : وتمرّس المنصور ببلاد الشرك اعظمَ تمرُّس ، ومحا من طواغيتها كل تعجرف وتغطرس ، وغادرهم صَرْعى البقاع ، وتركهم أذلّ من وتد بقاع ، ووالى بلادهم الوقائع ، وسدد الى اكبادهم سهام الفجائع ، وأغصّ بالحمام أرواحهم ، ونغص بتلك الآلام بكورهم ورواحهم ، ومن اوضح الامر هنالك ، وأفصح الأخبار في ذلك ، ان احد رسله كان كثير الانتياب لذلك الجناب ، فسار في بعض مسيراته الى غرسية صاحب البشكنش ، فصادفه في يوم فِصْح ، فوالى في اكرامه ، وتناهى في برّه واهتمامه ، فطالت مدته فلا متنزهاً الا مرّ عليه متفرجاً ، ولا موضعاً الا سار اليه معرجاً ، فحلّ في ذلك أكثر الكنائس هنالك . فبينا هو يجول في ساحتها ويجيل العين في مساحتها ، اذ عرضت له امرأة قديمة الاسر ، قويمة على طول الكسر ، فكلمتْه وعرفته بنفسها واعلمته ، وقالت له : أيرضى المنصور ان ينسى بتنعمه بوسها ، ويتمتع بلبوس العافية ، وقد قضت لبوسها ، وزعمت ان لها عدة من السنين بتلك الكنيسة محبسة ، وبكل ذل وصغار ملبسة ، وناشدته الله في انهاء قصتها وابراء غصتها ، واستحلفته بأغلظ الايمان ، وأخذت عليه في ذلك اوكد مواثيق الرحمان ، فلما وصل الى المنصور عرفه بما يجب تعريفه به واعلامه ، وهو مُصغ اليه حتى تمّ كلامه .

فلما فرغ من قصّه قال له المنصور : هل وقفتَ هنالك على أمر انكرته ، ام لم تقف على غير ما ذكرته ؟ فاعلمه بقصة المرأة وما خرجت عنه اليه ، وبالمواثيق التي أخذت عليه ، فعتبه ولامه على أن لم يبدأ بها كلامه ، ثم أخذ في الجهاد من فوره وعرض مَنْ مِن الأجناد في نجده وغوره ، وأصبح غازياً على سرجه ، مباهياً مروان يَوْمَ مَرْجِه ، حتى وافى ابن شانجه في جمعه ، فاخذت مهابته ببصره وسمعه ، فبادر بالكتاب اليه ، يتعرف ما الجنية ويحلف له باعظم اليّة ، ما جنى ذنباً ، ولا نبا عن مضجع الطاعة جنباً ، فعنف ارساله وقال لهم : كان قد عاقدني الا يبقى بارضه مأسورة ولا مأسور ، ولو حملته في حواصل النسور ، وقد بلغني بعدُ مقامُ فلانة المسبّلة بتلك الكنيسة، ووالله لا انتهي عن أرضه حتى اكتسحها . فارسل اليه المرأة في اثنتين معها واقسم له أنه ما ابصرهن ولا سمع بهن ، وأعلمه ان الكنيسة التي أشار بعلمها قد بالغ في هدمها تحقيقاً لقوله، وتضرع اليه في الاخذ فيه بطوله ، فاستحيا منه وصرف .

البيان المغرب في أخبار المغرب

الجزء الثاني في

# أخبار الاندلس

